ISSN:2707-8183 16 ISSN:2707-8183

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 16 حزيران لسنة 2021

مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخينً

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 16 حزيران لسنة 2021

INTERNATIONAL JOURNAL OF HISTORICAL AND SOCIAL STUDIES

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية مجلة علمية محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين، وتعد منصة للكتاب والباحثين لنشر المقالات الفكرية العلمية الرصينة، تشرف عليها نخبة من المؤرخين والعلماء من دول مختلفة، وتسعى الى نشر العلوم والمعرفة، وتعتمد الاليات والمعايير العلمية التي تجعل منها مجلة رصينة تمتلك كل الشروط التي تجعل منها تحظى بالاعتماد والقبول والتميز.

Historical.magazine2015@gmail.com
WWW.INT-HISTORIANS.COM

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تاريخ / تونس

مديرة التحرير
الدكتورة وفاء سمير نعيم /اجتماع / مصر

الهيئة العلمية الاستشارية

الأستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي / علوم سياسية / ليبيا
الأستاذ الدكتور حاجي دوران / اجتماع / تركيا
الأستاذ الدكتور حسين جبار شكر / تاريخ / العراق
الأستاذ الدكتور محمد سالم الطراونة / تاريخ / جامعة السلطان قابوس
الأستاذ الدكتور علي علام / تاريخ / المغرب
الدكتور لحسن اوري / تاريخ / المغرب

التصميم الداخلي للصفحات وغلاف المجلة

م. آثار حيدر عباس جاسم الداوودي

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكاروالثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحريربالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشربالمجلة للتأكد من تو افرمقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشرلتكن وفق المعيارتنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للأبحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحريربإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قراربشأن كل بحث مقدم من قبل النشربحيث يتم اختصارالوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشرتقوم الدورية بأخطارالباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشرفي مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متو افقا مع عنو انه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكاروعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع.

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صورشخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوزعشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكرعنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.. وبالنظر الى ان المجلة في الجانب الفني تنظم على عمودين لذا نرجو من الباحثين تنظيم الجداول والرسوم بما يتناسب ذلك او وضعها كمرفقات في نهاية البحث.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

- تنظم الهوامش بطريقة الكترونية ويكون الهامش بتسلسل اسفل كل صفحة بالنسبة لدليل شيكاغو. ووفقا للالية المعتمدة في اسلوب APA.
- تعتمد المجلة في تنظيم الهوامش اسلوبين الاول دليل شيكاغو والثاني APA)).حجم ونوع الحروف,
- مراعاة التنظيم الالكتروني والفني للبحث وفق ما يلي:

نوع الحرف المطلوب sakkal Majalla وبحجم 20 بخط عريض للعنوان وحجم 18 عادي للمتن وحجم 14 عادي للهوامش، وتكون هوامش الصفحة من جميع الجهات 2 سم.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعددة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور و ابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن ستة صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.

- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادو اته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل الها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه اولمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكاروالمعلومات الواردة بالبحث تعبرعن راي أحد غيره وليس للمجلة اوهيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشورنسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحريرويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غيرربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه اوورقية لغايات غيرربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها وبعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
International Journal of Historical and Social Studies
IJHSS

المحتـويات

أ.د. أحمد عبد الدايم محمد حسين، كلية الدراسات الافريقية العليا -جامعة القاهرة
الرواية البريطانية لبداية ثورة 1919 11
الباحث خالد حماد أحمد عياد، أ.د محمد نايف العمايرة
العلاقات الدبلوماسية السلمية في عهد الخلافة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية... 55
المعطي بريان ،جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة
البيوغرافيا التاريخية لموحى أوحمو الزياني : من خلال كتاب فرانسو بيرجي :(موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921))..... 73
الدكتورعبد الجبار رجا محمود العودة
الأوبئة والأمراض وأثرها على الحياة العامة في فلسطين من العصر الراشدي وحتى الآن (639م-2020م)..... 89
أ.د. محمد حسين منهل، جامعة البصرة كلية الإدارة والاقتصاد
منظور تأريخي لتحليل العلاقة بين أيديولوجيات علم الإدارة والمواردالبشرية.....109
أ.د. صباح إبراهيم الشيخلي ، كلية المأمون الجامعة/ قسم التاريخ
وصايا موفق الدين عبداللطيف البغدادي وارشاداته التعليمية 133
الباحث حسين مسعود محمد العجمي
رؤيتا الكويت وقطر لمصادر تهديد وأمن الخليج العربي1971-1991م 145

ترجمة وتعليق / الأستاذ المساعد الدكتور زهير يوسف عليوي حسين
في حوليات الزياريين بجرجان وطبرستان للمستشرق البريطاني كليفورد ادموند بوزورث
181 .....

Neffeti Adel: docteur et chercheur en histoire culturelle.Maghrébine et méditerranéenne à la faculté des ,Sciences humaines et sociales de,
Réinventer l'Europe: Regards croisés des voyageurs arabes au XIXe siècle, Tunis..... 203

المقالات

أ.د ابراهيم سعيد البيضاني
طريقة تفكير ومنهج بحث واتجاهات معرفية 235

الرواية البريطانية لبداية ثورة 1919

أ.د. أحمد عبد الدايم محمد حسين
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ
كلية الدراسات الافريقية العليا -جامعة القاهرة

حظيت ثورة 1919 باهتمام الأدبيات المصرية والاجنبية على كافة المستويات، غير أن هذا الاهتمام المصرى قد انصب فى معظمه على الرواية المصرية لأحداثها. وربما يكون تجاهل الدراسات المصرية للرواية البريطانية ناتج عن أمرين: أولهما، صعوبات الترجمة لدى الباحثين عن اللغة الانجليزية للعربية، ثانيهما، عدم توفر المادة المصدرية الانجليزية نفسها. لكن بالنظر لتناول وثائق الخارجية البريطانية لثورة 1919 نجد أننا فقدنا رواية مهمة وأصيلة، يمكنها أن تعرفنا على الجديد والمتميز عن هذه الثورة. وفى هذا الاطار سنركز على ثلاثة ملفات هامة:

F.O.407-184:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXI, January to July 1919.

F.O.407-185:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXII, July to December 1919

F.O.403- PART IV, Future Correspondence Respecting the Affairs of Africa.1919.

وجدير بالذكر، أن الرواية البريطانية قد اهتمت بالتفاصيل الدقيقة لثورة 1919، لأنها فوجئت بها منتشرة فى كافة نواحى القطر المصرى. لكن بالرغم من أن الادارة الاستعمارية قد اهتمت بفهم تفاصيلها إلا أنها قد سارعت وقدمت تصورات أولية غير دقيقة عنها. حيث روجت بأن هناك بلاشفة ألمان يعملون على نشر الاضطرابات والتهييج فى مصر، وأن هناك محركات دينية توجهها، الى غير ذلك من تصورات. وفى هذا الاطار فإن متابعة تلك الراوية عن الثورة خلال شهرى مارس وأبريل 1919 تقدم لنا رصدا دقيقا لها، وللإجراءات البريطانية المتخذة لإخمادها. ولعل تتبعها منذ أن تم القبض على سعد زغلول وزملائه وإرسالهم الى مالطة، وخروج المظاهرات المصرية ضد هذا النفي، مرورا بتحركات القوات البريطانية ضد المتظاهرين، وحدوث مناقشات حول الثورة فى مجلس الشيوخ البريطاني، وانتشارها لكافة انحاء القطر المصرى، وتحولها من السلمية للعنف، بالهجوم على السكك الحديدية والاملاك الخاصة والتعدي على أرواح الاوروبيين، هو الذى جعل الادارة البريطانية تهتم أكثر برصد ما يجرى من حوادث، وتسعى لتقديم تقديرات موقف، تصب جميعها فى محاولة التهدئة ومنع الاضطرابات. حيث فوجئ البريطانيون بأنه لا أحد فى مصر كان فى

إمكانه أن يسيطر على الوضع. فقد كان هناك اتساع فى كراهية المصريين لبريطانيا، وكراهيتهم للسلطان فؤاد وللأجانب، وتعديات مستمرة على الأرمن وبعض اليونانيين، وأن الثورة لم تقتصر على مصر بل امتدت بتأثير الموظفين المصريين للسودان، وأن كل الإجراءات التى تقدمها الادارة الاستعمارية لإعادة الاستقرار لم تجد نفعا. وانهم لا يفهمون ما جرى خلال شهر مارس إلا فى اطار سيطرة الافكار البلشفية على الموقف، وأنها لم تتخذ بعدا دينيا إلا فى أوائل شهر ابريل 1919، وانه فى الوقت الذى يسعون فيه لتهدئة الداخل المصرى، يأتى التصعيد من الخارج بفعل دعايات اللجان الوطنية المصرية فى باريس وروما وبرن وجنيف، وأن حديث الوطنيين المصريين لراديو باريس بأن حركتهم الوطنية تتجة للمطالبة بالاستقلال، وانه لا توجد كراهية للاجانب ولا محركات دينية، ولا علاقة لهم بوكلاء تركيا الفتاة او الوكلاء الالمان، كل ذلك وغيره يصب فى أن الرواية البريطانية عن ثورة 1919 مهمة للغاية، وأنها ستسهم فى اكمال المشهد الثورى وبلورته. وعلى هذا، فإن السؤال الذى يطرح نفسه للنقاش: هل يمكن للرواية البريطانية عن ثورة 1919 أن تغير الصورة النمطية السائدة عن هذه الثورة؟ وما الجديد الذى تقدمه فى هذا السياق؟ وهل يمكن أن نأخذ تلك الرواية على علاتها؟ أم أنها تحتاج لنقاش وتمحيص ومقارنة ببقية الروايات؟ أم أنها تحتاج لنقاش وتمحيص ومقارنة ببقية الروايات؟ اعتقد اننا مطالبون بإجراء بحوث كثيرة ومتعددة حول كل النقاط التى أثارتها الوثائق البريطانية حول هذه الثورة الاهم فى مصر والعالم العربى وافريقيا، باعتبارها أول ثورة تحررية فى تلك المناطق فى تلك الفترة. وفى هذا الاطار سنقوم بتقسيم ورقتنا إلى أربعة محاور رئيسية:

المحور الأول- الرواية المحلية لبداية ثورة 1919.

المحور الثانى- الرواية البريطانية للأحداث التى سبقت الثورة.

المحور الثالث- الرواية البريطانية لأحداث الثورة فى شهر مارس 1919.

المحور الثالث- الرواية البريطانية لتطورات الثورة فى ابريل 1919.

المحور الرابع- تطور فعاليات ثورة 1919.

المحور الأول- الرواية المحلية لبداية ثورة 1919:-

بالرغم من أن السرد التقليدي للثورة المصرية فى عام 1919 راح يركز على الثورة وما حدث فيها، وعلى القاهرة ودور الشخصيات الرئيسية فيها، إلا أنه بالنظر للرواية البريطانية سنجد أن يومياتها تشجع على السرد الحديث الذى يركز على الاتجاهات العامة، ويهتم بالعلاقات السببية، ولماذا دعمت بعض الفئات الثورة المصرية فى بدايتها، وكيف اكتسبت جماهيرية بين جموع الفئات فى فترات لاحقة. وسردية ثورة 1919 سردية كبرى ولدت منها سرديات صغرى، وبالتالى فإن الرواية المصرية مطروقة ومعروفة عنها، لكن الراوية البريطانية توفر لنا الجانب الذى لم يمس فى تلك الثورة. ولما كان الارشيف أبكم ولا ينطق، والمؤرخ هو الذى يبنى الحقائق، فإن تأويل هذا الارشيف يحتاج الى أدوات

نظرية ومعرفية عديدة حتى لا نقع فى اشكالية التأويل، وبأن النص يحمل فى طياته وجهات نظر للأخر، فنترك المعلومة ونذهب لوجهة النظر والرأى. خاصة وأن اللغة قد انفصلت عن كاتب النص، واصبحت مستقلة، بحيث لم يعد معنى النص يرتبط بقصد كاتبه، وبالتالى فإن تفكيك النصوص البريطانية سيدخل ساحة التأويل. ومع ذلك لا يمكن أن تكون النصوص مقطوع الصلة عن المحيط الذى انتجها. وبالتالى لابد من فهم النصوص بالسياق الثقافى والسياسى والاجتماعى الذى كتب فيه، لذا وحتما ستكون هناك صلة بين النص ونية صاحبه وفهم قارئه. واعتقد أن ثورة 1919 فى ضوء مقارنة الروايتين المصرية والبريطانية، قد غيرت البنية القاعدية للمجتمع المصرى، فتجربة القاهرة التى امتدت للأقاليم، قد أنتجب إيمانا بالقضية الوطنية المصرية، وليس لفصيل سياسى دون اخر. فرغم أن الثورة قد حدثت بفعل مركزى فى القاهرة إلا أن الاقاليم كانت لها روايتها لتلك الاحداث. واعتقد أن الراوية البريطانية من ناحية أخرى تعيد الاعتبار لدور الاقاليم الكبير فى الفعل الثورى، حتى فى التوقيتات التى ذهبت فيها القاهرة نحو التهدئة، نجد الأقليم تموج بالثورة وتؤجج على استمراريتها. فيوميات الثورة تقول بأن الجميع تفاعل مع الثورة، ومن هنا فإن الرواية البريطانية جاءت بعيدة عن صوت الراوى المحلى الذى يعرف كل شيء، وأثبتت أن هناك راوية مركزية أخرى وجب الانصات لها والتفاعل معها. وبالتالى فإن سؤال: من يواجه من ؟ يجاب عليه بوضوح بأن الشعب المصرى يواجه المستعمر الاجنبى فى ثورة حدث فيها اجماع وطنى عليها واصطفاف. لتبقى الاجابة محسومة داخل الأرشيف البريطانى حول سؤال الهوية، وسؤال قيمة الحدث على المجتمع وأثره فيه.

ومن هنا، كان لابد من أشتغل على الرواية البريطانية دون موقف مسبق، بحيث أرى المكتوب دون توجه بأن تلك الراوية لها مآخذها. خاصة وأنها رواية حرب، لها أطراف ظاهرة واخرى باطنة، وكل يبحث فى العوامل التى أدت للحدث وتفاعلت معه، وكيف كان الثوار يسعون لإبقائه فعالا، فى حين كانت سلطة الاحتلال تسعى للسيطرة عليه واخماده. فقد حاولت أن أقرأ الحدث بنظارة لها عينين. مقتنعا بأن الذى يلبس نظارة بعين واحدة ليرى بها الناس، دائما ما يرى نصف الحقيقة فقط. وبالتالى أقبلت على الارشيف البريطانى لاكمل هذه القراءة المبتورة لأقوى ثورة شعبية فى حياتنا المصرية فى بداية القرن العشرين. خاصة وأننا نملك فائض من الذكرة المصرية حوله، فى حين يوجد فائض من النسيان حول متابعته من قبل المؤرخين داخل الارشيف البريطانى، وبالتالى كان الهدف الرئيسى هو البحث عن ذاكرة معتدلة ومتوازنة.

تبدأ هذه القصة من تلغراف شيتهام، نائب المندوب السامى البريطانى فى مصر، للخارجية البريطانية فى 14 اغسطس 1914، والذى يشير فيه الى قبول رشدى باشا رئيس الحكومة المصرية بالانفصال عن تركيا، وأن يكون هناك حكم ذاتى فى مصر تحت اشراف عام بريطانى. وحينما أعيد تشكيل الحكومة بنفس وزرائها فى 16 نوفمبر 1914 بقرار من السلطان حسين كامل بعد عزل بريطانيا للخديو عباس حلمى الثانى، كان التركيز على أن تمنح مصر

الحكم الذاتى[1]. تلك إذًا هى الاشكالية التى وجب علينا أن نفهم ثورة 1919 فى اطارها. حيث كان القبول ببريطانيا مرهونا بالحكم الذاتى، وبالتالى فان الحديث حوله، وفتح النقاش فيه بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، كان منطقيا باعتراف الوثائق البريطانية نفسها.

ورغم أن الرواية البريطانية قد استخدمت الفاظا محددة حول ثورة 1919، فذكرت بأنها هياج أو هوجة أو قلاقل أو تمرد أو عصيان أو فورة أو أعمال عنف، وأحيانا تظاهرات او اضرابات، الا أنهم لم يستخدموا مصطلح ثورة على الاطلاق. واعتقد أن حاجتنا للتعرف على الرواية البريطانية لأحداث سنة 1919 لان هناك فائض من الذاكرة المحلية حول أحداث الثورة، وتجاهل شبه تام لما هو مدون بالذكرة البريطانية حول هذا الحدث. ونبدأ بالتعرف على الراوية المحلية بشكل مختصر، لنفهم قيمة الراوية البريطانية بشكل تفصيلى في المحاور التالية، حيث تشير الرواية المحلية الى تعدد أسباب ثورة 1919 وبأنها جاءت فى اطار مقاومة المصريين للاحتلال البريطانى ورفضا للحماية البريطانية، وتأثرا بالأسباب الاقتصادية السيئة التى فرضتها ظروف الحرب العالمية الاولى نتيجة انخفاض أسعار القطن وزيادة معاناة الفلاحين وتجنيدهم فى فرقة العمال والجمالة خلال فترة الحرب، وبتأثير ثورة 1917 الروسية، والدور الذى لعبه البلاشفة الاجانب فى مصر، وايمانا بحق تقرير المصير الذى نادى به الرئيس الامريكى ويلسون [2].

وتكاد الرواية المصرية تجمع على أحداث الثورة، وبأنه حينما تم القبض على سعد زغلول وزملائه، وتقرر إرسالهم الى مالطة، خرجت أولى مظاهرات القاهرة يوم 9 مارس 1919 وما بعدها، وأنها امتدت إلى الاقاليم فى طنطا فى 12 مارس 1919، وتحركت القوات البريطانية لمساعدة البوليس هناك، ففقد بعض الناس حياتهم. وبعدها انتقلت القلاقل فى 15 مارس الى دمياط والمنصورة، وقطعت معظم خطوط التلغراف فى مصر السفلى. وانتشرت مظاهرات الفلاحين فى كثير من القرى المصرية مما شكل صعوبة للإدارة البريطانية. وتمددت المظاهراتت الى قليوب والواسطى وبشكل أكبر عبر مصر العليا والصعيد، لكنها كانت سلمية لم يتعرض فيها اى موظف بريطانى من العاملين فى السكة الحديد للقتل، وأن المحامين رفضوا الذهاب للمحاكم المحلية، واقتصر الامر الصادر لغالبية القوات فى 17 مارس على المحافظة على وصول امدادات الطعام للقاهرة، وتوسعت الاضطرابات اكثر فاكثر بالهجوم على السكك الحديدية والاملاك الخاصة ومحاولة القوات البريطانية المحافظة على خط حديد القاهرة الاسكندرية وخط حديد القاهرة بورسعيد، واستحالة حدوث ذلك فى خط حديد القاهرة الصعيد. ومع ذلك تحدثت التقارير حول انتشار المظاهرة

---

[1] F.O.407-183:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXX, August 1914 to December1918, No.44. to Sir M. Cheetham , 16 September 1914.p.26.

[2] عبدالرحمن الرافعى:- ثورة 1919 تاريخ مصر القومى من سنة 1914 الى سنة 1921، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص ص 67-110.

وقطع السكك الحديدية وبأنه لا يوجد اتصالات غير خطوط اللاسلكى والطائرات بين القاهرة والاقاليم. وأن الثورة تمددت فى كل انحاء الدلتا وازدادت خطورة فى الصعيد، وأنه جرت محاولات من قيادات الازهر لإشراك بطريرك الاقباط والاقليات فى التحركات، فشاركوا، وبالتالى أصبحت الثورة رمزا للوحدة الوطنية [1]. وأن المرأة المصرية شاركت بقوة فى فعاليات الثورة، وكانت المظاهرة النسائية الكبيرة التى قامت بها السيدات المصريات بهدف الاعراب عن تأييدهن للثورة واحتجاجهن على نفي زعماء الامة، حتى ان اول شهداء الثورة كانت من النساء[2]، لتمثل بذلك ملمحا مهما فى تاريخ الحركة النضالية النسائية فى مصر والعالم العربى.

أعتقد أنه حتى الذين اخذوا عن الوثائق البريطانية لثورة 1919 ترجموا بعض النصوص المختارة من أرشيف أخر خاص بمصر هو F.O.371 وهو ارشيف مختلف عن الذى استخدمناه واشرنا له فى المقدمة، فضلا أنهم قد استخدموه دون أن يقفوا على محتوياته او ينقدوها، فجاءت رواياتهم منقوصة او مبتورة وسردية وصفية لبعض تفاصيلها[3]. وعلى هذا، فان مقالتنا هذه ستهتم بالرواية البريطانية لا لكونها مناقضة للرواية المصرية فحسب، بل لأنها الرواية الرسمية للحدث فى الأصل. وإذا كانت الرواية المصرية تقدم سعد زغلول ورفقائه أبطالا لها، فإن الرواية البريطانية تعيد الأمور لنصابها وتقدم الشعب المصرى فى دور البطولة الرسمى والوحيد طيلة فتراتها. ومن ثم، فإن ما يعنينا هنا، ليس توصيف الراوية البريطانية كرواية سخيفة أو سامية، وانما لأنها وفرت لنا عرضا رائعا لأحداث ثورة الشعب المصرى بكافة فئاته عبر القطر بنواحيه المختلفة. فلا يهم سخف الرواية لكونها وصفت الثوار بالمهيجين والمخربين والبلشفيين أو لكونها وصفت الثورة بالهبة والاحداث والاضطرابات والمظاهرات وما الى ذلك، ولا يهم سمو الرواية لكونها امتدحت الشعب المصرى وجعلته فى المقدمة، لكن أبرز ما لفت نظرنا هو أنها لم تنشغل بالبحث عن بطل او شرير وراء سرديتها للحدث، لتوجه له أصابع الاتهام، قدر اهتمامها بوقف هذه الاضطرابات المتأججة فى كل مكان وبسرعة، قبل أن تمتد لمناطق أخرى مجاورة، أو لمستعمرات أخرى متحفزة للتحرك. صحيح أن هذا الشرير قالت به الوثائق البريطانية فى البدايات الأولى للحدث، وبأنه سعد زغلول ورفقائه، لكنها عادت لتهتم بجموع الشعب

---

[3] عبدالرحمن الرافعى:- المرجع السابق، ص ص متفرقات. وكذا انظر رفعت السعيد:- ثورة 1919..القوى الاجتماعية ودورها محاولة لرؤية جديدة، سسلسلة مكتبة الاسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص ص متفرقات. وكذا حسين مؤنس:- دراسات في ثورة 1919، سلسلة ذاكرة الكتابة، عدد 210، الهيئة العامة لفصور الثقافة، القاهرة، 2018.

[4] **المرأة المصرية صانعة التاريخ www.cedaw-center.org**

[5] مكى الطيب شبيكة:- بريطانيا وثورة 1919 المصرية، سلسلة ذاكرة الكتابة، عدد 209، الهيئة العامة لفصور الثقافة، القاهرة، 2018، ص ص متفرقات.

الغاضبة فى كل المناطق والمديريات، منشغلة برواية القصة والمأزق بحثا عن مخرج منه. وسيظهر هذا تباعا فى المحاور التالية.

المحور الثانى- الرواية البريطانية للأحداث التى سبقت ثورة 1919:-

تشير إحدى الدراسات بأن اعتقال سعد زغلول لم يكن هو المحرك الرئيسى لمظاهرات المصريين فى 9 مارس 1919 بل كانت إحباطات المصريين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها، هى التى أججت موجة من المظاهرات والإضرابات والهجمات على الأجانب[1]. وتقول أخرى بأن تأثير تجنيد العمال والفلاحين المصريين فى الحرب، وعدم استعداد الفلاح لمغادرة مصر، أو ضد التجنيد الإجباري، وموت العديد من هؤلاء واولئك، هو الذى زاد من الغضب، فخرج يعبر عن نفسه فى تلك المظاهرات. ناهيك عن عملية تحويل مصر من ولاية عثمانية الى مستعمرة بريطانية بشكل كامل مع بداية الحرب العالمية الاولى، ومردود ذلك على المصريين. فضلا عن انتشار عدد حالات الجوع والفقر والتيفود وأمراض نقض التغذية الجيدة بينهم، وزيادة اسعار السلع الغذائية. اضف الى ذلك تعلق السياسيين المصريين بمبادئ الرئيس الامريكى ودرو ويلسون، وأنه سيأتي لمساعدتهم، والسياسات الخاطئة التي تبنتها النخبة الاستعمارية البريطانية فى مصر بوضع مصالح الفلاحين والعمال والموظفين والنخبة فى مرتبة أقل من مصالح الإمبراطورية، وتآكل دعم الدولة الاجتماعي خلال الحرب[2]، كل ذلك قد قد أجج المشاعر وراكم الغضب.

الى هنا، كان حديثا عاما ومتداولا سواء فى الادبيات المصرية والاجنبية، لكن حديث الوثائق البريطانية حول البدايات هو حديث مختلف ومميز ومثير للفضول والقراءة والفحص. حيث تشير إحدى وثائق الخارجية البريطانية فى اغسطس عام 1918 بأن السلطان فؤاد كان على غير ما يرام مع رئيس الوزراء حسين رشدى باشا، بسبب خضوعه لتأثير الوطنيين[3]. وفى هذا الاطار تابعت الخارجية البريطانية خلال الفترة من 15 سبتمبر الى 4 نوفمبر 1918 أمر الخلافات التى حدثت بين الوزراء والسلطان، ومحاولة الادارة الاستعمارية للتوفيق بينهما[4]. وهو ما يشير الى وجود تقارب بين الحكومة المصرية وبين النخبة السياسية المصرية فى ذلك الوقت، والى وجود تنسيق فيما بينهم.

---

[6]Donald M. Reid:- Political Assassination in Egypt, 1910-1954, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 15, No. 4 (1982), p. 628. .

[7]Ellis Goldberg:- Peasants in Revolt - Egypt 1919, International Journal of Middle East Studies, Vol. 24, No. 2 (May, 1992), pp.261,267,268, 274, .

[8]F.O.407-183:- No.134 ,31 august 1918.p.199.

[9]F.O.407-183:- No.135-139. , 15 September to 4 November 1918.p.201-212.

ويشرح لنا هذا الأمر خطاب ريجنالد وينجت، المندوب السامى البريطانى فى مصر، الى الخارجية البريطانية فى 8 نوفمبر 1928 حيث يقول بأن الايمان بسياسة تقرير المصير تنتشر بين الوطنيين المصريين بتأثير القنصلية الاميريكية بالقاهرة [1]. لكن الخطاب الذى أرسل الى وينجت بتاريخ 13 نوفمبر 1918 بأنه لا توجد اشارات بوجود طموحات لدى الوطنيين المصريين، وما اذا كانوا يرغبون في ايجاد اصلاحات قدموها لبريطانيا او السلطات المحلية مقدما، يشى بأن بعض رجالات الادارة البريطانية فى مصر يتجاهلون أمر التحركات السياسية المصرية. بدليل أن التقرير حول زيارة سعد زغلول ورفاقه للسير وينجت كان يتزامن مع الخطاب السابق[2].

ومن المؤكد أن خطاب وينجت للخارجية البريطانية بتاريخ 17 نوفمبر 1918 كان هو البداية الحقيقية لثورة 1919 فى تقديرنا. حيث يشير فيه بأن سعد زغلول وعبدالعزيز فهمى وعلى شعراوى قد طلبوا مقابلته للترخيص لهم بالسفر الى لندن لعرض برنامج الاستقلال التام لمصر وعرض مطالبهم هناك، ثم جاء بعدهم رشدى باشا وعرض سفره مع عدلى باشا الى لندان لمناقشة الشئون المصرية، وأن السلطان موافق على هذا السفر بصحبة الوطنيين المصريين، وأن مقترح وينجت فى حالة الموافقة على تلك المطالب بأن يسافر كل من برونايت وشيتهام الى لندن قبل اتمام تلك الزيارة [3]. مشيرا فى 20 نوفمبر 1918 الى تقارير حول الرأي العام المصرى وتفاعله مع الاتفاق الانجلو فرنسى حول سوريا، والشائعات الرائجة حول انسحاب بريطانيا عن مصر، ونظرة المصريين الايجابية للرئيس الامريكى ويلسون[4].

وعلى هذا لم يكن لدى وينجت اى مانع لسفر هؤلاء، رغم حديثه مع سعد ورفاقه، حسب الروايات المصرية، بعدم وجود تفويض لديهم بالحديث نيابة عن الشعب المصرى. وفى هذا الاطار تؤكد الوثائق البريطانية على وجود لحظة فارقة فى حياة النخب السياسية المصرية، بداية من السلطان فؤاد، مرورا بالحكومة، وصولا للنخبة السياسية، وأن هناك توافقا بين الجميع على ضرورة خروج بريطانيا من مصر. وخطاب ونجت الى لورد هاردينج في 24 نوفمبر 1918 يشير بأن السلطان فؤاد كان غيورا من الأمير عمر طوسون باعتباره أول من تحدث فى خروج البريطانيين عن مصر وانهاء الحماية، وأن ونجت قابل كل من محمد باشا سعيد وعمر طوسون ناقلا وجهة نظرهما، مستفسرا عما إذا كان سيسمح للوطنيين بالسفر الى لندن، وأنه لابد من مناقشة المسألة مع حسين رشدى وعدلى يكن، وأن برونايت وشيتهام سيجلسا مع الرجلين لافهامهما الحل الذى تقدمه الادارة البريطانية للمسألة المصرية في تلك المرحلة. قاطعًا بأن وكيل القنصلية الامريكية في القاهرة قد أكد له بأنه لا يلتقى مع اى مصرى حول الشئون السياسية، وان

---

[10] F.O.407-183:- No.140. sir Wingate to Sir Mr.Balfor , 8 November 1918, p.212.

[11] F.O.407-183:- No.141 Sir Mr.Balfor to sir Wingate, 13 November 1918,.p.212.

[12] F.O.407-183:- No.142, sir Wingate Sir to Mr.Balfor, 17 November 1918,.p.213.

[13] F.O.407-183:- No.147, sir Wingate Sir , 20 November 1918,.p.216.

هناك نشاطا للوطنيين المصريين في سويسرا [1]. لكن خطاب من وينجت للخارجية البريطانية في 25 نوفمبر 1918 يشير بأن سعد زغلول وعبدالعزيز فهمى قد قاموا بجمع أتباعهم في الاقاليم بهدف تمثيل انفسهم كمكلفين بتشكيل مصر الموحدة. وأن هناك مجموعة أخرى تشكلت من قبل عمر طوسون ومحمد باشا سعيد لتقديم أفكار وطنية في ظل الحماية البريطانية. وأن مجموعة سعد قامت بتشكيل لجنة من 14 فردا، وكتبوا للسير وينجت للسماح لهم بالسفر الى انجلترا. وهنا تظهر خبرة ونجت فى التعامل مع الموقف، حيث نصح الخارجية البريطانية بالسماح لهم بالسفر دون الاستماع لهم في لندن، لأن منعهم من السفر سيجعلهم ينظمون حملة ضد الحماية البريطانية [2]. وأتبع ذلك بخطاب لوزارة الخارجية البريطانية في 25 نوفمبر 1918 يحوى اسماء أعضاء اللجنة الوطنية [3].

إلى هنا، فإن خبرة وينجت بالشؤون المصرية جعلته يتعامل مع الموقف بمرونة شديدة، لكن الخارجية البريطانية كان لها قول أخر. فخطاب الخارجية لونجت فى 27 نوفمبر 1918 يقطع بأن المرحلة لا تسمح بإعطاء الحكم الذاتى للمصريين، وأنه غير مسموح للوطنيين بالمجيئ الى لندن، وغير مسموح بسماع مطالب الوطنيين، وأن الحكومة البريطانية جاهزة دوما للسماع بعطف للمطالب المناسبة من قبل الوزراء، او اى من المصريين، وانها ترحب بزيارة رشدى وعدلى، لكن ليس فى هذا الوقت لانشغال مسئولى الخارجية البريطانية بارتباطات اخرى خلال الشهور القليلة المقبلة، وبالتالى علي الوزراء تأجيل الزيارة [4]. وعلى هذا استبعدت الخارجية البريطانية، بسبب استعداداتها لمؤتمر الصلح فى باريس، إمكانية سفر الوطنيين المصريين بالمرة، ووافقت على زيارة حكومية فى وقت لاحق وأجل غير مسمى. وهو الأمر الذى كان له تداعيات كثيرة لم تحسب الخارجية حساباتها أو تقدر نتائجها.

وأول ردود الفعل تجاه تعنت الخارجية البريطانية جاءت رسمية من قبل الحكومة المصرية نفسها. فخطاب ونجت في 4 ديسمبر 1918 كان يحمل تهديد واضح من قبل رئيس الحكومة حسين رشدى، بأنه إذا لم يسمح له بالسفر فإنه سيقدم استقالته. وأن رشدى قابل ونجت واخبره بانه قدم استقالته للمرة الثانية للسلطان فؤاد، الذى أشار بأن حكومة بريطانيا قلقة من مناقشة مستقبل مصر مع المصريين، وأن ذلك غير مستساغ الان، مشيرا لما ذكره السلطان بان زيارة الوزراء الى لندن بمفردهم سيتم فهمها من قبل المصريين بشكل سيئ، وأن اى قرار يتخذ حينها لن يقبله عامة المصريون. ناقلا قول رشدى بأن السماح للأمير فيصل بن ملك الحجاز، وذهابه للندن ثم باريس، وعدم

---

(14) F.O.407-183:- No.155, sir Wingate to lord herdinge , 24 November 1918,.p.242.

(15) F.O.407-183:- No.144, sir Wingate Sir to Mr.Balfor, 25 November 1918,.p.214.

(16) F.O.407-183:- No.145, sir Wingate Sir , 25 November 1918,.p.215.

(17) F.O.407-183:- No.143, to sir Wingate, 27 November 1918,.p.213.

الموافقة على سفره هو، سيعزز استقالته[1]. وثمة نتيجة مهمة يمكن رصدها، وهو اللحظة الفارقة التى جمعت النخبة السياسية المصرية مع الحكومة مع السلطان حول هدف واحد وهو ضرورة مناقشة المسألة المصرية، وأمر الحماية البريطانية على مصر واستقلالها، وكأن هناك تبادل أدوار قد حدث بين القصر والحكومة والوطنيين المصريين، وأن الادارة البريطانية تستشعر هذا التوافق وتعمل على افتكاكه. ولعل خطاب 5 ديسمبر 1918 الذى يشير بعدم الموافقة على سفر الوزيرين للندن[2]، ثم طلب ونجت من السلطان بذات التاريخ تأجيل قبول استقالة رشدى، حتى يستلم تعليمات من وزاة الخارجية البريطانية [3]، يؤكد بأن ونجت قد سعى لتخفيف وطأة قرارات الخارجية البريطانية واحتوائها قدر الامكان.

ومع ذلك فإن اصرار حسين رشدى على قبول الاستقالة إذا لم يتم السماح بالزيارة، حسب خطاب ونجت للخارجية البريطانية فى 11 ديسمبر 1918 يدلل على أن التدافع السياسى حادث لا محالة. لكن اشارة ونجت بأن اى نقاش مع المصريين ينبغى أن يكون فى لندن وليس فى مؤتمر الصلح فى باريس، وأنه لا نقاش حول مسألة الحماية على مصر، وأنه لن يسمح بالزيارة قبل منتصف مارس 1919، وانه يمكن تهدأة المسألة خلال تلك الفترة[4]، يدل على أن بريطانيا كانت ماضية فى سياستها، وأن وينجت لا يقل عن مسؤلى الخارجية فى تأكيد الحماية البريطانية إلا فى مسألة تفريغ الاحتقان وتأجيل فورة غضب النخبة السياسية من شحنتها. وهو الأمر الذى جعله فى 18 ديسمبر 1918 يطلب من السلطان بأن يتواصل مع الوزراء المصريين بضرورة سحب الاستقالة. لكن اشارته بأنه فعل ذلك، لكنهم رفضوا ذلك، ومطالبته بتأجيل قبولها[5]، يشى بأن الرجل قد استخدم سياسة المسكنات وكسب الوقت قدر الامكان، لأن قبول الاستقالة فى تلك الفترة كان سيدفع بالأمور الى عواقب لا يعلم نتائجها. ومع ذلك لم توافق وزارة الخارجية البريطانية على تقييم وينجيت للوضع في مصر. واعتبروا أن هذا التقييم سيفسره المصريون كعلامة ضعف [6].

---

[18]F.O.407-183:- No.148, sir Wingate Sir , 4 December 1918,.p.218.

[19]F.O.407-183:- No.150, sir Wingate Sir , 5 December 1918,.p.220.

[20]F.O.407-183:- No.151, sir Wingate Sir , 5 December 1918,.p.220.

[21]F.O.407-183:- No.143, sir Wingate Sir , 11 December 1918,.p.225.

[22]F.O.407-183:- No.157, sir Wingate telegram, 18 December 1918,.p.248.

[23]Michael Barry Bishku:- THE BRITISH EMPIRE AND THE QUESTION OF EGYPTS FUTURE, 1919-1922 , FACULTY OF THE GRADUATE SCHOOL OF ARTS AND SCIENCE IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF DOCTOR OF PHILOSOPHY AT NEW YORK UNIVERSITY pp. 53-55, . **1981**

وفى هذا الاطار تشير إحدى الوثائق بتاريخ 18 ديسمبر 1918 بأن برونايت قابل رئيس الوزراء حسين رشدى ووزير العدل ثروت باشا، واستطاع أن يقنع رشدى باشا بأن يقبل بإمكانية عدم عرض موضوع الحماية على مؤتمر الصلح، وأن عدلى يكن وثروت باشا أخبراه بأنهم فى ظل الحكم التركى كانوا يعلمون الحقوق المصرية، لكنهم فى ظل الحماية لا يعلمون طبيعة هذه الحقوق. وحمل ثروت باشا السلطان فؤاد مسؤولية تحريض الوطنيين على التهييج، وشكره برونايت معبرا بانه سينصح السلطان بقبول استقالة الوزارة، وانه سيقترح بأن يكون مظلوم باشا رئيسا لها بعد رشدى[1]. وهو ما يدلل على أن مسؤلى الحماية البريطانية كانوا يتحركون على كافة المستويات، ويحاولون حل الازمة التى تواجههم. وجاء خطاب الخارجية للسير وينجت فى 22 ديسمبر 1918 والذى حمل موافقتها على نصيحة السلطان بقبول استقالة الحكومة، وان مظلوم باشا او سرى باشا هما المرشحان للمنصب، وان تتخذ كافة الخطوات لمنع التهييج [2]، يشى بأن الخارجية كانت تتماهى مع موقفها فى مصر بشأن تغيير الوزارة فقط، لكنها كانت قاطعة بشأن السفر والحماية. ولعل المقابلة التى حدثت مع سرى باشا بتاريخ 23 ديسمبر، والتى اقترح فيها ضرورة الموافقة على سفر رشدى باشا وعدلى يكن لبريطانيا [3]، تشير بأن هناك وعيًا نخبويا مصريا بطبيعة المطالب المصرية. وخطاب وينجت بتاريخ 24 ديسمبر يشير بأن رشدى باشا قد أرسل للسلطان بتاريخ 23 ديسمبر مصرا على استقالته [4]. وبالمقابال فإن توقع وينجت عبر خطابه للورد هاردنج فى 26 ديسمبر 1918 مزيدا من ضغوط الوطنيين المصريين لنيل حريتهم، وبأن يكون لمصر مكانة بين الامة الاسلامية، وان اى تعاطف مع تلك المطالب من قبل الحكومة البريطانية سيكون له تقدير خاص[5]، يقطع بوعى النخب المصرية على كافة مستوياتها بطبيعة اللحظة التى تعيشها بلادهم. وجاء خطاب ونجت للورد هاردنج فى 27 ديسمبر 1918، والذى يشير بتأثير الحركة الوطنية المصرية فى السودان، ورغبة الادارة البريطانية بأن تستمر كراهية السودانيين للمصريين، وأن يتم حكمهم من قبل القاهرة[6]، يشكل عبئا جديدا على صانع القرار البريطانى.

وظلت المراسلات البريطانية طيلة شهر يناير 1919 تتحدث عن مشروع برونايت الدستورى، وقانون الجنسية المصرية، واهمية مصر فى الاستراتيجية العسكرية البريطانية، وهو ما يشى بعدم امكانية التفريط فى مصر او القبول

---

[24] F.O.407-183:- No.158, sir Wingate telegram, 18 December 1918,.p.249.

[25] F.O.407-183:- No.159, to sir Wingate, 22 December 1918,.p.250.

[26] F.O.407-183:- No.161, sir Wingate telegram, 24 December 1918,.p.262.

[27] F.O.407-183:- No.153, sir Wingate telegram, 24 December 1918,.p.262.

[38] F.O.407-183:- No.163, sir Wingate to lord hardinge , 26 December 1918,.p.263.

[29] F.O.407-183:- No.164, sir Wingate to lord hardinge, 27 December 1918,.p.264.

بالمطالب المصرية. ولعل استطلاعات الرأي التى قامت بها الادارة الاستعمارية للقنصل الفرنسى والقنصل الامريكى فى مصر، حول موقف بلديهما من الحماية البريطانية، وتأييدهما للحقوق البريطانية، يدلل على أن الادارة البريطانية كانت تعمل على كافة المستويات. ولعل مناقشات الاداريين البريطانيين مع السلطان والوزراء حول الحالة فى مصر، ودعوة بريطانيا للوزراء المصريين بزيارة لندن، وعدم موافقتهم على ذلك إلا بعد دعوة سعد زغلول ورفاقه، حتى لا يتهمهم الرأي العام المصرى بالتفريط، وعدم موافقة الحكومة البريطانية على تلك المطالب، واستمرار الحديث مع السلطان والوزراء حول هذا الامر، وطلب سعد زغلول بالموافقة على اجتماع 600 من اتباعه، ورفض السلطات البريطانية لطلبه[1]، يقطع بأن النخب السياسية المصرية كانت مخلصة للقضية المصرية فى هذا التوقيت، وأن الوثائق البريطانية تشهد بهذا الأمر وتؤكده وتشرح طبيعته.

والرسالة التى أرسلها شيتهام الى كيرزون، نائب وزير الخارجية البريطانى، بتاريخ 9 فبراير 1919 والتى يشير فيها لثلاث وثائق موقعة من قبل سعد زغلول، ومرسلة للقنصل اليونانى بالقاهرة، وأنها تشبه رسائل أخرى أرسلها سعد للقناصل الاجانب بالقاهرة [2]، تقول بأن الوطنيين المصريين قد بدأوا ينتقلون الى مربع جديد ويتفاعلون مع القنصليات الاجنبية فى مصر. وتشير احدى الوثائق بأن هذه المطالب موقع عليها من قبل سعد زغلول وعلى شعراوى واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل وعبدالعزيز فهمى واحمد لطفى السيد ومحمد على ومحمود عبدالناصر وعبداللطيف المكباتى وسينوت حنا والدكتور حافظ عفيفى ومصطفى النحاس وجورج خياط وحسين واصف باشا وميشيل لطف الله[3].الأمر الذى جعل شيتهام يكتب فى 16 فبراير 1919الى اللورد كيرزون، بأن سعدا لم يعد موضع ثقة أحد، وأن التهييج الذى نظموه رغم أنه سلمى إلا أنه يلفظ انفاسه، وأن الاعيان مع الحكم الذاتى [4].ورسالة كيرزون لشيتهام بتاريخ 26 فبراير تشير لطلب رشدى وعدلى باشا وسعد زغلول ومجموعة من القيادات المصرية بالسفر الى لندن، وانهم وضعوا انفسهم كقيادات للحركة الوطنية، ونظموا الاثارة عبر انحاء القطر المصرى. لكن يبدو أن الادارة البريطانية وعلى رأسها وزارة الخارجية لم تكن مستعدة لاستقبال الزعامات المصرية فى لندن[5].

---

(30) F.O.407-184:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXI, January to July 1919, No.1-31, pp.1-17 .

(31) F.O.407-184:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXI, January to July 1919, No.49. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon, 9 February1919,p.32.

(32) F.O.407-184:- Enclosure in No.49,p.33,34.

(33) مصطفى امين:- اسرار ثورة 1919، الجزء الاول، سلسلة الشوامخ، العدد 4، مطبوعات كتاب اليوم، 15 يناير 1991، ص 81.

(34) F.O.407-184:- No.56. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham, 26 February1919,p41.

ونخلص مما سبق بثلاث نتائج مهمة: الأولى، أن التوافق الكبير الذى حدث بين السلطان فؤاد والحكومة المصرية والنخب السياسية المصرية هو الذى شكل أرضية ثورة 1919. الثانى، أن الوثائق البريطانية هى التى تقول بهذا التوافق بشكل غير مباشر، وأنها حاولت افتكاكه دون جدوى. الثالث، أن دور الشعب المصرى ظهر فى التوكيلات وأن السياسيين المصريين كانوا طليعة الثورة ومحركين لها.

المحور الثالث- الرواية البريطانية لأحداث الثورة فى شهر مارس 1919:-

قبل أن تقوم الثورة بعدة أيام، ذكرت لنا رسالة شيتهام لكيرزون فى 2 مارس 1919 بأن الادارة البريطانية كانت ترتب مع السلطان فؤاد ومجموعة من السياسيين المصريين أمر تشكيل وزارة جديدة، وانه هناك عروض على حسين رشدى باشا وثروت باشا وسرى باشا ووهبة باشا وآخرين، وأن السلطان طلب من كل منهم أن يؤدى دوره فى خدمة بلده، لكنهم جميعا رفضوا تشكيل الوزارة [(1)]. بما يشى بأن النخبة السياسية المصرية كانت تغلب المصلحة الوطنية على مصالحها الشخصية، وربما كان بعض افرادها يخشى انتقاد الرأى العام المصرى المؤيد للمطالب السياسية، وبالتالى أجبر على السير فى الركب. ورسالة شيتهام الى كيرزون في 4 مارس 1919 والتى يشير فيها الى سفر رئيس تحرير جرنال القاهرة في مصر، السيد فيسل الى فرنسا، منذ ثلاثة اسابيع، وانه سافر كمعبر للمطالبيين بالاستقلال المصرى، ليشن حملة في باريس، وأن دوره ظهر واضحا في التقرير الذى أرسله له[(2)]، تؤكد على أن التحركات السياسية بدأت ملامحها فى الطريق. ولعل رسالة شيتهام التى تشرح الدور الذى قام به فيسل ونعمة الله غانم فى كتابة مقالات عن القومية المصرية والوطنيين المصريين فى جريدة التايمز، والكلام غير الودى الذى قيل ضد البريطانيين، واشارته لارتباط جريدتين اخريين بمدينة الاسكندرية بمجموعة الاستقلال[(3)]، يؤكد على أن النخبة الثقافية كانت تعضد النخبة السياسية على أرض الواقع. واعتقد أن رسالة شيتهام لكيرزون فى 5 مارس 1919، والتى يشير فيها الى ذهاب سعد زغلول ورفاقه الى قصر عابدين فى 3 مارس، وتقديمهم طلب للسلطان مكتوب باللغة العربية، والنسخة الفرنسية كتبها سعد زغلول بنفسه، وأن السلطان رفض استقبالهم، فذهبوا مباشرة الى شيتهام، تشير الى أن التدافع السياسى قد بدأ فى 3 مارس 1919. لكن المدهش فى الأمر أن الرجل يتحدث بأنهم قدموا له مطالبهم، ونسخة المطالب لا تنكر الحماية البريطانية على مصر، ولا ترفض سلطة السلطان فؤاد، بل ترفض تشكيل حكومة تحل محل حكومة رشدى باشا، وترفض الاحكام العرفية، بما يشى بأن حديث الحماية يريدون فتحه مع القيادات الموجودة فى بريطانيا وليس فى مصر. غير أن اشارته بانه لن يستطعوا أن يحكموا البلد فى ظل تلك

---

(35) F.O.407-184:-, No.60. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 2 March 1919,p43.

(26) F.O.407-184:-, No.61. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 4 March 1919,p43.

(37) F.O.407-184:-, No.62. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 4 March 1919,p43.

الاوضاع السيئة [1]، يدلل على أن استشعار الخطر قد بدأ من يوم 5 مارس 1919. ورصدت احدى الوثائق بأن الطلب المقدم للسلطان موقع عليه من قبل على شعراوى وعبداللطيف المكباتى ومحمد محمود وحافظ عفيفى واحمد لطفى السيد وسليمان وحسين وصيف وعبدالخالق مدكور وحمد الباسل ومحمود ابوالانصار وسينوت حنا ومحمد على واسماعيل صدقى وسعد زغلول[2].

وكان استشعار الاداريين البريطانيين للمخاطر المقدمين عليها قد جعلهم يتحركون وبقوة لاحتواء الموقف. ففى رسالة شيتهام المؤرخة بتاريخ 5 مارس يذكر بأنه على الفور قابل السلطان فؤاد وبعض الوزراء والمسئولين المصريين لتشكيل الحكومة، لكن لا ثروت ولا سرى ولا وهبة باشا رضوا بقبول الوزارة. معترفا بأن السلطان بناء على نصيحته قد عرض عليهم الأمر فرفضوا. مشيرا بأنه قام مع السلطان وبجهود مشتركة، بمحاولة اقناع ثروت باشا لكنه رفض بسبب الضغوط التى تعرض لها من قبل الوطنيين المصريين. خاتما بعبارة تلخص موقف النخبة السياسية المصرية تجاه قضيتها الوطنية. حيث ذكر بأنه "أدرك بعدم قدرة اى مصرى على قبول الوزارة فى هذا الظرف"، قاطعًا بأن الوطنيين قد أرسلوا خطاب تهديد للسلطان فؤاد بخصوص هذا الموضوع، وأنه سيرسله للخارجية خلال ساعات[3].

ورسالة شيتهام الى ايرل كيرزون فى 6 مارس 1919 تقر بأن قبول استقالة رشدى باشا قد خدم عملية رفض السماح لسعد زغلول ورفاقه بالسفر للدفاع عن الاستقلال، بما جعل سعد زغلول يسعى لعدم تكوين حكومة جديدة بأى شكل كان، معتقدا بانها تمكن حزبه ومخططاته السياسية من النفوذ، بل سعى لدى السلطان لعدم اتمام هذا الامر. حيث ذهب فى 3 مارس لقصر عابدين ورفض، مع الوفد المرافق له، ترك التماس للسلطان، وحذروه من الحماية ومن المندوب السامى البريطانى، وانه هو الذى يشكل الوزارة مع السلطان، وانهم كانوا يسعون بألا تقع الادارة المصرية تحت الحماية، وأن سعد كان يعمل على إقامة حاجز وطنى من خلال داعميه لمخاطبة السلطان بشكل وقح. وأن القول بعدم ملائمة المحاكم الاهلية للعمل، من خلال اضراب المحامين، وتعليق شيتهام بأنه "إذا ما سمحنا بتلك الاجراءات أن تتم فانه لن يوجدد انضباط لموظفى المحاكم، وأنه لابد للموظف العام البريطانى فى مصر أن يرسل فى طلب سعد زغلول ورفاقه، ويحذرهم من الاضطرابات وتأثيرها على الحالة العسكرية، وانه يؤيد اعتقال سعد زغلول خارج مصر فى الهند او سيلان، وأن توقف سعد عن السماع لسبب ما، او قضاء وقته فى لعب القمار، وانه سيستمر فى مراقبة التهييج السياسى الحادث، وأن سعدا أصبح خطرا، ويستوجب الامر ترحيله لمالطة منذ بداية الحرب، وانه يوصى بالقبض عليه واعتقاله، ويوصى السلطان بذلك حفاظا على مصالحهم المشتركة، وأن هذا الامر كان يجب ان

---

[38] F.O.407-184:-, No.74. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 5 March 1919,p61,62.

[39] F.O.407-184:-, Enclosure in No.74. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 5 March 1919,p62,63.

[40] F.O.407-184:-, No.63. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 5 March 1919,p43,44.

يكون مبكرا[1]، يدلل على أن الراوية البريطانية قد اعطتنا رواية متماسكة عن خلفية اعتقال سعد زغلول ورفاقه، وأن نائب المندوب السامى البريطانى فى مصر، شيتهام، قد بدأ يحرك الأمور ويدفع بها للمواجهة.

واعتقد أن الاستجابة الفورية لمطالب شيتهام قد دفعت الأمور لحافة الهاوية. ففى رسالة اللورد كيرزون الى شيتهام فى 7 مارس 1919 نراه يأمر بوجوب وضع نهاية لسعد زغلول ورفاقه من تخويف السلطان من تشكيل وزارة، ومن ممارسة وظائفه واختصاصاته. مطالبا إياه بأن يأمر القائد العام للقوات المسلحة باعتقاله سعد ورفاقه وترحيلهم الى مالطة بدون تحذير اضافى لهم، وأن عبدالعزيز فهمى لن يكون ممن تشملهم حملة الاعتقال، وأن حاكم عام مالطة سيرتب لهم ظروف الاقامة هناك [2]. ولهذا فإن تداعيات الموقف كانت تتسارع وتتقاذف، وهو الأمر الذى أدى الى عملية القبض على سعد زغلول ورفاقه يوم 8 مارس 1919.ويقطع بأن الوثائق البريطانية جاءت لنا بتفاصيل جديدة حول هذه التداعيات ومسبباتها.

ويأتى خطاب شيتهام لكيرزون بتاريخ 9 مارس 1919، والذى يشير فيه بانه أمر السلطات العسكرية بأن تتسلم سعد زغلول واسماعيل صدقى ومحمد محمود وحمد الباسل الذين تم القبض عليهم امس 8 مارس، وأنه تم ترحيلهم الى مالطة صباح اليوم 9 مارس، وأن صدقى كان هو أحد المسؤلين الحكوميين، وأن سعد كان يرافب فى ذلك، ومحمد محمود كان يعبر عن قلقه العميق فى الساعات القادمة[3]، يشى بأن رصد الخارجية البريطانية كان دقيقا، وشاهدا للنخبة المصرية بوطنيتها واخلاصها، وأن سعد زغلول لم يكن بمفرده فى بدايات المشهد الثورة. ولا يوجد فى وثائق الخارجية ما يفيد بأن ما نشره مصطفى أمين بوجود خطاب من شيتهام لكيرزون فى 9 مارس 1919 بأن الحركة معادية لبريطانيا ومعادية للسلطان وللأجانب، وانها ذات ميول بلشفية، وانها تستهدف تدمير الممتلكات والمواصلات، وانها منظمة وتتلقى الاموال من الخارج، وان هناك تحريضا خارجيا لها، وأن وقوع الانفجار فى اى وقت أمر لا مناص منه [4]. فالخطاب بتلك المواصفات لم يحدث الا فيما بعد، فقد كان الحديث عن النفوذ الاجنبى وتحريضه على الثورة قد حدث بعد وقوع الثورة ولم يكن في اول يوم لها.

---

[41] F.O.403-450:-,No. 39, Sir M. Cheetham to Earl Curzonm, Cairo, March 6, 1919,p.34, and see F.O.407-184:-, No.64. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 6 March 1919,p44. , .

[42] F.O.403-450:-,No. 44, Earl Curzon to Sir M. Cheetham, Cairo, March 7, 1919,p.40, and see F.O.407-184:-,Mo.64, p.45 , .

[43] F.O.407-184:-, No.69. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 9 March 1919,p.58.

[44] مصطفى امين:- المرجع السابق، ص 82.

الى هنا، كان الحديث سياسيا، وحول نخبة سياسية تؤجج المشاعر الوطنية، وتدفع باتجاه اشعال الموقف. لكن الراوية البريطانية تنقلنا منذ يوم 9 مارس الى بداية الحراك الشعبى. حيث أشار لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى في مذكراته بأن اعتقال الاربعة رجال يوم 8 مارس 1919 هو الذى أشعل نيران الثورة. مشيرا بأنه في يوم 9 مارس قد هجر الطلاب المدارس وتفرقوا في الشوارع. وانه في المساء بدأت أعمال التخريب. وفى صباح 10 مارس هاجمت الجماهير غير المنظمة الممتلكات والمبانى، وتم استدعاء الجيش البريطانى لمساعدة البوليس. وفى يوم 11 مارس تحول الموقف الى الأسوأ، حيث اضرب المحامون وترك الموظفون اعمالهم، وتكررت الصدامات بين الجماهير الثائرة والجيش البريطانى والبوليس[1]. كان هذا اجمالا، لكن رسالة شيتهام لكيرزون بتاريخ 10 مارس 1919 تبدأ فى ذكر التفاصيل. فتشرح بأن اعتقال سعد زغلول وزملائه كان له تأثير كبير فى قيام ثورة عارمة بين طلاب المدارس العليا، فمعظمهم خرج فى مظاهرات، لكن البوليس اعتقل 310 فردا منهم. وأنه قد جرت ترتيبات للقيام بمظاهرات كبيرة صباح يوم 10 مارس فى القاهرة، وجاءت حشود الطلاب الى مقرات الشرطة ومقر الجنرال واتسون، الذى تولى مسؤلية التصدى لهم. وبعد عدة ساعات استطاع أن يسيطر على الوضع، ويهدأ من التظاهرات، واصطحب الطلاب حثالة المدينة، لكن حدث تراشق وخسائر، فقتل على أثرها بعض الاشخاص. الى هنا، كانت مظاهرات طلابية وان الاتهام موجهة للحثالة التى استقدمها الطلاب صبيحة اليوم الثانى للثورة. ويشرح لنا شيتهام سبب تعاطف الطلاب مع سعد زغلول، فيقول " ولما كان سعد زغلول وزيرا للتعليم فى فترة من الفترات، فكان معروفا للطلاب، وأن وجود أدلة عديدة على أن الزعامات الوطنية عارضت انتشار المظاهرات، وأن مطالبة على شعراوى للسلطان بإلغاء الاحكام العربية على الطلاب، هو الذى أجج الوضع، يشى بوجود استخفاف بريطانى بالثورة وامكانية السيطرة عليها. لكن حين امتدت المظاهرات لتطلب حق مصر من مؤتمر الصلح فى الاستقلال، من قبل المحامين وأطباء القاهرة، وبصورة غير كبيرة فى الغربية، خصوصا فى طنطا وفى الصعيد، وانهم راسلوا قنصل الولايات المتحدة فى القاهرة، لدرجة أن المحاكم قد أغلقت أبوابها فى القاهرة، حيث رفض المحامون حضور الجلسات [2]، يدلل على أن الراوية البريطانية قد تابعت تجليات الثورة فى يوميها الاوليين فى أكثر من مكان.

وتتوسع الراوية البريطانية فى متابعة المشهد الثورة المتصاعد وفى نقل أخبارها تباعا. فخطاب شيتهام الى كيرزون فى 11 مارس 1919 يشير صراحة الى تمدد المظاهرات وتجددها صباح يوم 11 مارس عبر ضواحى القاهرة المختلفة. وبأن القوات استطاعت السيطرة عليها، ومنعت تنظيم عمال السكة الحديد بالتمدد. ذاكرا بأن طلاب الحقوق قد استطاعوا من أول يوم منع الموظفين الحكوميين من استكمال اعمالهم ومنع الباحثين من حضور المحاضرات، وأن

---

(45) نفسه، ص 108.

(46) F.O.407-184:-, No.70. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 10 March 1919,p.58,59.

الجهود نجحت جزئيا، فتم القبض على اعداد منهم، لكن استمر عدد كبير من موظفى وزارة الاشغال والتعليم خارج مكاتبهم، واستمروا فى الضغط. معتقدا بأن ادخال بعض الاصلاحات سيحل الوضع وسيعود الموظفن لعملهم. مشيرا للمشهد المؤسف بأنهم منعوا كل المحاكم فى الاقاليم من الانعقاد، ومنعوا الأهالي من حضور جلساتهم، بل إن رئيس المحاكم الاهلية حذر من المشاركة فى الثورة. مشيرا بأنه مع وجود التعليمات من وزارة العدل باستمرار محاكمات المجرمين بدون مستشارين قانونيين، إلا أن الاخبار الواردة من الاقاليم قطعت بأن الأهالي فى شبين الكوم منعوا القطار من التحرك، ولهذا اتخذت الادارة البريطانية عدة اجراءات هدفها منع تمدد الثورة. وأن انتشار أعمال العنف والارهاب فى العاصمة جعل قائد القوات يأمر بإرسال تعزيزات الى الاقاليم للسيطرة على الثورة، للحفاظ على اراوح البريطانيين والاجانب [1]. وعلى هذا قدمت لنا الوثائق البريطانية مشاهد تفصيلية للأيام الثلاث الاولى للثورة، متحدثة عن تحركات المصريين بشتى طوائفهم ومختلف اماكنهم فى تأجيج المشهد الثورى.

ورغم أن خطاب شيتهام لكيرزون فى 12 مارس 1919 يقول بأن الحالة فى القاهرة طبيعية فى ذلك اليوم، عدا خطوط الترام التى اصبحت لا تعمل، وأن الموظفين الحكوميين الذين تركوا اعمالهم بالأمس يعودون اليوم لأداء واجباتهم، إلا أن تطورات المشهد الثورى ظلت متلاحقة، حيث تشير الى مظاهرة المحامين، وأن الادارة البريطانية لم تنجح فى وضع الحواجز فى بعض الاقاليم، حيث مارس كبار السن تأثيرهم، وأن الغضب استمر يتأجج أكثر فأكثر، ففى طنطا على سبيل المثال وصلتها قوات لمساعدة قوات البوليس لحماية الممتلكات، وأنهم أمروا بإطلاق الرصاص على اى زحام، مما نتج عنه حدوث قتلى، ولكن يختم بالقول بعودة الهدوء بعض الشيئ اليها، ولا مظاهرات خارجها [2]. وفى نفس يوم 12 مارس اضطربت الاقاليم بالثورة، فوقعت اضطرابات في طنطا، وواجهتها الادارة الاستعمارية بإطلاق النار، وتكرر الأمر في الزقازيق وفى دمنهور والمنصورة وجميع انحاء الدلتا، كما انتشرت في الصعيد[3]. وعلى هذا وصلت الامور فى يوم 12 مارس بوصول الثورة وامتدادها الى كافة ربوع القطر المصرى، وباعتراف الوثائق البريطانية نفسها.

والمشهد المحير فى الراوية البريطانية هى أنها من طرف واحد، وهو شيتهام نائب المندوب السامى البريطانى فى مصر وموظفيه الى وزارة الخارجية البريطانية، دون أن يكون هناك أى تدخل من الثانية فى ادارة المشهد. بل استمر الامر على طول الخط حتى منتصف عشرينيات شهر مارس 1919. ففى نفس السياق يشير خطاب شيتهام الى كيرزون فى 13 مارس 1919 الى حدوث مظاهرات ونهب وسلب اليوم فى القاهرة، وبشكل خاص فى بعض احيائها مثل حى الازهر.

---

(47) F.O.407-184:-, No.75. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 11 March 1919,p.63,64.

(48) F.O.407-184:-, No.78. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 12 March 1919,p.65.

(49) مصطفى امين:- المرجع السابق، ص 108.

وأن الطلاب قاموا بتظاهرات لم ترغب القوات البريطانية فى استمرارها، فذهبت بالقرب من ميدان الجامع الازهر، فاقترح استخدام القوات المصرية، لكن كان من الصعب استخدامها[1]. ويشير خطابه بتاريخ 15 مارس بأن أعمال المظاهرات استمرت في القاهرة بالامس 14 مارس، لكن بمعدل اقل من سابقتها، وأن سيارة مذرعة قامت باستخدام أسلحتها لقتل المتظاهرين. مشيرا بأن تقارير جاءته من الاقاليم تقول بتمدد اعمال المظاهرات في دمياط وفى المنصورة، وأن هناك محاولات قد جرت لقطع خطوط الاتصالات والتلغراف، وأنه تم عزل القاهرة وقطع خط سكة حديد طنطا منوف، وأن هناك استمرار للمظاهرات والتجمعات حول بيت سعد زغلول. وأن استمرار تلك المظاهرات قد جرى لأسباب ناتجة عن شائعات تم توجيهها بأن السياسة البريطانية لن تسمح للمصريين بالتعبير عن مظالمهم، وأنه لن يسمح لقيادتهم بالسفر ومغادرة مصر، وأن كل السياسيين المصرين، ممن كانوا داخل الوزارة او المنتمين لسعد زغلول مثل احمد لطفى السيد، كانوا يخشون من مجرد ذكر اسمائهم في اى حكومة قادمة، وان شيتهام استمع لمصطفى باشا ماهر، الرجل المعروف بانه قوى وصديق للبرطانيين، وأنه حدثه عن ثلاثة شخصيات يمكنها تهدأة الوضع، هم الشيخ ابوالفضل عميد الازهر والسيد عمر مكرم ونقيب الاشرف وعبدالحميد البكرى الشيخ الصوفى الشهير، بحيث يمكنهم أن ينصحوه، وهو سيشجعهم على زيارة المندوب السامى البريطانى، وانه يمكنهم أن يعرضوا عليه امكانية سفر الوفد لبريطانيا، فيوافق ليخرج من الموقف دون حرج. شارحا بأن التهييج قد ارتفع بسبب دعاية سعد زغلول، وأن المظاهرت تحولت في الازهر الى طابع دينى، بسبب قيادة المشايخ وشيخ الازهر لها، بما شكل صعوبة كبيرة، وأن انتشار مظاهرات الفلاحين في القرى والارياف يفرض ضرورة السماح بسفر الزعامات الوطنية [2].

وعلى هذا فإن التفكير فى حل الموقف لم يأت بشكل فوقى من الخارجية البريطانية الى شيتهام، بل من صديق مصرى يحاول انقاذ الرجل عن طريق السماح للوفد بالسفر فتنتهى المشكلة من جذرها.

ويذهب تقرير آخر فى نفس اليوم بأن المظاهرات قد امتدت الى قليوب والواسطى، فأوقف الأهالي القطارات ودمروا الطرق، وقطعوا خطوط التلغراف ودمروا خطوط الاتصالات للصعيد حتى يوم 15 مارس. لكن لا توجد تقارير حول هجوم على الاجانب بسبب شائعات مرور موظفين بريطانيين داخل قطارات بسبب قتل موظف بريطانى فى محطة الواسطى. ويتحدث التقرير بأن رجال السكة الحديد كانوا يقومون بتصليح المحلات فى القاهرة، وحدثت تهديدات ومظاهرات مستمرة. وكذا رفض الشرطة المصرية الظهور قبل ظهور محاكم الوطنيين وتمرير الاعلانات العسكرية والاحكام العرفية والتهديد بالسجن لكل فرد يخالفها. وتطلب الوضع جنود وقوات للحفاظ على خطوط الاتصالات وحماية الامدادات الغذائية. وفى محاولة لإصلاح السكك الحديدية المعطلة رفض العمال المشاركة فى هذا الاصلاح،

---

(50) F.O.407-184:-, No.81. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 13 March 1919,p.67.

(51) F.O.407-184:-, No.82. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 15 March 1919,p.68.

فجاءوا بقوات من فلسطين ممن لديهم الخبرة فى هذا العمل، فتمكنوا من اعادة القطارات للسير[1]. وعلى هذا فان الاسعافات البريطانية لتمرير عملية النقل والمواصلات كانت صعبة للغاية، بسبب الحركة الثورية الجماعية للشعب المصرى وانتشارها وتمددها عبر القطر المصرى.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق، بل كانت هناك تحركات سياسية عبر العرائض الاحتجاجية. وخطاب شيتهام لكيرزون في 16 مارس يشير لدعوة مجلس المحامين بقيادة عبدالعزيز فهمى للتظاهرات عبر المحاكم الاهلية والاضراب عن الحضور. حيث تم تشجيع ذلك من قبل نقابة المحامين التى شجعت اعضائها على الاضراب، وكانوا يتحدثون في كافة الاماكن حول هذا الامر، نظرا لما حدث مع سعد زغلول ورفاقه. وأن شيتهام قابل رئيس محكمة الاستئناف، يحيى باشا ابراهيم، وأعلن أنه لابد من القبض على من يدعو لهذا الامر، ونقل اسمائهم من كشوف المحامين المشتغلين لغير المشتغلين[2]. ويشير خطاب شيتهام لكيرزون فى ذات اليوم انه استلم من القصر عدة عرائض باللغة العربية من احياء مختلفة مكتوبة للسلطان فؤاد، بعد القبض على سعد زغلول وثلاثة من رفاقه تدعو فيها السلطان بأن يعلن بأنه مع الوطنيين وضد الحماية البريطانية، وتطالب بالسماح للوفد بالذهاب لأوروبا. مطالبين بقبول استقالة رشدى وعدلى باشا، وتطالب السلطان بحل الازمة. وتتظلم من عدم سماح السلطات الاستعمارية البريطانية للوفد المصرى بالسفر لمؤتمر الصلح لسماع مطالبه، وتتساءل لماذا يرفضون السماع لمطالب الامة المصرية، بينما سمحوا للوفود من الامم الصغيرة بالسفر لباريس لإسماع شكاواهم. مشيرا بأن قيادات القاهرة هى التى صاغت تلك العرائض وتحكمت فى المشهد، ورفضت عرائض من الغربية والدقهلية والمنيا دون تعليقات كبيرة على الرفض، وأن هناك غياب لبعض القيادات عن التمثيل، فـ58 من الموقعين على العرائض من تجار القاهرة و12 منهم يمكن اعتبارهم مؤثرين فى هذا الموقف بقيادة عبدالخالق مدكور الذى جاء اسمه على رأس القائمة، وهو تاجر مشهور. ايضا هناك عريضة مهمة من أطباء القاهرة المشتغلين فى وزارة الصحة العمومية. معتقدا بأن بعض الاسماء تعاطفت مع الزعامات الوطنية المقبوض عليها. معلقا بأن هناك عرائض من نقابة المحامين والمشتغلين بوزارة العدل، وهناك عرائض لا يعرفون شيئا عن الموقعين عليها، تعتقد سلطات العدل البريطانية بأن المحامين الموقعين على العرائض يريدون الاستقلال بسبب الموقف من الزعامات الوطنية. وأن هناك 600 محاميا من المقيدين بكشوف

[52] F.O.407-184:-, No.83. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 15 March 1919,p.68.

[53] F.O.407-184:-, No.118. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 11 March 1919,p.98.

المشتغلين فى نقابة المحامين، منهم 110 فقط وقعوا على العرائض، والاسماء لا تقتصر على القاهرة بل فيها اسماء من الاسكندرية وطنطا وبنى سويف واسيوط. ومنهم عدة اقباط وبعض السوريين، وغالبية الاسماء لشباب ورجال مغمورين، وهناك من المشاهير المعروفين، ومنهم 7 اعضاء حاليين، و5 اعضاء سابقين فى نقابة المحامين، و9 من هذه الاسماء تظهر فى أول الموقعين على العريضة من ال 31 اسم من الاسماء التى ليس لها نشاط سياسى. اما عريضة المشتغلين بوزارة العدل فوقع عليها 98 اسما، معظمهم يعمل فى وظائف ثانوية، مدير المجلس الحسبى ومدير المحاكم الشرعية، وكل الرجال لديهم قدرة استثنائية، ومنهم وليم مكرم عبيد، وهو قبطى خريج اكسفورد والسكرتير الخاص للمستشار، لكن يلاحظ أن غالبية الاسماء لا ترغب فى ادخال نفسها فى السياسة، وحدث هذا الادخال فقط بتأثير الوضع العام [1].

ونظرا للمخاطر التى رصدتها الوثائق البريطانية فى مصر، حدثت محاولات كثيرة لإنقاذ الموقف وتسيير خطوط المواصلات بين المدن المصرية الكبرى على الأقل. بل تؤكد على ذلك احدى الدراسات بأنهم جاءوا بقوة من المشاة المصرية، وصلت من فلسطين لتوجيه عمليات التهدئة في مصر[2]. وفى هذا السياق يخبرنا شيتهام فى خطابه لكيرزون فى 17 مارس 1919 بأن الجنرال السير إدوارد بولفين حضر من فلسطين، وأبلغه بأن الهدف يتمثل فى الحفاظ على خط الاتصال مع الاسكندرية وبورسعيد، فى حين كانت هناك صعوبة بالنسبة لخطوط الصعيد، وان امدادات غذاء القاهرة اعتمدت على الحفاظ على خط الاسكندرية، وان الهجوم على الاجانب واقباط المصريين سيجعل الاهالى يضحون بحياتهم. مما جعل الجنرال واتسون يميل الى محاولة ادخال المصريين لإحداث تهدئة. لكنه يتحدث عن مزيد من الصعوبات فى الصعيد، وأنه يوجد تعاطف مع الثورة من كل الفئات، بما فيهم الاقباط. وأن هناك ضرورة فى التركيز على أن مؤتمر الصلح أعلن الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر، ونصحه مظلوم باشا بإجراء مصالحة، وان السماح بالسفر سيهدأ الوضع، وان عدلى باشا يريد أن يتهرب من موقفه، وأنه مطلوب منع الاجانب من سكنى الصعيد، وأن القاهرة تتجه للتهدأه، لكن لم يحدث تغيير، وأنه لابد من إحداث توعية، وأن احداث هذه التهدئة يبدأ من باريس[3]. حيث كان الوضع يزداد سوءا، ففى 17 مارس عزلت القاهرة عن الاقاليم، ودمرت خطوط السكك الحديدية، وقطعت أسلاك التغراف والتليفون. واستمرت الاضطرابات في الاسكندرية وفى بقية المدن، حيث حدثت

---

(54) F.O.407-184:-, No.119. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 16 March 1919,p.99,100.

(55) **Michael Barry Bishku**: Op.Cit.,p.75

(56) F.O.407-184:-, No.87. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 17 March 1919,p.70,71.

صدامات بين الشعب والجيش البريطانى. ولم تستطع القوات البريطانية أن تفعل شيئا للسيطرة على بعض المناطق. فكانت الفوضى تسود مدن الدلتا، وكان الموقف في الصعيد خطيرا، حيث دمرت الوحدات العسكرية البريطانية، وانتهت كل سلطة للحكومة هناك. واتوا بالجنرال بولفين من فلسطين للسيطرة على الموقف. وفى 18 مارس نشبت ثورة في اسيوط نتج عنها قتل ثمانية من الانجليز. واصبح الصعيد يلتهب بالثورة، واصبح اكثر عنفا، وحوصر الانجليز في المنيا [(1)]. وبالتالى فإن الرواية البريطانية لفعاليات ثورة 1919، تقطع بقوة الشعب المصرى وقدرته على تحويل حياة دولة عظمى الى جحيم.

ولعل بيان الحالة فى مصر الذى قدمه ايرل كيرزون لمجلس اللوردات فى 18 مارس 1919 يقطع بأن بريطانيا العظمى بدأت تستعرض تعاملاتها مع الموقف فى مصر، وأن مجلس اللوردات بدأ يطرح تساؤلات عما يحدث داخل مصر. فراح كيرزن يستعرض لهم الموقف من بدايته. مشيرا بانه فى نوفمبر 1918 شكلت الحركة الوطنية تحت قيادة سعد زغلول وفدا ذهبوا للمندوب السامى البريطانى فى مصر، طالبين منه السفر للدفاع عن استقلالهم، وانه سيرحلون لبريطانيا ويطرحون الاشراف على الدين العام وتسهيلات الابحار عبر قناة السويس. وانهم سيضعون مطالبهم فى لندن امام الادارة البريطانية، واختاروا لجنة مكونة من 14 قياديا مهمتها ترتيب الهياج عبر القطر المصرى، وتجمع توقيعات الوفد للتمثيل، والمال لتنفيذ مهمتهم فى لندن. فاقترح رئيس الوزارة رشدى باشا ومعه وزير التعليم عدلى يكن بأنهم هم الذين سيزورون لندن لمناقشة الاحوال فى مصر، وحث الادارة البريطانية بالسماع للوطنيين فى لندن. وفى نفس الوقت الذى تعاطفت فيه الحكومة البريطانية مع الفكرة اعطت للمصريين امكانية المشاركة الكبيرة فى تشكيل حكومة بلدهم. لكنهم تخلوا عن مسؤلياتهم من أجل حكومة جيدة فى مصر. مشيرا لخلفية الموضوع وبأن الحماية البريطانية أعلنت على مصر سنة 1915 ليراعوا مصالحهم فى تلك المنطقة ومصالح الاجانب. وراوا انه لا فائدة من ذهاب القيادات المصرية الى لندن، اما الوزراء فمرحب بزيارتهم فى الاسابيع الاولى لمؤتمر الصلح، حيث يكون السيد بلفور غائبا فى باريس وتكون زيارتهم قصيرة لكن الوزيرين استقالا مع استقالة الحكومة. وفى بداية يناير 1919 وصل ونجت المندوب السامى البريطانى الى لندن، وكتب تقريرا ذكر فيه بأن الوزيرين سيصلان لبريطانيا فى منتصف فبراير، وأنه وجهت لهما الدعوة لكنهما اصرا على انهما لن يذهبا الى لندن الا بعدما يسمح للوطنيين بالذهاب اليها. فشعرت الحكومة البريطانية بانها لا يمكنها قبول تلك الحالة، بعدها استقال الوزيران واتخذت خطوات لتشكيل حكومة جديدة. وأنه حينما سمع الوطنيين رفض السماح لهم بالسفر، رفضوا تشكيل حكومة مهددين السلطان والوزراء من الاقدام على هذا الفعل، فتم الامر باعتقالهم وترحيلهم الى مالطة، سعد زغلول وثلاثة من زملائه الذين لعبوا الدور الاهم فى التهييج الحالى. فحدثت مظاهرات واضطرابات فى القاهرة ومدينتين اخريين

[(57)] مصطفى امين:- المرجع السابق، ص ص 108، 109.

تركزت فى الطلاب، واشتركت القوات البريطانية مع البوليس المصرى فى الحفاظ على النظام فحدث قتل[1]. ورغم استعراضه للموقف الا ان تلخيصه المخل لفعاليات الثورة فى مصر، كان هروبا من المساءلة البرلمانية وتبريرا موجزا لحدث ثورى ينتشر ويتمدد.

فقد استمرت الحالة الثورية فى مصر متصاعدة بصورة غير مسبوقة، فخطاب شيتهام لكيرزون فى 18 مارس 1919 حول الحالة فى مصر خلال الاربع والعشرين ساعة السابقة، تبرز بأنه ما بين القاهرة والاسكندرية وبوسعيد تم تدمير اشياء كثيرة، واحرقت قطارات وتعطلت خطوط السكك الحديد. وأن احد القطارات وصل من بوسعيد للقاهرة فى مدة 26 ساعة، بعد قيام القوات العسكرية البريطانية باصلاح الخط. ويقول بأنه لا اتصالات بالصعيد بعد الواسطى، وأن هناك مشاكل كبيرة فى تلك المناطق، حيث دمرت محطات كثيرة. ووصل الأمر جنوبا حتى بورسودان التى دمروا كل محطات السكة الحديد القادمة اليها، وأنه تم تدمير كل خطوط التلغراف واعمدتها فى كل الاتجاهات. وفى القاهرة جرت المظاهرات بطريقة سلمية، حيث شارك فيها الالاف بقيادة مثقفى الجامعة، وجرت مظاهرات امس دون حادث واحد عدا اشتباك احد المواطنين مع مجموعة من الجنود، وحدثت مظاهرات اليوم فى بولاق، وانتشرت منها الى اماكن عديدة، وجرت ايضا عبر اماكن عديدة فى القاهرة. اما فى الاسكندرية فقد انضم موظفى بريد البوسطة الخديوية للطلاب، وحدثت مصادمات عديدة مع الجنود، والقى الكثيرون فى قفص الاتهام، ونهبت مخازن الحبوب والسكر ومستودعات الغاز وهوجمت مصانع السكر فى القاهرة واغلقت [2].

وما يثير الدهشة أن خطاب ايرل كيرزون للسيد بلفور فى 19 مارس 1919 يشير لمشاورات وزارة الخارجية حول ضرورة عودة اللنبى لمصر بعد حضورة لباريس، وتنسيق المسألة مع السيد ونجت، وأن يتم هذا الامر فى ظرف اسبوع [3].وخطاب شيتهام لكيرزون فى ذات اليوم يشير بأن الجنرال بولفين مر على شيتهام بعد أن قام بزيارة السلطان فؤاد، وأخبره بأنه عندما رأى القلاقل شعر بالتعاطف معهم، وأن السلطان فؤاد اخبره بأن الاقليات الاجنبية لن تحصل على الأمن من لندن، بل لابد من تهدئة الأوضاع فى مصر حتى يعود الاستقرار للبلاد، وانه سيصرح لمن يرغب للأجانب بالسفر فليسافر، حتى يتم ضبط الاوضاع فى القاهرة ويحيطه علما بأن البدو يقومون بأعمال السلب والنهب فى البحيرة، ولا أحد فى مصر الآن يمكنه القول بإمكانية التهدئة. حيث برز على السطح ما سمى بكراهية البريطانيين، وكراهية شخص السلطان وكراهية الاجانب، وحدث حضور للبلشفية بغرض تحديد الملكية وتنظيم العلاقات ودفعها. حيث حدث تأثير أجنبي فى تلك المسالة، وان هذا التأثير له سنوات يتمدد، مما جعله ينفجر فى تلك المناسبة.

---

[58] F.O.407-184:-, No.79. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 18 March 1919,p.65,66.

[59] F.O.407-184:-, No.89. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 18 March 1919,p.71.

[60] F.O.407-184:-, No.88. Earl Gurzon to Balfour , 19 March 1919,p.71.

مطالبا بتدخل القوات العسكرية البريطانية، وألا يجرى التعامل مع المصريين من منطق الخوف او التعاطف، لأن هذا سينشر الثورة أكثر فأكثر[1]. وعلى هذا فان بروز التاثير البلشفى بدأ يتم التركيز عليه منذ 19 مارس، وأنه السبب فى كراهية الاجانب، وخصوصا اليونانيين، وفى انتشار اعمال السلب والنهب.

وفى 19 مارس ايضا يلخص خطاب شيتهام لكيرزون الوضع خلال الابع والعشرين ساعة السابقة، فيقول بأن الوضع فى شمال القاهرة خطير للغاية، وان الثورة مستمرة على طول الخط فى البحيرة والغربية والدقهلية والمنوفية، وفى بنها نهبت محلات اليونانيين، وفى دمنهور حدث تعدى على حاكم المديرية وحدث هجوم على المقرات وحدث ضرب وحالات وفيات. وفى بعض الاماكن قتل بعض أفراد البوليس، وهوجمت خطوط السكك الحديدية، واحرقت خطوط التلغراف ودمرت أعمدته. وراحت القوات البريطانية تقوم بإصلاح الخطوط المدمرة، غير ان حكومات الاقاليم فى منطقة الدلتا غير موجودة، ولا تمارس عملها إلا فى الاماكن التى توجد فيها القوات العسكرية، حيث تم تدمير المزارع. وقام البدو بأعمال النهب، ورفعت بعض القرى العلم التركى، وشاركت بعض القوات المصرية فى جنوب القاهرة فى إصلاح الخطوط الحديدية، وأن البدو والقرويين كانوا يقومون بأعمال النهب والسلب وبتدمير الخطوط. وجاءت أنباء من أسيوط عبر تلغراف سواكن تشير باستمرار الثورة والمظاهرات. وفى الحوامدية لجأ الموظفون الأجانب فى مصع السكر الى الالتجاء لنهر النيل والاحتماء به وتناول وجباتهم. وفى طوخ حدثت حرائق وجاءت تقارير تشير بان السلام حل فى المنيا واماكن الجنوب الاخرى. وفى القاهرة حدثت مظاهرات متقطعة، وتوقفت عبر اطلاق النار، وتدخل القوات. وراحت الصحافة الوطنية تدعو الناس للهدوء، فى حين راحت القيادات تحرض الناس على استمرار التظاهرات. وحاولت قيادات الازهر حث القيادات المسيحية البطريركية والمجتمع للمشاركة فى النشاط الثورى والتحركات. وجاءت أخبار من بنى سويف تشير بهجوم البدو على الجنود الهنود عبر القطار القادم من الجنود، والذى قتل منه ستة ضباط بريطانيين وجنود[2]. وعلى هذا فإن قصة مشاركة المسيحين فى ثورة 1919 قد جاءت بطلب من المسلمين ومن مشايخ الازهر. ولعل ما تتحدث به احدى الدراسات حول قصة مغادرة قطار 19 مارس 1919 من الأقصر وباتجاه القاهرة، وعلى متنه بعض الضباط الانجليز ومفتش السجن البريطانى، الذى كان مكروها لمئات الفلاحين في صعيد مصر الذين قاوموا التجنيد في فيالق العمل، تشرح عملية السخط القائمة فى الصعيد. حيث هوجم هذا القطار فى ديروط من قبل الفلاحين الثائرين، وقتلوا من فيه من الضباط الانجليز وجنودهم،

(61) F.O.407-184:-, No.92. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 19 March 1919,p.72.

(62) F.O.407-184:-, No.93. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 19 March 1919,p.73.

وحدث تفكيك لخطوط القطارات، وتواطئت الشرطة المحلية وسلطات المركز مع تصرفات الحشود، ووقف بعض الأعيان المحليين مؤيدين لتلك الاعمال[1].

على أية حال بينما اعمال الثورة تتصاعد، راحت بريطانيا تتراجع الى الخلف وتقبل ما رفضته من قبل. حيث يخبرنا خطاب كيرزون لشيتهام فى 20 مارس بموافقته على ما اقترحه من قبل فى خطاب 13 مارس من ضرورة السماح للقيادات المصرية بالسفر، وأنه يمكن أن يصرح بذلك فى اعلاناته دون أن يشير للخارجية البريطانية[2]. بل يراسله فى ذات اليوم مستفسرا عن حالة القوات العسكرية المصرية والبوليس خلال المظاهرات، وايضا نفس الأمر ارسله للسير لى ستاك حاكم عام السودان[3]. وكأن الخارجية بدأت تستفيق لأول مرة ونسمع لها صوت. فمن الروايات السابقة نجد انها منذ قيام الثورة كانت باتجاه واحد من دار المندوب السامى فى القاهرة الى الخارجية البريطانية. ولاول مرة وبعد 11 يوما من اشتعال الثورة نجد تجاوبا مع أحداثها من قبل الادارة البريطانية فى لندن.

وخطاب شيتهام لكيرزون في 20 مارس حول الاجراءات التى قامت بها القوات البريطانية للسيطرة على ثورة الدلتا، وأنه شجع المصريين على الاقتراب منه، دون تشجيعهم على قبول مقترحاتهم، وأن القائد العام للقوات المسلحة تقابل مع وهبة وسرى باشا وعمر طوسون، مكررا التحذير المرسل للسلطان ومطالبا بمساعدة القيادات المصرية في التهدئة، يشرح الدور الذى قام به شيتهام والقائد العام البريطانى لاحتواء الثورة. حيث تقابل ايضا مع على شعراوى وعبدالعزيز فهمى وطالبهم بإبعاد انفسهم عن العنف والارهاب، وأن يتعاونوا معه في احلال الاستقرار، لكنهم لم يبدوا رأيا، بل عبروا عن مخاوفهم وقلقهم من الوضع. فطالبهم بوضع مقترحاتهم مكتوبة. مشيرا بأنه إذا كان موظفوا القاهرة قد مالوا الى التهدئة، فإن موظفى الاقاليم استمروا على حالة الثورة، في حين انعزل السلطان بقصره عن الاحداث، واصبحت لا سلطة له على الموقف. لكن بتصاعد الموقف تطورت ردود القوات البريطانية للسيطرة على الحالة في مصر، وكان لابد من فتح خط التفاوض مع القيادات المصرية والسماح لهم بالذهاب الى لندن[4]. فخطاب شيتهام لكيرزون فى ذات اليوم يشير لما حدث خلال الاربع والعشرين ساعة السابقة، من أن عمال شركة السكر بالحوامدية طالبوا بسحب القوات البريطانية، وأن اتصالات حلفا مع تقارير بنى سويف مع شمال العلاقى جنوب اسوان، تقول بأن لاجئين بريطانيين جاءوا الى القاهرة من بنى سويف، وان الوضع كان خطيرا فى الفترة من 14-16 مارس، وأن البدو هاجموا بنيرانهم، وانه تم قتل 7 ضباط بريطانيين قادمين بالقطار من الاقصر، وأن اخرين قتلا

---

(63) Ellis Goldberg:- Op.Cit., pp. 273 -,

(64) F.O.407-184:-, No.90. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham , 20 March 1919,p.72.

(65) F.O.407-184:-, No.91. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham , 20 March 1919,p.72.

(66) F.O.407-184:-, No.96. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 20 March 1919,p.74,75.

بالقرب من ملوى، واحرقت ثلاث محطات جنوب ملوى، وهاجم البدو مدينة الفيوم، وحدثت خسائر تجاوزت ال 400 فرد، وأنه برغم الهدوء الذى يسود فى القاهرة إلا أن بعض المحطات الحديدية احرقت فى السيدة زينب، وتم منع تظاهرات اعداد كبيرة من النساء، وحدثت تظاهرات قليلة حول القنصلية الامريكية، وتوقفت القطارات عن بورسعيد والاسكندرية فى الزقازيق وطنطا، وتجمدت الاتصالات بين القنطرة والقاهرة، وحدثت خسائر فى عدة اماكن اخرى، وانتشرت الفوضى فى المنوفية والغربية والبحيرة والدقهلية، وقطعت التليفونات عن الغربية، وتم نقل البوسطة بالطائرات من الاسكندرية للقاهرة، وتم احراق محطة طنطا وسط الزحام، ولم يصل البريد من الاسكندرية منذ يوم 19 مارس[1]. كل ذلك يشهد لجموع المصريين بالفخر والشجاعة والقوة فى مقارعة الامبراطورية العظمى. فالروايات البريطانية تؤكد على عظمة المصريين وما فعلوه فى ثورة 1919، وترسخ بأنها ثورة شعبية بكل ما تعنية الكلمة من معنى ومضامين ومحتويات.

وخطاب شيتهام لكيرزون فى 21 مارس يشير الى اعادة توظيف القوات المصرية عبر ربوعها. فعلى سبيل المثال تقرر عدم استخدام الكتائب المصرية الثلاث الموجودة فى العباسية فى السيطرة على مظاهرات القاهرة، خصوصا ضد طلاب الازهر المشاركين فيها، وتبنى البوليس توزيعهم على أماكن شتى، 125 فرد ارسلوا للصعيد و500 فرد تم تعيينهم كحرس فى بوليس القاهرة لحراسة محطات القنابل. وتشير الوثيقة الى أن الجنود المصريين كانوا غير راضين عما تقوم به القوات البريطانية من اطلاق النار، خاصة وأن بوليس القاهرة قد شارك بفعالية وادى دوره. وتختم الوثيقة بأن الادارة البريطانية تعرف القليل عما حدث بالأقاليم المصرية، لكن احد التقارير المهمة عنها عبر الوارد من خطوط البوليس تشير بأن قوات والبوليس كانت بلا اسلحة[2].

ورغم أن الخارجية البريطانية تدخلت كما عرفنا بدءا من 20 مارس، إلا أن خطاب ايرل كيرزون لبلفور فى 21 مارس يشير بتحرك أكثر فعالية، عبر خطاب التكليف الذى أرسل من قبل الحكومة البريطانية للجنرال اللنبى، وموقعا من قبل الملك البريطانى، بأنه نظرا لغياب السير ونجت عن مصر، تم تعيينه مندوبا ساميا على مصر والسودان بدلا منه، وانه مفوض بالسلطة المدنية والعسكرية لإحلال الامن والاستقرار والحفاظ على الحماية البريطانية على مصر، وانه سيخبر السلطان المصرى بأمر تعيينه، وسيتم اعلان تعيينه رسميا [3]. وبالتالى كان تحرك بريطانيا مزدوجا عبر فتح مسار التفاوض والسماح بسفر الوفد لبريطانيا، وتعيين الجنرال اللنبى للحسم وانهاء الثورة. وفى نفس السياق نرى كيرزون يخبر شيتهام فى 21 مارس 1919 بأن الجنرال اللنبى فى طريقه الى مصر، وأن عليه أن يخبر السلطان بأمر

---

[67] F.O.407-184:-, No.97. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 20 March 1919,p.75.

[68] F.O.407-184:-, No.98. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 21 March 1919,p.75,76.

[69] F.O.407-184:-, No.94. Earl Gurzon to Balfour , 21 March 1919,p.73,74.

تعيينه مندوبا ساميا على مصر، وانه مفوض بالسلطات المدنية والعسكرية لتطبيق القانون واحلال النظام، وفوق هذا أمره بشكل شخصى أن يتفهم الحالة التى تم فيها تعيين الرجل، وعليه ان يساعده فى تنفيذ مهمته[1]، حتى لا يعتقد فى نفسه التقصير والفشل.

ورغم هذه التطورات والتغييرات إلا أن رسالة السير لى ستاك، حاكم عام السودان، لكيرزون فى 21 مارس تشير بتأثير ثورة مصر فى السودان، وامتداد الثورة اليها [2]. وخطاب شيتهام لكيرزون فى 22 مارس يشير لسوء الحالة فى مصر حتى ظهيرة نفس اليوم عبر الاربع والعشرين ساعة الماضية. حيث يقول بأنه بالرغم من هدوء القاهرة إلا أن عمال السكة الحديد وسائقى النقل قد استمروا فى الاضراب، بل خرجت زوجات عمال التلغراف بأطفالهن متظاهرين فى هليوبوليس بينما كان ازواجهن فى العمل. وانتقل عربان الفيوم وبنى سويف لمهاجمة القاهرة بنيرانهم، وانتشرت حالة من التظاهرات بشكل كبير فى كل المدن والقرى من المنيا الى دراو، وحدث هجوم من قبل العربان على مدينة الفيوم، فتم استقدام الاوروبيين الى مدينة الفيوم نفسها، وتدمرت خطوط القطار ما بين القاهرة والواسطى فى عدة اماكن، وأن القطار الذى ترك بورسعيد الساعة الثامنة صباحا وصل القاهرة فى الرابعة والنصف عصرا، حيث استوقفه 14 مجهول فى القصاصين وابوحماد والزقازيق وتم تدمير الخط من الزقازيق الى الاسماعيلية فى احدى الاماكن ليلة امس، وتم تدمير محلات اليونانيين فى الزقازيق، مما أرغم الأوروبيين من كافة القرى للمجيئ لمدينة الزقازيق. وفى بعض الاماكن كالمنوفيه، وخصوصا فى مدينة منوف، تعطلت الادارة المدنية عن اداء عملها، حيث ذكر اعيان تلك المنطقة بانهم غير راضين عن حالة عدم النظام. وفى نفس السياق تدمرت خطوط طنطا المنصورة، وطنطا زفتى، وهناك اخبار قليلة عن بقية مدن الدلتا. وتأسست حقيقة مفادها أن بعض قساوسة الاقباط ذهبوا للأزهر وخطبوا فى الجموع الجمعة الماضية [3]. وعلى هذا كانت الحالة الثورية فى مصر تزداد اشتعالا.

والمدهش فى الأمر، ورغم زخم الحالة الثورية، نرى خطاب كيرزون الى اللنبى في 22 مارس، يشير بأنه تلقى خطاب مجلس التجارة، وبه خطاب من اللجنة الامبراطورية لزراعة القطن، حول زيادة انتاج القطن في مصر[4]. وكأنه يريد أن يستقطب قطاعا من المستفيدين المصريين سعيا للتهدئة. لكن يأتى خطاب شيتهام الى كيرزون فى 22 مارس ليقطع بأنه لا يوجد مصريين بارزين يخاطبوه منذ عدة ايام، مفسرا ذلك باعتقادهم بأن الاحداث الجارية ستقود الى حركة استقلال مع مؤتمر الصلح، وان بريطانيا ستسوى معهم المسألة، وهم يرغبون فى حل الازمة عبر تلك الخطوط. وأن

---

(70)F.O.407-184:-, No.95. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham , 21 March 1919,p.74.

(71)F.O.407-184:-, No.111. Sir L.Stack to Earl Gurzon , 21 March 1919,p.92.

(72)F.O.407-184:-, No.99. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham , 22 March 1919,p.76.

(73)F.O.407-184:-, No.100. Earl Gurzon to Sir Allenby, 22 March 1919,p.76.

بعضهم كان يرغب فى الانضمام لحزب سعد، واخرين لا يرون اهمية لذلك، وانه لا يوجد أحد يرغب فى المجيء الينا بعيدا عن تلك الحلول. معتقدين بأنهم لو رجعوا فارغى اليد الى اتباعهم لسقطوا فى اعينهم، وبعضهم يقول بأنه بنى صداقاته مع بريطانيا لمدة ثلاثين سنة، وأنه سيقطع كل اتصالاته معهم، لأن مهمة الحكومة المصرية ستكون صعبة. مشيرا بأن تلك الشخصيات صنعت تلك التوقعات، لكنهم لم يروا تشجيعا بريطانيا عليها. وكان بعضهم ضمن ملاك الارض فى الصعيد، وكان بعضهم يشغلون وظائف حكومية من قبل، وحافظوا على علاقاتهم مع القيادات الدينية الثلاث وايضا المفتى. فى حين كان للموظفين الاخرين وجهة نظر محافظة، امثال مصطفى باشا ماهر، مدير عام الاوقاف، واحمد باشا عفيفى ناظر الخاصة ايام السلطان حسين، وكميل باشا جلال من ملاك الارض بالصعيد، وللوم والسعدى شيخ البدو بالفيوم، واسماعيل باشا اباظة عضوا الجمعية التشريعية، وامين باشا غالى احد ملاك الارض الاقباط. وتقابل سرى باشا مع نمر فى جريدة المقطم، وأخبره بوجود قيادات لكن هناك صعوبة فى تكوين الوزارة من هؤلاء[1]. وبالتالى فإن براعة المشهد الثورى واجماع المصريين عليه، قد أجبرت الجميع على السير فى ركب الثورة وعدم الحديث مع البريطانيين.

واستمرت جموع الشعب المصرى تعبر عن ثورتها وغضبها بلا اى انقطاع، ورسالة شيتهام لكيرزون فى 22 مارس تحدثنا عن الاحداث التى وقعت والسرقات لمرافق الحكومة التى حدثت، وانه تم القبض على البعض، وأن الفيوم كانت هادئة، وان هناك تظاهرات فى الواسطى وبنى سويف من قبل المزارعين دون رفع يافطات منذ 20 مارس. وفى اسوان وفى 19 مارس قطعت خطوط التلغراف والهاتف، واغلق بيت المحافظ واغلقت المحكمة وتحطمت خمسة كم متر من خطوط السكة الحديد قرب كوم امبو، ووصل 71 مسافرا الى حلفا قادمين من الشلال، منهم 37 من اسوان، والبقية قادمين من الاقصر. اما القاهرة فكانت هادئة، حيث عاد بعض سائقى النقل الى عملهم، واطلق البوليس النار على بعض المواطنين فى القاهرة انهم كانوا يمشون بالليل، وتعرض مصنع الصودا فى وادى النطرون فى 19 مارس لخسائر. وهاجم 60 فردا الجنود الاستراليين فى الشرقية فهربوا مما جعلهم يتركون 5 قتلى، ودمرت بعض الخطوط من القاهرة لقناة السويس، وهدمت بعض قنوات الرى فى البحيرة، واحتشد الالاف على قناة الخطاطبة، ودمرت بعض خطوط السكة الحديد شمال الغربية، وهوجمت محلات اليونانيين فى طنطا فى الـ 20 من مارس، وقطع خط التلغراف من مطروح الى الاسكندرية فى ليلة 19 مارس، وفى 17 مارس كانت لا توجد حركة غير معتادة لبدو مطروح، وكانت الاسكندرية هادئة، وقتل مدير البحيرة متاثرا بجراحه[2].

---

[74] F.O.407-184:-, No.101. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 22 March 1919,p.77.

[75] F.O.407-184:-, No.102. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 22 March 1919,p.77,78.

وخطاب كيرزون لشيتهام فى 22 مارس يشير بأن الاعتبار الاول والأساسي فى الاجراءات العسكرية كان يدور حول اقرار القانون والنظام، وأن اى مقترح يقدم لشيتهام من الاهالى، عليه أن يرسله له، وأن ينتظر أوامر بعد تطبيق النظام والقانون[1]. وخطاب شيتهام لكيرزون فى 23 مارس يشير لما حدث اليوم، وأن مدينة الوسطى وقراها كانت هادئة، وأن كل شيئ هادئ فى منطقة البحير الاحمر، و فى الغردقة هدد عمال استخراج الغاز بالاضراب عن العمل. وبمرور الطائرة على الفيوم اشار التقرير بانها كانت هادئة لكن قطع خط الحديد بين امبابة وبولاق ومزيد من العمال يعملون فى ورش السكة الحديد. واعنت الزقازيق كجمهورية بواسطة اللجنة الوطنية وخارج مناطق الشرقية يسود عدم النظام وفى البحيرة يعمل المزارعون عدا المنطقة من دمنهور الى كفر الزيات. وتجمعات البدو تنتشر فى المناطق الغربية للإغارة على المدن الرئيسية. وأن هناك تظاهرات كانت تعم اماكن عديدة قرب اسيوط، وتم قطع خط الحديد بين قويسنا وبنها الليلة الماضية، واقتلعت خمسة خطوط ووصل قطار المسافرين من الاسكندرية الى القاهرة فى الرابعة والنصف صباحا. وتشير التقارير بأن مدينة الاسكندرية كانت هادئة، وتسود حالة العنف فى المطرية وبحيرة المنزلة ومحاولات للإبحار من دمياط الى بورسعيد. وفى يوم 18 قتل 10 مواطنين فى المنصورة وجرح 34 فى المظاهرات بما فيهم المأمور. ونهبت شركة البحيرة فى بسنديلا، وحدثت مظاهرات فى زفتى وشربين والسنطة، ولم تحدث مظاهرات فى السلوم او مريوط او سيوة، فكان يسودها الهدوء ولا مظاهرات ايضا فى وادى النطرون[2].

وجدير بالذكر أن ثورة 1919 قد بدأت تتعدى حدود مصر الى مناطق أخرى، حيث يشير خطاب شيتهام لكيرزون فى 23 مارس لما حدث من تأثير للثورة المصرية فى السودان، لكن استمرت الاتصالات البحرية والبريد مع السودان ، حيث كان هناك اصرار بريطانى على الحفاظ على ميناء بورسودان، وبوجوب اخلاء السودان من النساء الاوروبيات والاطفال[3]. وبدأت الادارة البريطانية تسعى للتهدئة والسيطرة على الموقف، وخطاب شيتهام لكيرزون فى 24 مارس يشير بأن الحالة تتطور، وأن القائد العام للقوات المسلحة يبذل قدر استطاعته، لكن الفلاحين يصعدون من احتجاجاتهم ضد الملاك. وتعطينا الوثيقة إشارة مهمة فى المجموعة المصرية التى استعانت بها تلك الادارة لاستعادة الهدوء، فتقول بأن مظلوم ورشدى وسرى وعدلى راحوا يشكلون مجموعة لمساعدة القائد العام لإحلال السلام فى القطر، ملمحا الى أن اللغة التى سمعها منهم لا تصل بهم الى المطالبة بالاستقلال[4]. بما يعنى أن حسابات هؤلاء السياسية أفادت بريطانيا أكثر مما افادت الثورة المصرية. وربما يكون اعتراف الحلفاء بالحماية البريطانية على مصر

---

(76)F.O.407-184:-, No.103. Earl Gurzon to Sir M. Cheetham , 22 March 1919,p.78.

(77)F.O.407-184:-, No.104. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 23 March 1919,p.78.

(78)F.O.407-184:-, No.121. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 23 March 1919,p.100,101.

(79)F.O.407-184:-, No.105. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 24 March 1919,p.78,79.

هو الضربة القاضية التى أضاعت الآمال المصرية في الاستقلال. فراحت الادارة الاستعمارية تعمل على التأثير على النخبة السياسية بدفعها مرة أخرى بقبول الوضع الاستعماري[1]. وخطاب بلفور لكيرزون فى 24 مارس يشير الى اعتراف اسبانيا بالحماية البريطانية على مصر، باعتبارها من الدول المعارضة لذلك[2]. وبالتوازى تخبرنا رسالة شيتهام لكيرزون فى 24 مارس بأنه زار السلطان فؤاد، وأبلغه بتعيين الجنرال اللنبى مندوبا ساميا، واعلان ذلك للمصريين[3]. وأوضحت رسالته فى 24 مارس بأن موظفى وزارة الداخلية ظلوا فى اماكن اقامتهم الرئيسية، وتم تعيين موظفين بريطانيين آخرين بهدف تقوية الطاقم العسكرى وامداد الموظفين المدنيين بالنصيحة فى كل المدن المصرية، بحيث يمكنهم التواصل مع كل هيكل مؤسسى من القوات فى الدلتا، من الموظفين الانجليز الذين يجيدون العربية، ليتعرفوا على الحالة القائمة[4]. وثمة نتيجتين نخلص اليهما، الاولى، أن معالجات الخارجية البريطانية للأخطاء التى وقعت فيها، بدأت تعيد لها امكانية فرض الامر الواقع على السياسيين المصريين، من خلال تصدير اليأس لهم بأن هناك قبول دولى بالحماية. الثانى، أن الاجراءات الداخلية التى فرضتها الادارة الاستعمارية بعملية الاحلال والتبديل قد جاءت لعدم الثقة فى رجالات البوليس المصرى لتعاطفهم مع بنى جلدتهم ورفضهم لاطلاق النار التى يقوم بها الانجليز. وكذا للتعرف على ما يجرى على أرض الواقع.

وفى نفس السياق راحت رسالة شيتهام لكيرزون فى 25 مارس تطمئن مسؤولي الخارجية البريطانية بأن سد أسوان لم يقترب منه أحد، مع الاقرار باستمرار المظاهرات فى بعض المناسبات، وأن الحالة العامة كانت هادئة، وأنه تم اخلاء الاوروبيين من مناطق التوتر والعنف، وأن القوات المصرية كانت تستخدم فى هذا الاخلاء، لكراهية الأهالي للقوات البريطانية، وحتى لا يثيروا ثائرتهم أكثر. وقالت بأن القاهرة عمها الهدوء، فى حين استمرت القيادات الوطنية تقوم بإرسال التهديدات للقوات البريطانية وكل من يتعاون معها. وأضافت بأنه فى شمال القاهرة استمرت اعمال التخريب وان قلت بعض الشيئ، وأنه حدث تخريب لبعض منشئات الرى، وحدثت مظاهرات فى بورسعيد فى 21 مارس، وتخلت القوات للسيطرة عليها الى أن عم الهدوء فى المدينة يوم 22 مارس، وأن الهدوء عم فى الاسكندرية والمناطق الغربية [5]. واعتقد أن تسلم اللنبي لمهام وظيفته، واعلانه أمام مجموعة من الضيوف البارزين، أن نيته تتجه ليس فقط استعادة النظام في مصر، ولكن فى التحقيق الدقيق في جميع الأمور التي تسببت في الاستياء في البلاد

---

(80) Ellis Goldberg:- Op.Cit., pp. 274-, .

(81) F.O.407-184:-, No.110. Balfour to Earl Gurzon , 24 March 1919,p.92.

(82) F.O.407-184:-, No.106. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 24 March 1919,p.79.

(83) F.O.407-184:-, No.107. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 24 March 1919,p.79.

(84) F.O.407-184:-, No.108. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon , 25 March 1919,p.79.

السواد، لتصحيح مثل هذه المظالم، وأنه على استعداد لتقديم تنازلات للمصريين "المعتدلين" أملا فى تعاونهم في تشكيل وزارة جديدة[1]. وعلى هذا يمكن القول بأن الاجراءات البريطانية كانت فعالة وحاسمة فى ناحية، وكانت تسعى لاستقطاب بعض السياسيين المصريين من الناحية الاخرى.

السؤال الذى يطرح نفسه: هل الاجراءات التى قامت بها الادارة الاستعمارية مكنتها من استعادة السيطرة على ربوع القطر المصرى وانهاء الثورة؟ على الفور تأتينا الاجابة فى أول خطاب يرسله الجنرال السير اللنبى الى كيرزون فى 26 مارس 1919 يلخص فيه تقرير شيتهام حول الأحداث فى مصر حتى صباح ذلك اليوم، فيقول بأن ديروط أصبحت فى أيدى الغوغاء منذ 22 مارس، وأنه أبحر لها من الضفة الأخرى حوالى الف بدوى بأسلحة نارية. وفى اسيوط حدث خروج خطير على النظام فى 23 و 24 مارس بإحراق ونهب محلات الاقباط، وحدث قتال بين البدو والأهالي والقوات البريطانية طيلة هذا اليوم، وفى ظهيرة 21 مارس أخبر مدير التلغراف بأن الوضع خطير، وأن الجنرال هيدلستون يتوجه اليهم. وأنه حدث ايضا قطع لخطوط التلغراف والاتصالات والسكة الحديدية مع حلفا. وأن الأمر فى قنا يوم 24 مارس يتطلب ارسال قوات، وأنه حدث اضراب لعمال استخراج الغاز فى جمسة والغردقة، وأن هناك عمالا رفضوا الاشتراك فى الاحداث. ومع اقراراه بأنه حدثت أحداث كثيرة فى أماكن اخرى، الا أنه يشير بأن النظام بدأ يعود بعض الشيء، ففى الفيوم تم ضبط الموقف، وفى القاهرة كانت الامور هادئة اللهم الا أحداث قليلة مثل اضراب المحامين وتأثيرهم فى الطلاب. لكنه يقر بأن الوضع فى شمال القاهرة وفى غرب البحيرة وشمال الغربية واجزاء من الدقهلية لا زال مختلا، وأنه قبض على البعض وارسلوا الى غرب البحيرة، وكان حوالى 100 فرد من القوات يقومون بحماية السكة الحديد من الزقازيق وحتى ميت غمر، وأن الاسكندرية وبورسعيد كانتا هادئتين، حيث لم يكن هناك تأثير لبدو المنطقة الغربية، لأنهم فى حالة هدوء[2]. وعلى هذا فإن الثورة المصرية ظلت مشتعلة ومتأججة فى ربوع القطر المصرى، وأن الهدوء الذى ساد فى بعض المناطق التى ذكرها لا يعنى أنها توقفت على الثورة وتراجعت عن المظاهرات.

واذا كانت جموع الشعب المصرى تتدافع نحو الثورة، إلا أن التحركات السياسية البريطانية لتهدئتها كان يمضى قدما. حيث يشير خطاب اللنبى لكيرزون فى 26 مارس لما كتبه شيتهام من أن رئيس الجمعية التشريعية وعدلى وثروت و2 من الزعامات المنادية بالاستقلال اتصلوا بالجنرال بولفين يوم 24 مارس، وقدموا له مذكرة موقعة منهم، طالبين ارسالها لإمكانية تهدأة الناس، مشيرا بأن المذكرة كانت غير مرضية، ولا يمكن الموافقة على مصطلحاتها، وانهم

(85) Michael Barry Bishku:- Op.Cit.,p75.

(86) F.O.407-184:-, No.113. Allenby to Earl Gurzon , 26 March 1919,p.95,96.

يعبرون عن عدم موافقتهم على الاستقلال التام، لكن الفاظ المذكرة غير مناسبة وتركوها للجنرال بولفين الحرية فى إعادة صياغتها. وجاءوا بنسخة اخرى اليوم التالى معبرين فيها عن تحذير القوات العسكرية، وأن منع الغضب يكون عبر التشريعات الفوقية، وأن قطع الاتصالات غير مناسب لأهالي البلد، وأنه لابد من معاقبة المخربين، وأن مطالب المصريين فى العدالة لها اعتبار كبير. مطالبين الشعب المصرى بالهدوء وعدم الخروج على القانون وبتدخل العقلاء فى احلال الامن والاستقرار وعدم الاضرار بالبلد. وكل الموقعين طالبوا القيادات الدينية واعضاء من الوفد وبعض القيادات القبطية بأن تتم الكتابة اليهم، وارسلت نسخة من خطابهم الى وكالة رويتر لإعلانها. وفى هذا السياق راح اللنبى يأمل فى ان يكون لها تأثير فعال على المصريين، لكنه من السابق لأوانه التعرف على نتائج الاعلان[1].

وعلى أرض الواقع كانت الثورة الشعبية تسير فى مجرياتها، وخطاب اللنبى لكيرزون فى 27 مارس يقول بأن الموقف هذا الصباح عبارة عن التالى؛ هو أن جنوب القاهرة يشهد حالة تحسن، وان 152 لاجئا اجنبيا جاءوا من الفيوم الى القاهرة، وأن بعض اعمال القتال استمرت فى اسيوط ليلة 25 مارس، وأن هناك تحسنا فى قنا والاقصر، وأن أسوان هادئة، فى حين يقوم بدو الصحراء الشرقية بتقديم المساعدات، وأن الواحات الغربية هادئة والغردقة هادئة، وهناك حراسة على ابار الزيت. اما القاهرة فيعمها الهدوء، وبعض السكان يسيرون الان باتجاه الازهر، وأن الصحافة الوطنية اصبحت متفهمة للموقف. وأن هناك تدميرا لمنشئات الرى فى شمال القاهرة، ولكن الموقف يعود بسرعة للهدوء. وأن نفس الامر يجرى فى بقية الدلتا وكفر الشيخ كمركز من مراكز المظاهرات، حيث أصبحت تحيط بها القوات البريطانية التى سيطرت على الموقف[2]. وراح خطاب اللنبى لكيرزون فى 28 مارس يقول بأن الصعيد وصلته قوات من السودان، وأنها وصلت الى الاقصر يوم 26 مارس، وأن الاوضاع جيدة، وهناك 146 جندى اوروبيا وصلوا لاسيوط، وان المنطقة من شمال اسيوط حتى ملوى تسودها الاضطرابات، لكن الفيوم أصبحت فى ايدى البدو، فى حين كانت القاهرة هادئة، وشمال القاهرة هادئ عمليا [3].

وظلت بريطانيا تصدر الاحباط واليأس للسياسيين المصريين، فخطاب اللنبى لكيرزون فى 28 مارس بخصوص العبارة التى وردت فى خطاب سابق له، بأنه يجب على المصريين أن يدركوا بأن الاعتراف بالحماية البريطانية تم من قبل كافة الدول، وانه يفهم بأن عدم اعتراف ايطاليا والولايات المتحدة الامريكية بالحماية، وانه فى سبيل الحصول عليها، وان

(87) F.O.407-184:-, No.114. Allenby to Earl Gurzon , 26 March 1919,p.96.
(88) F.O.407-184:-, No.115. Allenby to Earl Gurzon , 27 March 1919,p.96.
(89) F.O.407-184:-, No.116. Allenby to Earl Gurzon , 28 March 1919,p.97.

اصدار اعلانات بهذا لا يلقى نزاعا [1]. يذهب فى هذا الاتجاه ويكرس الاحباط واليأس. لكن من ناحية أخرى أرسل كيرزون للجنرال اللنبى فى 29 مارس مقتطف من اجابة الجنرال ويدجوود فى مجلس العموم البريطانى يوم 18 مارس بأن السلطات المعطاة للمندوب السامى البريطانى، والتى بمقتضاها تم القبض على سعد زغلول ورفاقه الثلاث، هى التى تسببت فى هذا التهييج الحادث" [2]. وهذا يعنى أن بريطانيا كانت تسير باتجاه احتواء الثورة وتفريغها، بفرض الامن والهدوء وتصدير الاحباط وارجاع المسؤلية على شيتهام، باعتباره كبش فداء تعلق عليه اخطاؤها، كونه كان قائما بمنصب المندوب السامى البريطانى بعد سفر وينجت لاوروبا فى يناير 1919. لكن متابعتنا ليوميات الثورة كما تحدثنا عنها تبرز بأن شيتهام قد أخذ أوامره من قبل الخارجية البريطانية، بعد أن أرسل مبرراته التى تبيح القبض على سعد زغلول.

واعتقد أن الرسالة السابقة كانت اشارة بإعطاء الضوء الاخضر للنبى لفتح خطوط التهدئة مع السياسيين المصريين. وفى رسالته لكيرزون بتاريخ 31 مارس نراه يشير بأنه فى اطار إعلانه بأنه يقبل التهاون مع المصريين، تسلم ما يفيد بأن التهييج الذى حدث كان بسبب رفض السماح للوفد بالسفر لبريطانيا، لكن بعد اعلانه هذه الوثيقة لم يتصل به احد من المصريين، او من اى هيئة سياسية، فقرر أن يرسل لمسئولين سابقين واخبرهم بأن الوفد كتب له، وانه يريد أن يراهم، وسألهم عن وجهة نظرهم، فطالبه كل من عدلى ورشدى بإزالة كل القيود المفروضة على سفر المصريين، وأن القبول بالحماية ظهر من قبل رشدى فى ضوء امكانية تشكيل حكومة، وفتح باب النقاش، لكنه كان يخشى مظاهرات فى القاهرة تهدده، مطالبا بفتح باب السفر لاوروبا، وهو الأمر الذى جعل اللنبى يشير بأن كل همه قد انصب فى تخفيف حدة التهييج[3]. فأوضح له كيرزون فى 31 مارس بأن الحكومة البريطانية تعده بتحمل مسؤولياتها مع المقترحات المقدمة [4]. وبالمقابل راخ كيرزون يستفسر من بلفور فى 31 مارس حول امكانية اعلان اعتراف ايطاليا وامريكا بالحماية على مصر[5]. الى هنا، انتهى شهر مارس ومازالت ثورة 1919 فى أوج فعالياتها وكبير عنفوانها. صحيح أن التحركات البريطانية كانت تسعى للتهدئة ووقف هذا النزيف الثورى المتمدد الى مناطق أخرى، لكن الصحيح ايضا أن النخبة السياسية مصرية كانت تعمل بحنكة واريحية بالمحافظة على الثورة من ناحية، وبقاء خطوط التفاوض والاتصال مع بريطانيا مفتوحة من الناحية الأخرى.

---

(90) F.O.407-184:-, No.117. Allenby to Earl Gurzon , 28 March 1919,p.97.

(91) F.O.407-184:-, No.120. Earl Gurzon to General Sir Allenby , 29 March 1919,p.100.

(92) F.O.407-184:-, No.123. Allenby to Earl Gurzon , 31 March 1919,p.101,102.

(93) F.O.407-184:-, No.124. Earl Gurzon to General Sir Allenby , 31 March 1919,p.102.

(94) F.O.407-184:-, No.125. Earl Gurzon to Balhour , 31 March 1919,p.102.

المحور الرابع- الرواية البريطانية لتطورات الثورة فى ابريل 1919:-

تشير احدى الدراسات بأن سعد زغلول قد وضع جهازا سريا، ووضع عليه عبد الرحمن فهمي، دون اطلاع اللجنة المركزية للوفد عليه. وعلى الرغم من أن مذكرات زغلول ومراسلاته السرية مع فهمي لا تتضمن أي إذن بالقتل، إلا انه لم يعترض متى أخبره فهمي بمحاولات الاغتيال، مشيدا بوطنية وشجاعته♥. ولعل اختيار مهاجمة نظام النقل والاغتيالات، وتبنى الفلاحين لها عبر الارياف كان هو الامر الذى حمى الثورة وحافظ على مكتسباتها. فبضرب خطوط السكك الحديدية والاتصالات تم عزل القاهرة عن المدن والارياف لأسابيع. ولم تفلح بريطانيا فى السيطرة على الحكم المركزي الا بالقوة . فكانت مظاهرات الطلاب وأعضاء البرلمان والمحامين والفلاحين والموظفين والعمال غير كافية بمفردها لجعل بريطانيا تفتح خطوط التفاوض مع المصريين، فكان لابد من توظيف العنف كعنصر من عناصر الضغط. حيث تعرضت الدولة الاستعمارية للخطر برفض النخبة المحلية أي تعاون معها بعد شهر مارس. وفي البداية كانت المحمية مشلولة تماما، بحيث انهار نظام المحاكم وبدأ الفلاحون في لعب دور مهم في الثورة، وقطع وسائل الاتصالات والمواصلات بين نواحى الاقليم المصرى [(1)]

وفى هذا السياق، ومع استمرار الثورة متدفقة فى بداية شهر ابريل 1919، استمرت على أشدها وفى نفس الوقت سعت بريطانيا لتخفيف الوطأة وفتح مسار التفاوض مع السياسيين المصريين. والرسالة المؤرخه بتاريخ 1 ابريل 1919 تشير الى حدوث اتفاق مع السلطان فؤاد بأن تعلن الحكومة البريطانية بأنها تتحمل كافة مسؤولياتها حول نفى سعد زغلول ورفاقه [(2)]. ويرسل اللنبى الى كيرزون فى نفس اليوم اتفاقهم مع السلطان حول مسألة اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه من المنفى [(3)]. وخطاب اللنبى لكيرزون فى 2 ابريل يشير الى التأثير السيئ الذى حدث فى مصر بحقيقة ترحيل القيادات الوطنية الى مالطة، وادخالهم فى معسكر سجن الحرب ومعاملتهم كسجناء سياسيين[(4)]. وبذات التاريخ يشير الجنرال اللنبى لكيرزون بأن الهدوء كان يعم الاسكندرية والقاهرة، فى حين حدث هجوم على محطة القطارات فى مزغونة فى 30 مارس، وأن الهدء كان يعم بقية المناطق، لكن 12 عمود تلغراف فقط يعملون فى الصعيد

♥ لكن محاكمة فهمي وسبعة وعشرين آخرين بين يوليو و أكتوبر 1920 بتهمة التآمر لقتل السلطان فؤاد، لم تفلح فى الكشف عن الروابط الحيوية السرية للوفد، فى حين خرجت كثير من الادبيات المصرية تتحدث عنها فيما بعد.

[(95)]Ellis Goldberg Op.Cit.,pp. 261,367,276, .

[(96)]F.O.407-184:-, No.138. Allenby to Earl Gurzon , 1 April 1919,p.111.

[(97)]F.O.407-184:-, No.138. Allenby to Earl Gurzon , 1 April 1919,p.111.

[(98)]F.O.407-184:-, No.139. Allenby to Earl Gurzon , 2 April 1919,p.112.

والدلتا، فضلا عن التهديد بالإضراب العام صباح اليوم التالى، مشيرا بأن الموقف تحت السيطرة[1].وراح خطاب بلفور لكيرزون فى 2 ابريل يشير بأن رئيس الوزراء يدعم مقترح اللنبى برفع القيود على السفر[2]. لكن خطاب اللنبى لكيرزون فى 2 ابريل يشير لاستمرار الثورة، وبأن طلاب المدرسة العسكرية ساروا هذا الصباح، وتركوا تجهيزاتهم خلفهم ليتجمعوا مع طلاب مدرسة البوليس فى ظهيرة هذا اليوم أمام قصر عابدين، وأن اضراب الموظفين الحكوميين الذين سيكون عاما غدا قد بدأ، وأن 60 رجلا من القوات المصرية فى الواسطى كسروا ثكناتهم، وذهبوا الى قلب المدينة واخذوا معهم اسلحتهم وذخيرتهم، وعادوا جميعا فيما بعد إلا 10 افراد تركوها ليذهبوا للواسطى غدا، مشيرا بأنهم تواصلوا مع صغار الموظفين المصريين، قائلا بأن الاقليم كان هادئا بصفة عامة، حيث حدثت بعض الحوادث فى مزغونه وقتل 7 جنود، وايضا قتل 17 مصريا وجرح 12 فردا [3].

وبمثل ما أطمئنت الادارة البريطانية على سد اسوان، راح كيرزون يرسل للنبى فى 3 ابريل ليخبره بأن يأخذ تخوفات شركة قناة السويس فى الحسان، وان يتم توفير الامن والاستقرار حولها [4]. وخطاب ونجت الى كيرزون في 3 ابريل 1919 يشير الى تأثير الوطنيين المصريين في السودان، وأن اطلاق سعد ورفاقه سيؤدى الى دعم اهم أهداف الوطنيين الرئيسية، وهى دعم الحكم المصريين في السودان، مشددا على وجوب الحفاظ على الوضع الراهن في السودان [5].وهو ما يؤكد على أن ونجت الذى ترك منصب المندوب السامى فى مصر، قد ظل على نفس النمط الذى سار عليه من قبل، وأنه يدفع بمبررات جديدة لإبقاء سعد زغلول ورفاقه داخل المعتقل. حيث كرر ونجت لكيرزون فى 4 ابريل 1919 بأن اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه سيكون له تأثيره السيئ على السودان، حيث يعيد برنامج القيادات الوطنية المصرية فى السيطرة المصرية على السودان، وانه مهم جدا للحكومة البريطانية الحفاظ على وضعها فى السودان [6]. وبالتالى لم يكن هناك توافقا بريطانيا حول اخراج سعد زغلول ورفاقه من المعتقل وتهدأة الشارع المصرى الثائر واحتواءه.

وبدت الادارة البريطانية توجه تهم مختلفة للثورة والثوار دون قراءة حقيقية للموقف. فالخطاب المؤرخ بتاريخ 4 ابريل يقطع بأن الاوضاع فى مصر تتخذ بعدت دينيا، وأن الازهر يقود المسألة، وأن الحركة الوطنية تؤثر فى فلسطين

---

[99] F.O.407-184:-, No.128. Allenby to Earl Gurzon , 1 April 1919,p.103.

[100] F.O.407-184:-, No.131. Balfour to Earl Gurzon , 2 April 1919,p.106.

[101] F.O.407-184:-, No.140. Allenby to Earl Gurzon , 2 April 1919,p.112.

[102] F.O.407-184:-, No.129. Earl Gurzon to Balhour , 2 April 1919,p.105.

[103] F.O.407-184:-, No.135. Allenby to Earl Gurzon , 3 April 1919,p.109.

[104] F.O.407-184:-, No.131. Sir Wingte to Earl Gurzon , 4 April 1919,p.109.

وسوريا، وأن الاوضاع خطيرة بالفعل [1]. فى حين راحت فى 5 ابريل 1919 تقول بأن الدور الذى لعبته اللجنة الوطنية المصرية فى برن وجنيف ودور البلاشفة الالمان فى تحريض المصريين، كانت هى المحرك الرئيسى للثورة[2]. وعلى هذا بدت تهمة البلشفية والمحرك الدينى كتهم جاهزة للخارجين على حكمها. فادعت بأن عملاء البلاشفة في مصر قد تم إرسالهم لدعوة المصريين الى خطاب قومى يدور حول القومية المصرية، لكن الغريب أنها ادعت بأن الحركة البرجوازية تفضل الاتجاه نحو السياسة البلشفية لتقويض موقف بريطانيا العظمى، وقالت بأن البلشفية دخلت في تحالف مع الوفد والوطني[3].

وبالتوازي راحت الخارجية البريطانية تفكر فى ارسال لجنة، فقررت الحكومة البريطانية بتاريخ 5 ابريل 1919 إرسال لجنة بقيادة اللورد ملنر لدراسة الأوضاع فى مصر[4]. وهى اللجنة التى تأخر ارسالها حتى نهاية عام 1919. ومع ذلك جاء خطاب اللنبى في 6 ابريل ليحمل رغبة بريطانية في التهدئة، بإزالة القيود عن سفر المصريين للخارج، وإطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه، واعطاء حرية للحركة الوطنية، وأن هناك فرصة للجنة ملنر، وفرصة أمام السلطان لإعادة تشكيل حكومة وإرسال الوزراء الى لندن [5]. وبهذه التهيئة عاد غالبية الوزراء للعمل [6]. وأعلن الجنرال اللنبى فى 7 أبريل بأنه تم اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه [7]. ولقى اطلاق سراحهم من مالطة، وإزالة القيود المفروضة على السفر للمصريين، معارضة عدد من المسؤولين البريطانيين في كل من مصر والخارجية البريطانية. حيث ذكر وكيل الدولة الدائم للشؤون الخارجية في مذكراته بأن الافراج عن سعد زغلول ورفاقه كان البداية الحقيقية لتقليل الهيبة البريطانية في مصر[8]. وفى 9 ابريل 1919 أعلن اللنبى عن مغادرة 18 مصريا باتجاه لندن، وأنهم ذهبوا الى مالطة لملاقاة سعد ورفاقه هناك، قبل استكمال رحلتهم الى لندن[9]. ومع ذلك حدثت مظاهرات فى القاهرة فى ذات اليوم

---

(105) F.O.407-184:-, No.144. Allenby to Earl Gurzon , 4 April 1919,p.113.

(106) F.O.407-184:-, No.147. to Allenby , 5 April 1919,p.114.

(107) Mohammed Nuri El-Amin:- International Communism, the Egyptian Wafd Party and the Sudan, Bulletin (British Society for Middle Eastern Studies), Vol. 16, No. 1 (1989), pp. 27. .

(108) F.O.407-184:-, No.148. Allenby to Earl Gurzon , 5 April 1919,p.115.

(109) F.O.407-184:-, No.150. Allenby to Earl Gurzon , 6 April 1919,p.115.

(110) F.O.407-184:-, No.151. Allenby to Earl Gurzon , 6 April 1919,p.119.

(111) F.O.407-184:-, No.153. Allenby to Earl Gurzon , 7April 1919,p.120.

(112) **Michael Barry Bishku:- Op.Cit.,p75.**

(113) F.O.407-184:-, No.155. Allenby to Earl Gurzon , 9 April 1919,p.120.

تستهدف الأرمن، وبعدها حدث اتجاه نحو التهدئة [1]. ومع عودة الوزراء الى اعمالهم، وبذل الجهد فى تشكيل الوزارة، إلا أن الاعتداءات على الارمن واليونانيين ظلت مستمرة[2]. وكانت اجتماعات اليهود والاقباط والمسلمين حول الجامع الأزهر فى 11 ابريل 1919 والاتجاه نحو الابعاد الددينية [3]، يقطع بأن مسار الوحدة الوطنية كان ملمحا مهما من ملامح ثورة 1919. لكن رغم إعلان رشدى باشا رئيسا للحكومة الجديدة في 12 ابريل [4]، إلا أنها قوبلت بإضراب الموظفين منذ 14 ابريل، وكان عدم قدرة رشدى باشا على انهاء تلك الاضرابات، قد جعله يزهد فى الوزارة، لكن رغم استقالته إلا أن الأمور كانت تسير باتجاه الاستقرار [5]. حيث استمرت حكومة رشدي فقط اثني عشر يوما بسبب اضطرابات الوفديين واضرابات الموظفين [6]. وعلى هذا يمكن القول بأن الموجه الاولى والأبرز فى ثورة 1919 قد نجحت فى أمور خمسة: أولها، اجبار بريطانيا على اخراج سعد ورفاقه من منفاهم المعتقلين فيه، والسماح بسفر الوفد الى لندن. ثانيها، فشل بريطانيا فى السيطرة على مصر رغم أن موازيين القوى فى صالحها. ثالثها، الاقرار البريطانى بقدرة الشعب المصرى على تغيير المعادلة وفرض السيطرة واللجوء لسياسة التهدئة وفتح باب التفاوض. رابعها، بروز ملامح الوحدة الوطنية مسلمين ومسيحيين ويهود. خامسها، استطاعة الشارع المصرى أن يفرض معادلته على السياسيين المصريين وبالتالى عدم قدرتهم على تشكيل وزارة أو الحديث بشكل علنى مع الانجليز، أو امكانية السيطرة على هذا الشارع الثائر.

من هنا، يمكن القول بأن الثورة التى بدأها طلاب الجامعة المصرية وطلاب الأزهر ولحقهم فيها المحامون وموظفو الخدمة المدنية وعمال السكك الحديدية الذين اضربوا عن العمل، هى التى جعلت الانتفاضة المصرية تنتشر في جميع أنحاء مصر، في المناطق الحضرية والريفية، وفى الصعيد والقاهرة والوجه البحرى. تلك الثورة التى اقتلعت خطوط التلغراف ودمرت القطارات، وتمكنت من عزل القاهرة عن بقية البلاد. بالإضافة إلى الهجمات التى تمت على أفراد الجيش البريطاني. وتفسر احدى الدراسات اسباب ذلك بأن السلطات البريطانية فوجئت تماما بحجم الانتفاضة، لدرجة جعلت كبار المسؤولين البريطانيين يعتقدون خطئا بأن القوميين المصريين قد تلقوا دعما كبيرا من العملاء الأجانب. وراحوا يوجهون أصابع الاتهام للمخابرات الالمانية تارة، وللبلاشفة الروس تارة اخرى، لإبعاد القوات

---

[114] F.O.407-184:-, No.160. Allenby to Earl Gurzon , 9 April 1919,p.123.

[115] F.O.407-184:-, No.164. Allenby to Earl Gurzon , 10 April 1919,p.124.

[116] F.O.407-184:-, No.165. Allenby to Earl Gurzon , 11 April 1919,p.124.

[117] F.O.407-184:-, No.171. Allenby to Earl Gurzon , 612April 1919,p.126.

[118] F.O.407-184:-, No.179. Allenby to Earl Gurzon , 14 April 1919,p.128.

[119] **Michael Barry Bishku:- Op.Cit.,75**

البريطانية عن الشرق [1].ويبدو أن الادارة البريطانية لم تفهم ماهية حركة التمرد الفلاحية الكبيرة فى مصر، حيث صرح المسؤولون البريطانيون عدم فهمهم لتلك التحركات بدلا من محاولة النظر فى السياسات التي أثارت غضب الفلاحين، كالرسوم الإلزامية التى يدفعونها للصليب الأحمر، ففى اعتقادهم أنهم قدموا خدمات جليلة لهم، لا تؤدى بهم الى الخروج عليهم [2].

وخير دليل على ذلك، ما ارسله شيتهام الى كيرزون فى 9 ابريل 1919 بأن كل الدلائل أثبتت بأن خطة الثورة كانت مدبرة وتطابق ما رسمه الالمان وحزب تركيا الفتاة، وكشف عنها الجاسوس الالمانى موريس الذى اعتقل فى الاسكندرية اثناء الحرب العالمية الاولى. بل انه فى نفس اليوم ارسل كيرزون لشيتهام الرد بأن السلطات الانجليزية كانت بعيدة جدا عن ادراك الشعور الوطنى، وانها تفتقر تماما للمعرفة، وانها كانت جاهلة بالموقف، الامر الذى جعلهم يفرجون عن سعد ورفاقه[3]. ولعل ما نطقت به مذكرة رونالد جراهام، رئيس القسم المصري داخل القسم الشرقي في وزارة الخارجية، حول الاضطرابات في مصر فى 9 ابريل، بأن أغانى الثورة المصرية، والتى يتهمون فيها وينجت بأنه سرق الذرة الخاصة بهم، وأخذ جمالهم وماشيتهم ونقودهم وشبابهم لتعبر خير تعبير عن الاسباب الحقيقية التى دفعت جموع المصريين نحو للثورة [4]. بل لم تكتف المرأة المصرية بالمشاركة فى فعاليات الثورة فقط، بل ساهمت فيما بعد فى مقاطعة لجنة ملنر ثم مقاطعة البضائع الاجنبية، وادت مشاركتها الايجابية الفعالة الى تغيير جوهري في نظرة المجتمع اليها [5]. وقدم الموظفون تجربة مهمة خلال ثورة 1919 بالإضراب الذى دخلوا فيه عدة ايام وتسبب فى سقوط وزارة رشدى باشا بعد ايام من عودتها. حيث أبلغ اللنبى موظفى الخدمة المدنية الحكوميين في 22 أبريل مهددا بأنهم لن يعودوا إلى وظائفهم بعد عدد ايام محددة، وذلك لإنهاء اضرابهم. وكانت تجرى محاولات لمنع أي شخص من الامتثال لأوامره، إما عن طريق الإقناع أو التهديد أو العنف. هذا فضلا عن تهديد الرجل للموظفين بأنهم سيصبحون عرضة للاعتقال والمحاكمة أمام المحكمة العسكرية[6].

---

(120) **Ibid**

(121) Ellis Goldberg:- Op.Cit.,pp. 261-, .

(122) مصطفى امين:- اسرار ثورة 1919، الجزء الاول، سلسلة الشوامخ، العدد 4، مطبوعات كتاب اليوم، 15 يناير 1991، ص 83.

(123) **Michael Barry Bishku**:- Op.Cit.,pp.51,52.

(124) **www.cedaw-center.org المرأة المصرية صانعة التاريخ**

(125) **Michael Barry Bishku**:- Op.Cit.,p.75.

المهم أنه بنهاية المرحلة الاولى من ثورة 1919 تقدر المصادر البريطانية خسائرها بقتل حوالي 800 مصري و 29 جنديا بريطانيا و 31أوروبيا، قتلوا بين مارس ويوليو 1919 [1]. وكانت الحكومة البريطانية قلقة من أن سياستها المصرية يجب أن تتلقى دعم غالبية الصحافة البريطانية البالغ عددها حوالي 2200 صحيفة في المملكة المتحدة ، منها حوالي 400 منشورة في لندن ، و 5% منها تصدر يوم الأحد وبعض الصحف المحلية ذات تأثير كبير [2].

وتطالعنا رسالة إلى كرزون بتاريخ 25 أبريل، ذكر فيها ميلنر بأن البعثة لم تتمكن من التوجه إلى مصر والبدء في العمل على تأسيس نظام حكم جديد. فبدأت بريطانيا تعمل على تشكيل حكومة جديدة باعتبارها وسيلة جديدة لإقناع المصريين بالهدوء. لكن اتفق على أنه سيطلب من بعثة ميلنر التحقيق في الوضع في مستقبل البلاد وشكل الدستور، الذي بموجبه يضمن بقائها محميّة، بتطوير تدريجي لمؤسسات الحكم الذاتي، وحماية المصالح الأجنبية. لكن وكالة الاستخبارات الأمريكية ذكرت بأن المصريين لن يقبلوا لجنة بريطانية كاملة بأي ثمن. وعارض رئيس الوزراء المصري محمد سعيد أيضا بعثة ميلنر. خاصة بعدما نجح يوسف وهبة في أن يكون محمد سعيد رئيساً للوزراء، وتأججت المعارضة المصرية لبعثة ميلنر بشكل أقوى ويومي. ومع ذلك، فإن لجنة التحقيق البريطانية بقيادة ملنر وصلت مصر 7 ديسمبر 1919، ضمت السير رينيل رود ، الذي كان يعمل في مصر تحت قيادة كرومر، والسفير البريطانى في إيطاليا من عام 1908 إلى عام 1919، وسبندر محرر جريدة وستمنستر ، والجنرال السير جون ماكسويل، قائد القوات البريطانية مصر خلال السنوات من 1914 حتى 1915 ، وسيسيل هيرست، المستشار القانوني في وزارة الخارجية ، والجنرال السير أوين توماس. وكتب ميلنر لكرزون بعد وصوله الى مصر أن الكثير من الشعب المصري التزموا بفكرة الاستقلال التام في الواقع، وأنهم قابلوا وصول البعثة بالمظاهرات السياسية والإضرابات من قبل الطلاب والمحامين والعمال. مما جعل ملنر يحذر في 28 ديسمبر رئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج، بأنه إلى أن تهدأ اعمال التحريض المصري من أجل الاستقلال الكامل، فإن مصر سوف تكون شوكة في جانبنا، خاصة وأنهم يمارسون تأثيرًا مزعجًا على موقعهم في جميع أنحاء الشرق الأدنى، وإلى حد ما في الهند [3].

المحور الخامس- تطور فعاليات ثورة 1919:-

---

[126] Donald M. Reid:- Political Assassination in Egypt, 1910-1954, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 15, No. 4 (1982), pp. 628. .

[127] Michael B. Bishku:- The British Press and the Future of Egypt, 1919-1922The International History Review, Vol. 8, No. 4 (Nov., 1986), pp. 605. ,

[128] Michael Barry Bishku:- Op.Cit.,pp.53-55

ظلت مصر بعد سقوط وزارة رشدى باشا دون مجلس وزراء حتى 21 مايو1919، حين قام محمد سعيد، المعارض السياسي لزغلول، بتشكيل حكومة جديدة واصبح رئيسا للوزراء، واستمرت وزارته حتى 17 نوفمبر [1]. حيث حرص محمد سعيد باشا على أن تكون له شعبية بين المصريين ، مما أدى به في بعض الأحيان إلى أن يتعرض لمواقف صعبة. وتخبرنا احدى الوثائق كيف قدم استقالته إلى السلطان حين جاءته أخبار بإعدام المواطنين في صعيد مصر فى ديروط وديرمواس. وحين علم أنها شائعات غير صحيحة سحب استقالته[2].

وتشير إحدى الوثائق البريطانية بأن جذوة الثورة المصرية ظلت مشتعلة، وان تحركات الطلاب ظلت مستمرة، وأن معارضتهم للاحتلال البريطاني والوزارة القائمة ظلت متدفقة. وتحدثت حول التطرف الذى ساد بعض الطبقات، واصبح همها هو التخطيط للعنف ضد أفراد من الوزارة والبريطانيين. وان الاشتراكيين الإيطاليين كان لهم دور كبير فى هذا التخطيط لأعمال العنف. فكان لابد من تحسين احوال الموظفين بدلا من وقوعهم رهينة لتلك المخططات [3].

وتقول أخرى فى تقرير مفصل بأن الاضطرابات الأخيرة، بخلاف العنف ضد أعضاء قوات الملك، يحاكم المتسببون فيها داخل المحاكم العسكرية فى15يوليو1919 وليس امام المحاكم المدنية. وتم القبض على السجناء لأسباب سياسية خلال الاضطرابات الأخيرة، وجرى الإفراج عن بعضهم. واستمر مسجد الازهر هو مركز الحركة القومية. وجرى حديث ومناقشات سياسية مع المتظاهرين حول الازهر دون جدوى. وتصاعد نفوذ الحركة النقابية المصرية بوحى من الاشتراكيين الإيطاليين في القاهرة. وتصاعدت أنشطة الإيطاليين في مصر وتعالت الدعاية المؤيدة لإيطاليا منذ 2 يوليو 1919. بعدها حدث تحسن قليل في الحالة العامة فى مصر. حيث قررت الادارة البريطانية أن أي حالات أخرى تنشأ عن الاضطرابات بعد 15 يوليو من أولئك الذين يمارسون العنف ضد أعضاء قوات جلالة الملك سيحاكمون امام المحاكم العسكرية، وانه سينتهى التعامل معها من قبل المحاكم المدنية العادية. وأفرجت عن جميع السجناء الذين اعتقلوا من قبل لأسباب سياسية خلال الاضطرابات، وألغت الرقابة على الرسائل وعلى الصحف لإحلال السلام والتهدئة. وتم إرسال تعميم إلى جميع مالكي الصحف لإخبارهم بذلك وتذكيرهم في نفس الوقت بأنهم سيكونون مسؤولين بموجب قانون الأحكام العرفية لتحسين سلوك منشوراتهم حسبما كان سائدا فترة الحرب العالمية الاولى. وأرسل صاحب الرسالة تقريرا مفصلا حول موقف الصحافة منذ إلغاء منع الرقابة. ومنحت الحكومة المصرية مكافأة حرب تمثل زيادة قدرها 50%، على المكافأة القائمة لجميع الموظفين باستثناء العاملين في

---

[129] **Ibid**

[130] F.O.407-185:- No. 33.General Sir E. Allenby to Earl Curzon.—{Received July 26.)Ramleh, July 10, 1919,p.40.

[131] F.O.407-185:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXII, July to December 1919, No. 27.General Sir E. Allenby to Earl Curzov—(Received July 22.)Ramleh, July 1, 1919,p.36 , .

وزارة العدالة، وقد تم بالفعل إعداد جدول مرتب خاص ومنقح. وتعهدت الادارة البريطانية أيضا بالسيطرة على سعر الخبز في مصر. وكل هذه التدابير كانت بهدف تخفيف العبء على المواطنتين الذين يعانون من ارتفاع الأسعار الكبير الحادث في مصر. منتهيا بأنه حدثت أزمة وزارية قصيرة ارسلها في إيفاد منفصل، ذكرا باستمرار الأزهر كمركز للحركة القومية. وأنه فى عشية عيد الأضحى المبارك زاره اثنان من أمراء البيت السلطانى، الأمير محمد والأمير إسماعيل داوود، وتحدثا حول المصالح المشتركة لمصر وإيطاليا واعمال الايطاليين القمعية فى مصر[1]

وخطاب أيرل كرزون في مجلس اللوردات فى 25 نوفمبر 1919 حول الوضع المحلي في مصر، تحدث فيه بأنه بعد انتهاء وزارة رشدى باشا التي لم تدم طويلاً لم يجد اللنبي من يخلفه، لكن بعد أيام قليلة، تولى محمد سعيد باشا ، الذي كان رئيس الوزراء من عام 1910 إلى عام 1914 ، منصبه وشكل إدارة مصرية. كانت مهمته الأولى هي استعادة النظام والهدوء إلى بلد لا يزال يعاني من ثورة الربيع المجهضة. في هذه المهمة كرس هو وزملاؤه كل طاقاتهم، وحققوا قدرا من النجاح شعر به اللورد اللنبي في يوليو في نقله محاكمة أي قضايا ناشئة عن اضطرابات مارس وأبريل إلى المحاكم المدنية العادية في البلاد، بخلاف قضايا العنف ضد أعضاء القوات البريطانية. وتأكيداً على ثقته في الوزارة، تم إلغاء الرقابة الوقائية للصحافة. وأنه لما كان الفلاحون يشكلون أكثر من 90 في المائة من السكان ، وكانوا يتمتعون بدرجة غير مسبوقة من الازدهار قبل الحرب الاولى، ومروا بظروف صعبة خلال الحرب، وأنه فى المدن بقيت تكاليف المعيشة مرتفعة، وتسبب هذا فى تنامى مشاعر الاستياء والغضب، واستفاد القادة الوطنيون من هذا الظرف بشكل كامل، لمواصلة حملتهم ضد رئيس الوزراء والدولة الحامية، واتهموهم فيها بالخضوع غير المبرر، كان لابد من التحرك. خاصة وأن القاهرة شهدت في أوائل يونيو1919 بعض المظاهرات الصغيرة ، لكن دون إثارة أي اضطراب أو خرق للسلم. لكن في أغسطس، أصبحت علامات الاضطرابات الصناعية سائدة بين فئات مختلفة من العمال في المدن. وكانت هذه الاضطرابات ترجع أساسًا لأسباب الاقتصادية ، ولكن تم استغلالها لأغراض سياسية من قبل المحرضين الذين لم يبطئوا من إدراك قيمة الإضراب كسلاح مهم فى معركتهم. فتم تشكيل النقابات العمالية، ولعبت العناصر الاشتراكية الأجنبية دورا لا يستهان به في إثارة استياء العمال في المدن الكبرى. وفي الثاني من سبتمبر 1919، جرت محاولة لاغتيال رئيس الوزراء عن طريق قنبلة. واعتقل المعتدي، وهو طالب شاب من جامعة الأزهر، وكان الدافع وراء الجريمة سياسيًا. وحاولت الحكومة تلبية مطالب الشكاوى المشروعة للعمال بإنشاء مجلس التوفيق، الذي لم ينجح في الحصول على تحسن ملموس في ظروف العمل. فقامت الحكومة بإعطاء زيادة سخيّة في معدلات الأجور لجميع درجات موظفيها. لكن المتطرفين قاموا بنشر برقية في باريس في سبتمبر مفادها أن مجلس الشيوخ الأمريكي قد قرر أن مصر ليست تحت حكم تركيا أو تحت بريطانيا العظمى ، ولكنها مستقلة سياسياً، فاكتسبوا تعاطفا جديدا.

[131] F.O.407-185:- No. 86.General Sir E. Allenby to Earl Gurzon.—(Received July 26.)Ramleh, July 12, 1919, p.45.

مشيرا بأنه على الرغم من أن هذه الشائعات كانت تتناقض رسميا مع تصريحات الوكالة الامريكية في القاهرة ، إلا أن التأثيرات التي أنتجتها كان كبيرة. فلم يتوقف الوطنيين المصريين عن الاعتقاد بأن حملتهم تكتسب تعاطفا كبيرا، وانها ستحصل على دعم احدى القوى العظمى. مستنكرا ذلك بأن فرنسا وأميركا والمانيا قد اعترفت رسمياً بالحماية البريطانية، وأن إيطاليا وعدت بالاعتراف بها. مشيرا بأن أي توقعات من هذا القبيل محكوم عليها بالإحباط التام. وحدث تكرار للفوضى في أكتوبر 1919، وارتبطت تلك الفوضى بالأخبار المتداولة حول قرب وصول بعثة اللورد ميلنر، تلك البعثة التى اعلن عنها فى مايو الماضي للتحقيق في أسباب الاضطرابات المتأخرة في مصر، والإبلاغ عن الوضع القائم في البلاد وشكل الدستور الذي سيحكم المحمية، لتعزيز سلامتها وازدهاره، والتطوير التدريجي لمؤسسات الحكم الذاتي فيها، وحماية المصالح الأجنبية . قائلا بوجوب الاهتمام الخاص بعبارة "التطوير التدريجي لمؤسسات الحكم الذاتي"، لأنها كانت هي المفتاح الرئيسي للسياسة التي كان على البعثة الاحتفاظ بها. شارحا خلفية الاعلان عن البعثة بأن مجلس اللوردات بأن القصد كان إيفادها في وقت مبكر بعد الانتهاء من تكوينها. لكن كانت هناك صعوبات تقف في طريقها. حيث لم يكن من السهل العثور على الأعضاء المتاحين ممن كانوا يتمتعون بالسلطة والخبرة اللازمة؛ وايضا لم يكن الصيف أفضل وقت لإجراء تحقيقات في المناطق الداخلية فى بلد يسوده مناخ مثل مصر ؛ وايضا كان من المرغوب فيه إعطاء الإدارة المصرية الحديثة فرصة لترسيخ نفسها؛ وكان يعتقد في أن مؤتمر السلام في باريس قد يجد حلا للمشكلة الشرقية قبل حلول الخريف. وأن سلطان مصر ووزارته يفضلان الخريف، وأنه اللنبى يتفق مع وجهات نظرها. وفي هذه الظروف، تأجل موعد مغادرة البعثة. وفي الوقت نفسه، نجحت الحكومة البريطانية في تشكيل البعثة من أشخاص يمتلكون مؤهلات ثلاث، اولها ، الخبرة الإدارية الفعلية في مصر، وجميعهم مؤهلين بحكم المناصب والسمعة. ثانيها، الثقة في حياديته، ثالثها، تعاطفه مع القضية التى يحقق فيها. فتكونت البعثة بقيادة اللورد ميلنر وبالشروط السابقة. وايضا وردت تقارير صحفية تهاجم البعثة وارتباطها بعبارة "الحماية البريطانية"، وأن هذه الهجمات أصبحت نوعًا من صراخ معركة التحريض المنتشرة في مصر. مشددا على ضرورة الاهتمام بالمحمية المصرية لأهميتها الاستراتيجية خلال الحرب الاولى، إما للدفاع عن القناة أو في طريقها إلى مسارح الحرب المختلفة ؛ وان لفظ الحماية قد جاء بالتشاور مع السلطان حسين والوزراء آنذاك، وبأنه يجب القيام بمحاولة جادة لتحديد الشكل الذي يجب أن يتخذه دستور مصر بعد الحرب، مطالبا بالوصول الى حل وصعوبة ذلك عمليا على بريطانيا [1].

[132] F.O.407-185:- No. 329. Speech by Earl Curzon of Kedleston in the House of Lords, November 25, 1919. , P.279-281 , .

ويؤكد الخطاب السابق على الاهمية الاستراتيجية لمصر عند مدخل إفريقيا، وعلى الطريق السريع إلى الهند/ مما يجعل من المستحيل على الإمبراطورية البريطانية، بغض النظر عن أمنها واتصالاتها، أن تخرج من مصر، وأن هناك مصلحة عالمية فى ضمان ترك مصر تحت إشراف قوة حضارية عظمى كبريطانيا. ولن تتخلى عنها حكومة أو أى حزب بريطاني، وأن تحديد أي تعريف علمي لمصطلح "المحميّة"، بصفته وسيلة دستورية معروفة لجميع بلدان العالم، لديه العديد من الظلال المعنوية من درجة متقدمة فى السياسة أو الرقابة الإدارية أكثر من مجرد التأثير على النفوذ السياسي في الطرف الآخر. وأن الدولة الحامية تلتزم بالدفاع عن الدولة المحمية من هجوم خارجي، لتأمين معاملة الأجانب والممتلكات الأجنبية داخلها ، وبشكل عام للسيطرة على علاقاتها الخارجية والسياسية. وللحماية صلاحيات التدخل في الإدارة الداخلية، لا ينص عليها القانون. والفكرة القائلة بأن التطلعات المصرية والجنسية المصرية يجب أن يتم سحقها أو تجاهلها هي فكرة خاطئة لا يتبرأ منها بشكل قاطع، وأنه لابد من الاعتراف بشرعية هذه التطلعات. وبريطانيا ترغب فى التطور التدريجي لمؤسسات الحكم الذاتي في مصر ، خاصة وأن جنسًا مثل المصريين ، يمتلك في صفوفه العليا ثقافة عالية وتاريخا كبيرا، وبالتالى لا يمكن أن يكون تابعا سلبيا فى ادارة بلاده. وبالتالى فان مجلس اللوردات مع اللورد ميلنر وزملائه وبالتشاور مع السلطان ووزرائه وممثلي المصريين من جميع الطبقات، سيعملون على ابتكار تفاصيل دستور يمكن من خلاله التعاون في إدارة الشؤون المصرية. حيث ستظل هناك حاجة للمساعدة البريطانية والإرشاد البريطاني. خاصة وان المصريين رأوا التقدم المدهش الذي حققوه تحت الرعاية البريطانية، وبالتالى سبروا ضرورة هذا الإشراف. ومهمة اللورد ميلنر لن تخرج إلى مصر بدستور من جيبها او تفرضه، بل ستعتزم التشاور مع جميع الأطراف حول هذا الامر. وأن الوزارة المصرية الجديدة بقيادة يوسف وهبة باشا الذي تولى منصبه عقب استقالة محمد سعيد باشا قبل بضعة أيام، ستتقاسم بعثة ملنر وجهات النظر. شارحا أسباب تأخير البعثة من الصيف للخريف سواء لمناشدة رئيس الوزراء المصرى السابق بالتأجيل او لاستدعاء اللورد اللنبي إلى أوروبا للاستماع الى نصائحه، وعدم رغبة الخارجية بالتصرف خلال فترة غيابه عن مصر. وحالما عاد إلى القاهرة وأخذ تقييم الحالة نصح بأن تبدأ المهمة مع قليل التأخير قدر الإمكان. وأنه يجري الآن الاستعدادات لمغادرته فى وقت عصيب، حتى معاهدة السلام مع تركيا لم تتم بعد. وانه انتهى امر تركيا مع مصر، ولا يمكن إعادة إحياءه من جديد. وبالتالى سيفرض عليها الاعتراف بالحماية على مصر كجزء من معاهدة السلام معها. مقرا بوجود اضطراب وفوضى في مصر خلال الأسابيع القليلة الماضية. وفي أغسطس فشلت مهمة زغلول لتأمين جلسة استماع في باريس، وبالتالى اصبحت نبرة القوميين في مصر أكثر مرارة ، فحث المصريين على استمرار على مقاطعة بعثة ملنر، بناء على توصية من حزب زغلول. حيث عاد كثير منهم إلى مصر، واستمروا فى التحريض، حتى بلغت أعمال الشغب ذروتها في الإسكندرية في 24 و 25 أكتوبر 1919 ، وكان لا بد من اللجوء إلى مساعدة القوات البريطانية لاستعادة النظام. وأنه

تكررت هذه الاضطرابات بعد أسبوع ، وفي السادس عشر من نوفمبر أعيد النظر في القاهرة. وفي كلا المدينتين، بذلت الشرطة والجنود المصريون قصارى جهدهم للتأقلم مع الوضع، لكنهم طلبوا مساعدة القوات البريطانية، فمارسوا ضبط النفس. لكن يصعب فصل التحريض السياسي، أو التعصب الديني، أو رد فعل الحرب، أو الأسباب الاقتصادية، وكلها تفرض على السلطات المصرية والبريطانية ضرورة التعاون لإنفاذ القانون والنظام ومعاقبة الغضب والجريمة. وأن الوزارة المصرية الجديدة ستتلقى الدعم في تنفيذ مهمة المحافظة على المجتمع المتحضر. والجهد التى بذلته بريطانيا فى رفع مصر من البؤس والقمع الذي سقطت فيه قبل أقل من نصف قرن ، والنتائج الناجحة التي يفخر بها البريطانيون، لا يمكن إسقاطها في منتصف الطريق. مشيرا الى الجهود التى قدمت للسودان. في ظل الحكم المقتدر للحاكم العام ، السير لى ستاك، مما جعل سكان هذا البلد يحافظون على النظام المثالي، وتعاطفوا مع البريطانيين وظهر هذا جليا خلال زيارة مسؤول الخارجية للسودان في يوليو 1919، حيث العمل الذي أنجزته بريطانيا العظمى لتجديد بلدهما وابعادها عن الأحداث التي وقعت في مصر. وعبروا عن رغبتهم فى البقاء داخل الإمبراطورية وعدم الانفصال عنها. وشهادة السودانيين المؤيدة للولاء جاءت بسبب العمل الرائع الذي أنجزه الحاكم العام الراحل، السير ريجينالد وينجيت ، الذي كرس قدراته الكبيرة لسنوات عديدة من أجل تعزيز ازدهار السودان وإقامة أسس الدولة فيه[1]. وعلى هذا ركزت بريطانيا فى نهاية عام 1919 على الحلول السياسية ومحاولة احتواء المصريين، وتقديم حلول عملية لهذا الاستيعاب، وهو الأمر الذى ظهر لاحقا خلال الفترة من 1920-1922.

(133) F.O.407-185:- No. 329. Speech by Earl Curzon of Kedleston in the House of Lords, November 25, 1919. , P.282- . 284 ,

الخاتمة:-

خلصت الدراسة الى عدة نتائج:

♥ أوضحت الدراسة بأن الرواية البريطانية قد أعادت الاعتبار الى جموع الشعب المصرى، وقالت بأنهم فرضوا كلمتهم على الجميع، بما فيهم الادارة البريطانية والسياسيين المصريين، بحيث لم يعد فى قدرة أى سياسى مصرى التعامل بشكل علنى مع الادارة البريطانية، خشية من غضب الشارع الثائر ومن انتقامه، وأن الاداريين البريطانيين قد تمت الاستهانة بهم، وكانت الكلمة الاولى والاخيرة لجموع المصريين الثائرة.

♥ بينت الدراسة أن رواية الارشيف البريطانى كانت صادقة لأنها خرجت عبارة عن يوميات تعالج الموقف المتفاعل مع الثورة، فأعطتنا لقطات فى غاية الاهمية فى تاريخ مصر والمصريين. فأوضحت قدرة المصريين الخارقة على مقارعة بريطانيا وهزيمتها معنويا وسياسيا واخلاقيا وامنيا، حيث استطاعت الثورة أن تقطع الاتصالات البريطانية وتقتلع خطوط السكك الحديدية والتلغراف وتمنع وصول البريد وتفقد بريطانيا قدرتها على التحرك والسيطرة. وأن المصريين لم يهتموا بجرائم بريطانيا وقتلها لاكثر من 800 مصرى، بل ان وثائق الزعر التى خرجت تعبر عما يعانونه داخل مصر لتشهد لهذا الشعب الكريم بالشجاعة والاقدام والقوة والبأس.

♥ أثبتت الدراسة أن الوثائق البريطانية مهمة للغاية فى قراءة ثورة 1919، وأنها تصب فى مصلحة الشعب المصرى، بعكس ما هو متصور عنها. وإن كانت مصطلحاتها لم ترد فيها كلمة ثورة وانما تمرد او هياج او عنف وارهاب وما الى ذلك من الفاظ يمكن فهمها فى ضوء الحماية البريطانية على مصر. بل يمكن فهم المسكوت عنه فى تلك الراوية سواء فى الوحشية البريطانية فى مواجهة الثوار، او فى الاخطاء التى ارتكبها القئم بعمل المندوب السامى البريطانى شيتهام. وامكننا من خلال التفرقة بين الصوت والرواية أن نميز طبيعة الراوى الذى انتج تلك النصوص والثغرات والتناقضات الموجودة فى روايته، وان كل سطر من سطورها يحفل بالفعل الثورى ومقاومة المستعمر وبطولات المصريين فى شتى الاماكن. فحديث المسؤولين البريطانيين عن الفعل الثورى وإجرائتهم ضدها بين لنا دور الناس العاديين فى الثورة، وانه كان تعبيرا عن ارادة الثوار الذين يواجهون اولئك المسؤلين الحكوميين.

♥ بينت الدراسة دور النخبة السياسية المصرية قبل الثورة وعند قيامها، بتحريك الامور وتبادل الادوار بين رجالاتها ووحدتهم على هدف الحكم الذاتى، رغم حديث الوثائق البريطانية حول تفهم بعضهم لمسالة الحماية البريطانية واقتصار الامر على الحكم الذاتى وليس الاستقلال الكامل. وقالت الدراسة بأن بريطانيا والغرب قد وقفت أمام المشروع الليبرالى الذى صدروه لمصر، لكنهم عند استفادة المصريين منه أجهضوه. حيث افلح الليبراليون المصريون خلال 37 سنة من الحكم البريطانى الذى سبق ثورة 1919 من ان يحققوا النجاح بالدور الذى قامت به النخبة

السياسية فى تحريك الموقف السياسى فى نوفمبر 1918. بدليل ان بريطانيا حتى فبراير 1919 كانت تخشى احتجاجات النخبة السياسية ومعارضتها من عدم السماح للوفد بالذاهب لمؤتمر الصلح. بل ان التجربة السياسية خلال فعاليات الثورة أثبت ان ممارسات النخبة السياسية المصرية كانت ممتازة، وانه لا اختلاف بين الاحزاب حول الفكرة الوطنية، وان ردود السياسيين المصريين ومساجلاتهم مع الادارة البريطانية كانت متقدمة عما حدث فى مناطق اخرى من العالم. وهو الامر الذى شكل الخوف للدولة المستعمرة تجاه النخبة السياسية، فكان لابد من ضرب هذه النخبة فيما بعد. والسؤال الذى تطرحه الورقة وتدعو الباحثين للاشتباك معه، هل نجاح النخبة السياسية المصرية طيلة اكثر من ستة اشهر قبل ثورة 1919 وخلال فعالياتها هو الذى اوجب بضرورة افسادها، فصارت لما صارت عليه حتى كانت سببا فى قيام ثورة 1952؟ ولماذا ظلت هواجس المصريين ومخاوفهم من هذه النخبة طيلة هذا التاريخ الطويل؟ وهل كانت تجليات ثورة 1919 وقيادة النخبة للشارع وانحيازها له سببا فى ضرب التجربة حتى لا تتكرر مرة اخرى؟ وما هى علاقة النخبة بالشارع؟ ثم بالدولة والسلطة فيما بعد؟

♥ أوضحت الدراسة أن الاتهامات بالشيوعية والتطرف والعنف، وأن هناك قوى خارجية تحرك الثورة، ممثلة فى ايطاليا وروسيا تارة وفى المانيا وفرنسا واسبانيا تارة اخرى، لم تظهر الا فى شهر ابريل 1919، وأن دخول الموظفين والنقابات وعلاقتهم بالاشتراكيين الايطاليين هو الذى اوجد مثل هذه الاتهامات. وانه حينما لم تتدخل الخارجية البريطانية بإرسال توجيهات للقائم بأعمال المندوب السامى، شيتهام، فى الاسابيع الثلاث الاولى من الثورة، اكتشفنا أن الرجل يتصرف مع الثورة من منطلق بنية ثقافية تفاجأ بها، لم يعرفها او لا يعرف شيئ عنها. وبالتالى لم يتطرق للأبعاد الاجتماعية والدينية والبلشفية كما جرى الحدث عنها فى شهر ابريل 1919. فقراءة الوثائق اوضحت لنا المأزق الذى وقع فيه شيتهام فى الاسابيع الاولى من الثورة، وانه فوجى بتحركات وهياج وتخريب فى كافة الاماكن وفى كل انحاء القطر المصرى، والمطوب منه ان يكتب للخارجية البريطانية عن الاجراءات المتخذة ضدها، لكن من هول المشهد رأيناه ينقل هذا الرعب الذى راه دون ان يسمع من خارجيته ما يجب فعله، وكأنها تفاجئت بالمشاهد التى يتحدث عنها، مثل تفاجأ ممثلها فى مصر.

ISSN:2707-8183 المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

العلاقات الدبلوماسية السلمية
في عهد الخلافة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية

الباحث خالد حماد أحمد عياد
الأستاذ الدكتور محمد نايف العمايرة

الملخص

تسلَّم عبد الرحمن الناصر مقاليد السلطة بالأندلس في وقت سادت فيها الاضطرابات والفتن، وتكالبت عليها أطماع نصارى الشمال الإسبان، لكنه تمكَّن من رصِّ الصفوف، وإخماد الفتن، وإعادة بناء الدولة من جديد، وبسط نفوذه على جميع مفاصل الدولة، وحقَّق انتصارات عسكرية على الممالك النصرانية المجاورة في الشمال، فضلًا عن تأمين حدود دولته الجنوبية؛ فانتعشت الأندلس اقتصاديًّا وعسكريًّا في عهده، وصارت وجهة لعديد من البعثات الدبلوماسية للممالك الإسبانية التي استعانت بالخليفة عبد الرحمن على توطيد دعائم حكمها بعد أن استعر الصراع على السلطة بينها. وقد استمر هذا الحال إلى ما بعد وفاة الخليفة عبد الملك المُظفَّر؛ إذ بدأت الفتن تنخر جسد الدولة، وكثرت الانقلابات، وقُتِل عديد من الخلفاء؛ فأخذت عُرى الدولة تتفكَّك شيئًا فشيئًا، وبدأ نفوذ الممالك الإسبانية يستعيد قوته، مستفيدًا من حالة الشرذمة والضعف تلك.

Abstract

power in al Andaluz was assumed by emir abd aal Rahman the 3rd in times of turmoil and troubles accompanied by the accumulating ambitions of the Christians in the north of Spain but he managed to mentain solidarity in al Andaluz succeeding in rebuilding his country again spreading his control on all of its land managing at the same time to win many military battels over his rivals in northern spain while preserving his southern borders which led to the prosperity of his land both militarily and economically this led it to be a haven for diplomatic embassies from the kingdoms of northern Spain that arrived in al Andaluz court seeking the help from abd al Rahman the 3rd in their

internal wars ,this was the state of affairs until the the death of the caliph Abd al Malek al Moda far a period that seen many internal wars among many leaders in Islamic Andaluz which led to the death of many muslem leaders in al al andaluz and the rise of the northern spanish kingdoms on the expence of al andaluz.

أولًا: العلاقات الدبلوماسية في عهدي الإمارة والخلافة في الأندلس.

نبذة عن الدبلوماسية:

كلمة "الدبلوماسية" (Diplomacy) مشتقة من كلمة "دبلوم" (Diplum) اليونانية التي تعني "يطوي".[1] وبعض الدراسات أشارت إلى أن هذه الكلمة تعود في أصلها إلى كلمة "دبلوم" (Diploma) الرومانية، وأنها أُطلِقت على وثيقة السفر المعدنية المطوية والمختومة.[2] وعلى أيِّ حال، فلا شكَّ في أن الرومان كانوا قد اقتبسوا الكثير عن الإغريق أو اليونان، وأن دلالة كلمة "الدبلوماسية" تغيَّرت بمرور الزمن؛ إذ اتسع معناها حتى أصبحت تشمل المعاهدات، والاتفاقيات، والوثائق الرسمية. وفي القرن الخامس عشر الميلادي، تطوَّر معناها ليشمل كل ما يتعلَّق بممارسة العلاقات الدبلوماسية في الإطار الخارجي تحديدًا.[3]

العلاقات السلمية بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عهد الخلافة حتى قيام دول الطوائف

أثر الصراعات الداخلية بالممالك الإسبانية في تداعي حكامها للتحالف مع الأندلس الإسلامية:

شهدت الممالك الإسبانية النصرانية صراعات احتمدت واستعرت نيرانها كلَّما وُجِد عرش شاغر، وتكرَّر ذلك في بدايات عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ إذ استعانت هذه الممالك بالأندلس المسلمة لقتال بعضها. وقد شهد عهد الإمارة هذه الظاهرة مُمثَّلةً بعرش مملكة ليون، واستمر ذلك في عهد الخلافة.

1

(2) محمد، فاضل زكي، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ط1، ساعدت وزارة المعارف على نشره، بغداد، 1380هـ/ 1960م، ص7. سيشار إليه فيما بعد: محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق؛ الفتلاوي، سهيل حسين، تطور الدبلوماسية عند العرب، دار القادسية للطباعة، بغداد، 1380هـ/ 1960م، ص 13. سيشار إليه فيما بعد: الفتلاوي، تطور الدبلوماسية عند العرب. Satow, Emest, Aguide Diplomalic Practice, London, 1957, p2

(3) محمد، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق، ص7-8.

وفي الوقت نفسه، سارعت الممالك الإسبانية النصرانية إلى إبرام معاهدات سلمية مع الأندلس الإسلامية لتأمين حدودها معها من ناحية، ولتتفرَّغ لقتال بعضها على الجبهات الأخرى، وكانت وفاة الملوك غالبًا هي الشرارة التي تُشعِل هذا النوع من الحروب.

العلاقات الدبلوماسية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر

المعاهدة السلمية بين قرطبة وبرشلونة:

وُقِّعت هذه المعاهدة بين الخليفة عبد الرحمن الناصر والكونت شنترين ويغيفريد حاكم قطلونية. وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أرسل أسطولًا لمهاجمة مدينة برشلونة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة عام 323هـ/934م، وتمكَّن هذا القائد من إحراز النصر.[1]

وفي السنة التالية، تَحيَّن أهالي قطلونية الفرص للإيقاع بعبد الرحمن الناصر وقواته؛ إذ لمّا علموا انشغاله بحصار سرقسطة قرَّروا مباغتة الثغر الأعلى، فأعدّوا العُدَّة لمهاجمته، وعملوا على محاصرته؛ ما دفع القائد أحمد بن محمد بن إياس إلى التوجُّه صوب الثغر الأعلى لصدِّ المهاجمين، وكان له النصر. ولتمجيد هذا الانتصار، أهدى الشاعر محمد بن عبد ربه قصيدة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر.[2]

وبعد مرور أربع سنوات على الأحداث العسكرية بين الطرفين، والمواجهات التي شهدتها قرطبة وبرشلونة، سعى حاكم برشلونة شنترين ويغيفريد إلى عقد صلح مع الخليفة عبد الرحمن الناصر عام 328 هـ/940م.

فعُقِدت معاهدة سلمية بين الأندلس الإسلامية وبرشلونة التي كانت تحت حُكم شنير منفريد. ونظرًا إلى ثقة الخليفة عبد الرحمن الناصر برسوله ووزيره وطبيبه الخاص وسفيره المؤتمن حسداي بن شبروط؛ فقد انتدبه لهذه المهمة المُعقَّدة، فذهب في وفد لتمثيل عاصمة الخلافة الأندلسية قرطبة في بلاد شنير منفريد،[3] حيث تفاوض معه

---

(1) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت367هـ/ 1074م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق شالمينا، مدريد، 1979م، ج 5، ص366-376، سيشار إليه فيما بعد: ابن حيان، المقتبس.

(2) العذري، أحمد بن عمر بن أنس (ت478هـ/1085م)، نصوص في الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، حققه وجمعه، عبدالعزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد (د.ت)، ص45-46، وسيشار إليه لاحقًا: العذري، نصوص في الأندلس.

(3) هيلنبراند، روبرت، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج1، ص197. سيشار إليه فيما بعد: هيلنبراند، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

على إبرام معاهدة سِلْم بين قرطبة وبرشلونة، بما يتفق مع شروط الخليفة الناصر الذي كان واثقًا بحنكة ابن شبروط وقدرته على تحقيق هذه الشروط،[1] وهي:[2]

- امتناع منفريد عن تقديم العون إلى النصارى كافةً في أثناء حربهم مع الأندلس الإسلامية.
- التزام منفريد بأوامر الخليفة عبد الرحمن الناصر.
- إنهاء عقد المصاهرة بين منفريد وغرسيه شانجة حاكم بنبلونة (نبرة). وكان منفريد قد زوَّجه ابنته؛ فطلَّقها منه استجابةً لشروط عبد الرحمن الناصر.

الجهود الدبلوماسية للسفير والدبلوماسي المُحنَّك حسداي بن شبروط في برشلونة:

لم تقتصر جهود الدبلوماسي البارع حسداي بن شبروط على التفاوض مع شنير منفريد حاكم برشلونة، والدفع بنجاح في اتجاه فرض شروط الخليفة في أيِّ معاهدة صلح مع بلاط برشلونة، وإنَّما تعدّى ذلك إلى دعوة عديد من رجال الدولة الكبار للتعاون مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، وحثِّهم على إبرام معاهدات سلام معه. وقد تكلَّلت جهوده بالنجاح؛ إذ استجاب لدعوته تلك عددٌ من كبار القادة ورموز الدولة، مثل الكونت أنجة (ANGEA)،[3] وكان مقر الكونت أنجة على أرض نابل (نابولي).

سفارة الكونت أنجة في بلاط الناصر:

استجابةً لدعوات حسداي ابن شبروط المُتمثِّلة في مهادنة الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ أقام الكونت أنجة سفارة في قرطبة، تمثَّلت مهمتها الرئيسة في الطلب إلى الخليفة الناصر ضمان سلامة التجار القادمين إلى قرطبة من أرض نابل، وتوفير الحماية لهم في أثناء عبورهم أرض الأندلس بغرض التجارة، فاستجاب الخليفة عبد الرحمن الناصر لذلك، وأصدر أوامر إلى عمّاله على أرض الأندلس، وبخاصة المرابطون على السواحل والطرقات الواصلة بين أراضي الأندلس وأرض نابل، تنص على تأمين هؤلاء التجار، وتوفير الحماية لقوافلهم، وشدَّد الخليفة الناصر على عمّاله في أقاليم الأندلس ضرورة حماية التجار عامة، ولا سيَّما القادمين من الأراضي التابعة للشمال الإسباني، فكان ما أمر، وهو ما انعكس إيجابًا على الأندلس، وأسهم في رخائها.[4]

---

(1) عنان، محمد عبدالله، الدولة الأموية في الأندلس، القاهرة، 1969م، ج 2، ص422، سيشار إليه فيما بعد: عنان، الدولة الأموية الإسلام.

(2) عنان، دولة الإسلام، ص 422.

(3) ابن حيان، المقتبس، ج5، ص454.

(4) المرجع السابق، ج5، ص454-455.

سفارة ابنة كونت كونتية قطلونية في بلاط الناصر:

أثمرت الجهود الدبلوماسية الفذَّة للسفير المُبدِع حسداي بن شبروط، في أثناء وجوده في برشلونة، عن إقناع عدد آخر من قادة الدولة الكبار بالسعي إلى مهادنة الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان على رأسهم مركلة ابنة الكونت بوريل حاكم كونتية قطلونية؛ فبعد اجتماعها مع السفير حسداي ابن شبروط، سارعت إلى إرسال أفضل سفرائها الى بلاط الخليفة الناصر، وهو برناط ذو الأصول اليهودية، وقد حمَّلته مركلة من النفائس ما يعجز عنه الوصف، وجعلت ذخائر سفارتها ألوانًا عجيبة من صنوف الهدايا؛ ليُقدِّمها مع تحياتها إلى الخليفة الناصر، الذي أُعجِب كثيرًا بأفعال مركلة، وكانت سفارة بلادها قد حلَّت على بلاط قرطبة عام 328هـ/939م، حيث حظيت بحفاوة كبيرة من الخلافة الأندلسية، ونال السفير برناط تكريمًا واحترامًا يليق بالملوك، ثم وُدِّع بمثل الحفاوة التي استُقبِل بها، مُحمَّلًا بما يليق بالخليفة الناصر من صنوف الهدايا المُرسَلة إلى مركلة.

قضية الملك سانشو الأول المخلوع عن عرشه عام 958م في مملكة ليون وبداية الصراع على عرش المملكة واعتلاء ألفونسو العرش فيها:

كانت ليون من ضمن الممالك التي تداعت إلى طلب النجدة من دولة الأندلس الإسلامية، وبخاصة بعد وفاة حاكمها أردينيو، الذي قاتل هذه الدولة، وانتصر عليها في موقعة شنت اشتيبن عام 917م.[1]

وما إن توفي أردينيو وشقيقه فرويلا حتى تنازع على عرش ليون ولدي أردينيو ألفونسو وسانشو، وخاضا حربًا أهلية انتهت بوفاة سانشو عام 317هـ/ 925م، فاستقر الأمر لمصلحة ألفونسو، وتربَّع على عرش ليون.[2]

استيلاء راميرو على عرش ليون من ألفونسو:

ثار على ألفونسو شقيقه راميرو الثاني؛ ما تسبَّب في اندلاع حرب أهلية من جديد داخل مملكة ليون، انتهت بانتصار راميرو الثاني، فتولّى عرش ليون حتى وفاته عام 339هـ/ 950م.[3]

وفاة الملك راميرو الثاني والصراع على عرش ليون بين ولديه أردونيو وسانشو الأول وانتصار أردونيو وإبرامه معاهدة سلام مع الخليفة عبد الرحمن الناصر:

---

(1) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص589.

(2) Reuter, timothy: the new Cambridge Medieval History 900-1024 c. pr: Univercity press Cambridge, 2008c. p675; Ali Khan: history of world civilization (Spein). P49.

(3) Reuter, Medieval History 900-1024 c. p675.

بعد وفاة راميرو، اندلعت حرب بين ولديه أردونيو وسانشو على العرش.[1] وفي نهاية المطاف، انتصر أردونيو، فتُوِّج على عرش ليون. وكان من أبرز أعماله عقد معاهدة صلح مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، تضمَّنت تسليمه حصونًا، وهدم أخرى.[2]

وفاة الملك أردونيو واعتلاء شقيقه سانشو عرش مملكة ليون:

كانت الوفاة المُبكِّرة هي السمة الغالبة على أجيال تلك العصور؛ نظرًا إلى انتشار الأوبئة والمحن والحروب، ولم يكن الملوك بمعزل عن ذلك؛ إذ وافت المنية أردونيو ابن راميرو، فاهتزَّت أركان المعاهدة التي أبرمها مع الخليفة عبد الرحمن الناصر.

محاولة سانشو الأول نقض المعاهدة المُبرَمة مع الخليفة عبد الرحمن الناصر ثم تراجعه عن ذلك:

ما إن تربَّع سانشو الأول على عرش ليون بعد وفاة شقيقه أردونيو حتى حاول نقض معاهدة أخيه مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، فأعلن الخليفة الحرب على ليون؛ ما دفع سانشو الأول إلى طلب الصلح من الخليفة عبد الرحمن الناصر.

خلع سانشو الأول عن عرش ليون عام 347هـ/ 958م ولجوئه إلى عمَّته الملكة طوطة للتوسُّط لدى الخليفة عبد الرحمن الناصر لمساعدته على استعادة عرشه:

بدأت خيوط قصة سانشو الأول تتضح بعد رفضه نقض معاهدة الصلح مع الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ فثار عليه شعبه، وخلعوه، وأتوا بعمِّه أردونيو الرابع، وتوَّجوه ملكًا على ليون، ولجأ سانشو الأول إلى عمَّته طوطة لتساعده على استعادة حكمه بدعم من الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي كانت تربطه به علاقة مصاهرة؛ إذ كانت عمَّته طوطة (ابنة الملكة أونيكا ابنة فرتون) الموجودة في مملكة نافارا، قد تزوَّجت بالأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط ابن الأمير الحكم الربضي بن هشام الرضا بن صقر الأندلس وأميرها الأول عبد الرحمن الداخل، فكانت بذلك جَدَّة الخليفة عبد الرحمن الناصر. ولهذا قرَّر طلب المساعدة منها؛ بأن تتوسَّط لدى الخليفة لاستعادة عرشه الملكي، وقد تمكَّن الخليفة عبد الرحمن الناصر من إعادة سانشو ملكًا على ليون،[3] بعدما أناط سفيره

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/ 1373م)، أعمال الأعلام، القسم الخاص بالأندلس، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت، 1956م، ج2، ص 280، سيشار إليه فيما بعد: ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

(2) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص592-593؛ دوزي، رينهرت، تاريخ المسلمين في الأندلس، تحقيق حسين حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1994م، ج2، ص45. سيشار إليه فيما بعد: دوزي، تاريخ المسلمين في الأندلس.

(3) Reuter, Medieval History 900-1024 c. p678-679.

حسداي بن شبروط بهذه المهمة، الذي امتثل لأمر الخليفة، وامتشق سيوفه الدبلوماسية والطبية معًا، مُلبِّيًا الأوامر الصادرة عن بلاط قرطبة المنيع. ومن الجدير بالذكر أن السفير ابن شبروط الذي حظي بثقة الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يهوديًّا، وعُدَّ من أكابر قبائل قومه الذين لقَّبوه بالملك؛ لرفعة مكانته، وعلو شأنه.

برع حسداي بن شبروط في مجالات العلم المتنوعة، وأهمها الطب؛ ما جعله يتبوَّأ مكانة كبرى في دولة الأندلس، وبخاصة لما عُرِف عنه من ابتكاره (أو إعادته) تركيب الترياق المعدود دواء لكل داء، والمفقود منذ انتهاء عهد الإمبراطورية الرومانية بالمسكونة، من دون أن يترك دليلًا أو أثرًا عليه، فكان ابن شبروط كولومبس الطبابة؛ إذ امتلك أسرار الملاحة في مخطوطات العلم العتيقة، واحترف قراءة خرائط الطب والدواء، وقد جعلته مهارته في الطب طبيبًا للبلاط ودولة الخلافة، أمّا أدبه وتأدُّبه فجعلا منه عنوانًا للدبلوماسية الرفيعة، في حين جعلته سعة ثقافته عميد السفراء، ولا سيَّما رسول الخلافة ومبعوثها إلى ملوك المعمورة وأباطرتها، ومنهم ملوك إسبانيا.

انتدب الخليفة عبد الرحمن الناصر حسداي بن شبروط لمهمة دبلوماسية طبية مُعقَّدة جدًّا، تمثَّلت في محاولة مساعدة الملك سانشو الأول البدين على إنقاص وزنه؛ ليتمكَّن من امتطاء صهوة الخيل وقيادة الجيوش عليها؛ إذ خلعه نبلاء مملكته عن العرش لعدم قدرته على قيادة الجيوش ممتطيًا صهوة فرسه.

نجح ابن شبروط في مهمته تلك؛ فعاد سانشو ملكًا على مملكته بعد أن أمدَّه الخليفة عبد الرحمن الناصر بمَدَد من المقاتلين الذين أعادوه إلى كرسي الحكم من جديد، ملكًا على ليون كما كان في السابق. وهكذا أنهى الخليفة عبد الرحمن الناصر ورسوله الأمين حسداي بن شبروط مرحلة اللجوء التي عاشها سانشو الأول، وتمكَّنا معًا من إعادته ملكًا على ليون؛ ليُكمِل كتابة تاريخه حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

انتداب الخليفة عبد الرحمن الناصر أمراء الثغور لإبرام معاهدات السِّلْم نيابة عنه:

بعد هزيمة الخليفة عبد الرحمن الناصر في معركة الخندق أمام جيوش الممالك الإسبانية، أوكل مهمة القتال وإدارة الحروب إلى قادته العسكريين على الثغور، إضافةً إلى الزعامات المحلية من أمثال: آل تجيب، وآل ذي النون، وآل غزوان، وآل رزين.[1] وكان ذلك بعد عام 939/727م. وقد امتازت هذه الحقبة بمزيد من العلاقات السلمية بين دولة الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية؛ نظرًا إلى سعي حكّام الثغور لمهادنة الممالك الإسبانية الشمالية؛ بغية تحقيق الأمن في مناطقهم وتعزيزه.

(1) ابن حيان، ج5، ص437-438.

وللسبب نفسه، شهد عام 344هـ/ 956م عقد هدنة بين قرطبة ومملكة ليون، وما لبثت مملكة قشتالة أن انضمَّت إليها عام 345هـ/ 957م.[1] وتبع تلك الاتفاقية اتفاقيات أخرى تصبُّ في الهدف ذاته، وتُوِّجت معظم التفاهمات بين حكّام الثغور الإسلامية - ممَّن أنابهم عنه الخليفة- بمعاهدات بين دار الخلافة الأندلسية الإسلامية في قرطبة وإسبانيا النصرانية مُمثَّلةً بممالكها، وأسهمت المصاهرات ووشائج القربى والنسب في الدفع إلى قيام علاقات سياسية ودبلوماسية سلمية بين دولة الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية.

ففي عام 347هـ/ 958م، عُقِدت هدنة بين مملكة نافارا (كانت تحكمها الملكة طوطة) ودولة الخلافة الأموية في الأندلس.[2]

علاقة الخليفة المستنصر والحاجب المنصور السلمية بإسبانيا:

بعد وفاة عبد الرحمن الناصر استمر ابنه المستنصر على نهجه، فكانت سياسته تتأرجح بين الحرب والجنوح إلى السِّلْم وفق ما تقتضيه الأمور.

وكانت بداية العلاقات السلمية بين دولة الخلافة الأموية في الأندلس في عهد المستنصر والممالك الإسبانية النصرانية مع أمير جليقية، ثم مع حاكم أشتورياس. بعد ذلك حلَّت سفارة لسانشو غارسيا على أرض قرطبة. وفي عام 360هـ/ 971م، وفد سفير لأمير برشلونة الكونت بوريل، ثم وفدت البيرة وصية عرش ليون طالبة الهدنة.[3]

المستنصر والدبلوماسية:

أكرم المستنصر مَنْ وفد عليه من الممالك الإسبانية النصرانية، واستقبل السفراء استقبالاً حسنًا، وأكرمهم أيَّما إكرام، وحرص على إغداق الهدايا على السفراء القادمين عليه من إسبانيا الشمالية.

من السفارات التي وفدت على دولة الأندلس الإسلامية في عهد المستنصر السفارة التي ترأَّستها أم لذريق بلاكش والدة القومس الأكبر قرب جيليقية. وكانت قد وفدت على ديوان المستنصر وبلاطه لعقد السِّلْم لابنها عام 365هـ/

(1) المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1968م، مج1، ص365، سيشار إليه فيما بعد: المقري، نفح الطيب.

(2) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص459.

(3) السامرائي، خليل إبراهيم طه، مطلوب، عبد الواحد دنون، صالح، ناطق، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، الكتب الوطنية، بنغازي، 2000م، ص189-190.

975م، فاستقبلها المستنصر بحفاوة، وأُقيمت الاحتفالات بمناسبة قدومها، وأجابها المستنصر على طلبها؛ فعقد السِّلْم مع ابنها القومس الأكبر. وإمعانًا من المستنصر في الاحتفاء بها، منحها أموالًا؛ لتُوزِّعها على حاشيتها.[1]

التزام المستنصر بالأعراف الدبلوماسية في تعامله مع السفراء الوافدين على بلاطه:

تحلّى المستنصر بالدبلوماسية في علاقته بسفراء الممالك الإسبانية عند قدومهم إلى بلاطه في قرطبة، غير أنه كان يُظهِر خلاف ذلك عند عدم التزام السفراء بأصول الدبلوماسية وأعرافها، وقد حدث ذلك في أثناء استقباله رسل ملك ليون عام 363هـ/ 973م؛ إذ بادر هؤلاء الرسل إلى مخاطبته بأسلوب لا يمتُّ إلى الدبلوماسية بصلة، ولا يخلو الغضاضة؛ ما جعل مُترجِم الخليفة يمتنع عن ترجمة ما يقال بصورة صحيحة، وهو أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضي النصارى في قرطبة، وهو ما أغضب الخليفة المستنصر، فطلب إليه التوقُّف عن الترجمة، ثم طرده من البلاد في ذلك اليوم، وسارع إلى توبيخ السفراء، وأنهى لقاءهم به، ثم عهد إلى القائد زياد بن أفلح باستقبالهم، فأوضح لهم زياد سوء أدبهم أمام الخليفة، وأعلمهم أنهم كانوا سينالون عقابه على فعلتهم تلك لولا حصانتهم التي يتمتَّعون بها.[2]

المنصور بن أبي عامر:

أشرنا في مستهل هذا المبحث إلى الحروب والصراعات التي شهدتها إسبانيا النصرانية بين ممالكها، وكيف أدّى ذلك إلى تدافع ملوكها للتقرُّب من دولة الأندلس الإسلامية؛ بغية ترجيح كفتهم على كفة خصومهم عن طريق الاستعانة بقوات أندلسية إسلامية.

وقد تكرَّر ذلك في الحقبة التي أعقبت وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ إذ شهدت الأندلس صراعات بين عدد من الخلفاء المتداعية إماراتهم من جهة، وبينهم وبين الطامعين في ملكهم من جهة أخرى، وهو ما دفع بعضهم إلى طلب العون من إسبانيا النصرانية وممالكها.

سار المنصور بن أبي عامر على نهج المستنصر بتقديم المساعدة لِمَنْ يطلبها من ملوك الإسبان؛ ففي عام 385هـ/ 995م، قدم برمودو الثاني ملك ليون إلى قرطبة

يطلب النجدة من المنصور لردع المتمردين عليه وعلى عرشه، فاستجاب له المنصور، ثم تزوَّج ابنته تريسا.[3]

---

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، 1424هـ/ 2003م، ج 4، ص174-175، سيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، العبر.

(2) الحجي، أندلسيات، دار الرشاد، ط1، بيروت، 1389هـ/ 1969م، ج2، ص100-101.

(3) عنان، دولة الإسلام، ج2، ص583.

ثم قدم على المنصور سانشو غريسا ملك نافار، وكانت معه ابنته، فتزوَّجها المنصور، ولُقِّبت بعبدة، وأنجبت له عبد الرحمن شنجول.[1]

غير أن علاقة المنصور بمملكة نافار أصابها الفتور؛ ما دفعه إلى غزوها، فجاءه ملكها سانشو طالبًا الصلح عام 382هـ/ 992م. وعند وصوله بلاط المنصور، بالغ المنصور في إظهار الأُبَّهة لسانشو.[2]

اتسمت علاقة المنصور بإسبانيا النصرانية بالاضطراب؛ إذ تراوحت بين السِّلْم والحرب، ومن ذلك غزوه مملكة ليون وانتصاره عليها، ثم ثورة نبلائها على ملكهم راميرو بعد هزيمته، وخلعه، ثم تعيين ابن عمه برميدو ملكًا، وتمكُّنهم من استعادة ليون عام 374هـ/ 984م. ولتدعيم أركان حكمه؛ سعى برميدو إلى طلب العون من المنصور لقاء دفعه الجزية، فأُقيمت حامية إسلامية في ليون.[3]

علاقة عبد الملك المُظفَّر وعبد الرحمن شنجول بإسبانيا:

كان لتجذُّر الخلافات التي عصفت بالأندلس إثر وفاة عبد الرحمن الناصر أثر كبير في تردّي العلاقات أحيانًا بين دولة الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ولم يكن عهد عبد الملك المُظفَّر وشقيقه عبد الرحمن شنجول ليشذَّ عن هذه القاعدة.

ففي عهد عبد الملك المُظفَّر، نُقِضت المعاهدات التي أبرمتها الممالك الإسبانية مع المنصور. وكان زعماء هذه الممالك وقتئذٍ: شانجة غرسيه فرويلا ملك قشتالة، وأدفونش برمند، وقومس غليسيه. وقد تمكَّن عبد الملك المُظفَّر من غزو برشلونة، فكان ذلك دليلًا على ما يملكه عبد الملك المُظفَّر من قوة، فحلَّ السِّلْم بين دولة الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية.[4] وفي عام 398هـ/ 1007م، توفي عبد الملك المُظفَّر، وتناقلت الأنباء احتمال وفاته مقتولًا بالسُّمِّ على يد عبد الرحمن شنجول؛ ما دفع والدة عبد الملك المُظفَّر إلى الانتقام لمقتله، وذلك بعد تسلُّم شنجول منصب

---

(1) المرجع السابق، ج2، ص583.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص70.

(3) دوزي، تاريخ المسلمين في الأندلس، ج2، ص117.

(4) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام (ت543هـ/ 1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ق4، مج1، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1985م، ص84-85. سيشار إليه فيما بعد: ابن بسام، الذخيرة.

الحجابة، وقد أيَّد الخليفة هشام تعيينه حاجبًا للبلاد.[1] كان شنجول توّاقًا إلى المُلك، فطالب بولاية العهد من الخليفة هشام المؤيد،[2] واستهان بالأمويين وبأنصارهم في الأندلس؛ فنقمت عليه البلاد.[3]

عهد الخليفة محمد بن عبد الجبار وعلاقته بأمير برشلونة الكونت رامون بوريل والكونت أرمنجو:

نظرًا إلى اعتقاد الزلفاء والدة عبد الملك المُظفَّر بوفاته مسمومًا على يد عبد الرحمن شنجول؛ فقد قرَّرت الاستعانة بالأمويين، والتعاون معهم، للأخذ بثأرها من عبد الرحمن شنجول، وصادف أن تماهت نواياها في الانتقام مع نوايا أحد الأمراء الأمويين، واسمه محمد بن هشام، فتعاونا معًا على ذلك، وبخاصة أن عبد الرحمن شنجول كان قد قتل والد هذا الأمير.[4]

نجحت مساعي الزلفاء في تحقيق مبتغاها؛ إذ أصبح محمد بن هشام خليفة على الأندلس عام 399هـ/ 1009م،[5] وتخلَّص من عبد الرحمن شنجول بقطع رأسه، ولم تكن فترة حُكم عبد الرحمن شنجول قد جاوزت أربعة أشهر فقط.[6]

أجبر محمد بن هشام المُلقَّب بالمهدي الخليفة هشام المؤيد على التنازل عن الخلافة، وقد تمَّ له ذلك، ثم عيَّن سليمان بن هشام وليًّا للعهد.[7]

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/ 1348م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، ج27. سيشار إليه فيما بعد: الذهبي، تاريخ الإسلام؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص84-85؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص38.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج27، ص373؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص39.

(3) المقري، نفح الطيب، ص426؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص90.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص52؛ الحميدي، أبو عبدالله بن محمد بن أبي نصر (ت488هـ/ 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للترجمة، القاهرة، 1966م، ص 19، سيشار إليه فيما بعد: الحميدي، جذوة المقتبس؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص631.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص57-70؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص633-634؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/ 1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، (د.م)، 1967م، ج1، ص22، سيشار إليه فيما بعد: الضبي، بغية الملتمس.

(6) المقري، نفح الطيب، ص426.

(7) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص104؛ المراكشي، عبد الواحد المراكشي (كان حيًّا في أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط3، القاهرة، 1963م، ص88. سيشار إليه فيما بعد: المراكشي، المعجب.

في هذه الأثناء تعرَّض العامريون، وهم من البربر الذين ناصروا المنصور بن أبي عامر، للاضطهاد على يد الأمويين وأنصارهم في عهد الخليفة محمد بن هشام؛ ما جعل العامريين يتربَّصون بالأمويين، ويتحيَّنون الفرص للانقضاض على مُلكهم.[1]

وكذلك تعرَّض الصقالبة للنفي من قِبَل الخليفة المهدي الذي قرَّب إليه أحدهم، وهو الفتى واضح؛ إذ ولّاه الثغر الأوسط بما في ذلك مدينة سالم. والحقيقة أن إقصاء الصقالبة ونفيهم أوغل صدورهم على الخلافة الأموية في الأندلس آنذاك.[2] أمّا الخليفة هشام المؤيد فوُضِع في حجر منزلي.[3]

بعد ذلك طرد الخليفة المهدي سبعة آلاف جندي من الجيش، وزجَّ ولي عهده سليمان بن هشام في السجن ومعه جماعة من قريش.[4]

حاول هشام بن سليمان الناصر والد ولي العهد المسجون الانقلاب على الخليفة المهدي بدعم من العامريين والصقالبة، ولكن محاولته تلك باءت بالفشل؛ إذ أُلقِي القبض عليه، وأُعدِم مع شقيقه أبي بكر. أمّا ولي العهد المسجون فتمكَّن من الفرار، فاشتدَّت الفتنة.[5]

تجمَّع البربر حول ولي العهد سليمان بن هشام، وبايعوه بالخلافة، وأطلق على نفسه لقب المستعين بالله.[6] بعدئذٍ قرَّر المستعين بالله إجراء مفاوضات مع كونت قشتالة سانشو غرسيه، وطلب منه العون على محمد بن هشام بن لقاء حصول سانشو على عدد من الحصون.[7] وقد أتت هذه المفاوضات أُكلها؛ إذ قدَّم له سانشو الدعم اللازم الذي حقَّق له النصر على القائد التابع للخليفة محمد بن هشام في مدينة سالم، مُمهِّدًا له الطريق إلى قرطبة، حيث الخليفة محمد بن هشام.[8]

---

(1) المقري، نفح الطيب، ص427؛ ملوح، هشام عبد الرؤوف محمد مصطفى، الدولة العامرية في الأندلس (366-399هـ/ 977-1009م)، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1994م، ص216.

(2) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص106؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص76-77.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص77.

(4) المرجع السابق، ج3، ص78؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص106.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص80-81؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص106.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص82-83؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص107.

(7) المقري، نفح الطيب، ص428.

(8) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص84-85؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص646.

في عام 400هـ/ 1010م، زحف المستعين بالله إلى قرطبة، مدعومًا بقوات من سانشو، وتمكَّن من دخولها، فأصبح بذلك خليفة على الأندلس.[1]

عاد سانشو إلى مملكته بعد أن استبقى عددًا من الجنود لمعاونة المستعين بالله.[2]

أمّا محمد بن هشام فهرب إلى طليطلة، وأمّا الفتى واضح (حاكم الثغر الأوسط في عهد الخليفة محمد بن هشام) فسارع إلى التفاوض مع أمير برشلونة الكونت رامون بوريل والكونت أرمنجو؛ لمَدِّه بالجنود لقتال المستعين بالله لقاء تسليمهم عاصمة الثغر الأوسط مدينة سالم، إضافةً إلى راتب يُقدَّر بدينارين يوميًّا لكل جندي يُرسِله بوريل وأرمنجو مع طعامه وشرابه، إلى جانب مئة دينار تُدفَع لهما كل يوم.[3]

توجَّهت قوّات الفتى واضح وقوّات بوريل وأرمنجو لملاقاة أنصار المستعين بالله على أبواب قرطبة. وقد التقى الطرفان في موقعة الثغر بمنطقة تقع قرب قرطبة عام 400هـ/ 1010م، وأسفرت هذه المواجهة عن انتصار محمد بن هشام، فأصبح خليفة على الأندلس بفضل ملوك الممالك الإسبانية النصرانية للمرَّة الثانية.[4]

مقتل محمد بن هشام وخلاف المستعين بالله مع الخليفة السابق هشام المؤيد:

انقلب الفتى واضح على الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار، وتحالف مع الخليفة السابق هشام بن المؤيد، وأسفر ذلك التحالف عن مقتل الخليفة محمد بن هشام عام 400هـ/ 1010م.[5]

أمّا البربر الذين أظهروا رفضهم لمطالبة المستعين بالله بالخلافة، وحنقهم على أهل قرطبة، فقد طلبوا المساعدة من سانشو غرسيه لقاء تقديم تنازلات كبيرة، منها منحه الحصون التي استولى عليها سابقًا كلٌّ من المنصور

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص88-89.

(2) المقري، نفح الطيب، مج1، ص428؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص107؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص19؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص91.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص95.

(4) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص108؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص95؛ المراكشي، المعجب، ص89؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص19؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص648.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص96-97؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص109-110؛ ابن بسام، الذخيرة، مج1، ص45؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرك محمد بن محمد الجزري (ت635هـ/ 1233م)، الكامل في التاريخ، ج7، ص566؛ وسيشار إليه فيما بعد: ابن الأثير، الكامل. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، ج1، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1983م، ص201. سيشار إليه فيما بعد: مجهول، ذكر بلاد الأندلس.

بن أبي عامر والحكم.[1] وبعد طول تفكير وتدبُّر، رأى سانشو غرسيه أن الأجدى له الوقوف إلى جانب الخليفة هشام المؤيد حاكم قرطبة.[2]

مؤازرة سانشو غرسيه لهشام المؤيد:

اجتمع سانشو غرسيه بهشام المؤيد حاكم قرطبة، وبُحِث في هذا اللقاء مطالب سانشو التي اشترطها لمساعدة هشام المؤيد، وجاءت موافقة هشام المؤيد سريعة على ذلك؛ إذ سلَّم سانشو نحو مئتي حصن؛ لكيلا يتعاون سانشو مع المستعين بالله.[3]

قُتِل الفتى واضح حاجب الخليفة هشام المؤيد، فحاول الخليفة هشام المؤيد التقرُّب إلى البربر وإلى المستعين بالله، ولكن من دون جدوى. واستمر المستعين بالله يُطالِب بالخلافة حتى استقر له الحال بالاستيلاء على قرطبة عام 403هـ/ 1013م.[4]

تباينت الأخبار حول مصير الخليفة هشام المؤيد ما بين مقتله أو تواريه عن الأنظار، ولكن المهم في ما يتعلق بموضوع الدراسة هو الأنباء التي تحدَّثت عن إصدار الخليفة هشام المؤيد كتابًا (فرمان) أوصى فيه بالخلافة إلى علي بن حمود، وهو من آل البيت، بعد تيقُّنه بزوال خلافته.[5]

يعود نسب (المحموديون) إلى ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ. وكان أول ظهورهم في الأندلس بمنح المستعين بالله إيّاهم مدن طنجة (الجزيرة الخضراء) وأصيل، وسبتة. أعلن علي بن

---

(1) المقري، نفح الطيب، ص28-429.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص103؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص566.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص103-104؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص651.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص108-10؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص111-112؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص567؛ عنان، دولة الإسلام، ج2، ص653.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص114.

حمود استقلاله في سبتة عام 405هـ/ 1015م، ثم عبر إلى الأندلس عام 406هـ/ 1016م،[1] وتمكَّن من السيطرة على قرطبة عام 407هـ/ 1017م،[2] حيث قبض على المستعين بالله، وقتله بتهمة قتل الأخير للخليفة هشام المؤيد.[3]

استمرَّت خلافة علي بن حمود سنة وتسعة أشهر؛ إذ قُتِل على يد الصقالبة عام 408هـ/ 1018م.[4] وما إن وصل خبر مقتله إلى شقيقه قاسم الموجود في إشبيلية حتى توجَّه إلى قرطبة ليُبايَع بالخلافة. غير أن الأوضاع لم تكن مستقرة وقتئذٍ؛ إذ طالب بالخلافة أحد أبناء علي بن حمود، واسمه يحيى، الذي كان واليًا على سبتة.[5] وتنفيذًا لذلك، فقد قصد يحيى بن علي بن حمود قرطبة، التي تركها عمُّه القاسم من دون مقاومة، وكان ذلك عام 412هـ/ 1022م.[6]

---

(1) أبو الفداء، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت732هـ/ 1332م)، المختصر في أخبار البشر، مج1، ج2، دار البحار، بيروت، (د.ت)، ص41. سيشار إليه فيما بعد: أبو الفداء، المختصر؛ لوثينا، سيكو دي، الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، دار سعد الدين، 1992م، ص20. سيشار إليه فيما بعد: لوثينا، الحموديون.

(2) القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت821هـ/ 1418م)، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج 1، ص350. سيشار إليه فيما بعد: القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة؛ أبو عبد الله بن عسكر- أبي بكر بن خمس، أعلام مالقا، تحقيق عبد الله المرابط الترقي، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص569-570؛ لوثينا، الحموديون، ص21-22؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص27.

(3) أبو عبد الله بن عسكر (ت636هـ/ 1239م)- أبي بكر بن خميس، (عصر المؤلف الآخر)، أعلام مالقا، تحقيق عبد الله المرابط الترقي، ط1، دار صادر، بيروت، 1999م، ص295-296؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص615.

(4) القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، ج1، ص350؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص177؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص618؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص121؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص123؛ أبو الفداء، المختصر، مج1، ج2، ص42.

(5) القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، ج1، ص350؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج28، ص177؛ ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ/ 1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص51، سيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب.

(6) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ/ 1064م)، رسائل ابن حزم الأندلسي (نقط العروس)، تحقيق إحسان عباس، ج2، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ص200. سيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، نقط العروس.

توجَّه القاسم إلى إشبيلية، واحتفظ بلقب الخليفة، في حين بويع يحيى بن علي بن حمود بالخلافة على قرطبة.[1] ولكن هذا الحال لم يدم طويلًا؛ إذ اضطر يحيى إلى الفرار من قرطبة، ليدخلها القاسم مرَّة أخرى، حيث بويع بالخلافة فيها.[2]

في نهاية المطاف، استقر رأي أهل قرطبة على اختيار خليفة من البيت الأموي، فبايعوا داخل المسجد أميرًا أمويًّا هو سليمان بن عبد الرحمن المُلقَّب بالمرتضي، وفي أثناء المبايعة دخل المسجد أمير آخر هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار، فأخذ البيعة بدلًا من سليمان بن عبد الرحمن، وحدث ذلك عام 414هـ/ 1023م، ولُقِّب بالمستظهر.[3]

انتهت خلافة المستظهر بمقتله، فعُيِّن ابن عمِّه محمد بن عبد الرحمن الناصر خليفة عام 414هـ/ 1024م، ولُقِّب بالمستكفي،[4] وكانت له ابنة تُدْعى ولّادة، وهي شاعرة أندلسية كان ابن زيدون يُغازِلها في بلاط والدها.[5]

توالى مسلسل الانقلابات؛ إذ فرَّ المستكفي من قرطبة ليُقتَل بعد سبعة عشر يومًا من فراره.[6] وقد ظلت قرطبة من دون خليفة لرفض يحيى بن علي بن حمود العودة إليها، حيث كان مستقرًّا في مالقة.[7] وكان ابن حزم القاطن في قرطبة قد توجَّه إليه يدعوه إلى القدوم إليها، فعاد إليها بعد فرار المستكفي منها.

وعلى إثر الاضطرابات الكثيرة التي سادت قرطبة، قرَّر أهلها اختيار هشام بن محمد، المُلقَّب بالمعتدِّ خليفة، وهو شقيق المرتضى، وكان ذلك عام 417هـ/ 1026م.[8] يُذكَر أن من أهم رجال قرطبة في ذلك الوقت أبا الحزم ابن جهور.

---

(1) المقري، نفح الطيب، ص430؛ ابن حزم، نقط العروس، ص92؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص126؛ القلقشندي، مأثر الأناقة في معالم الخلافة، ج1، ص350.

(2) ابن حزم، نقط العروس، ص200؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص132-133؛ لوثينا، الحموديون، ص270.

(3) المراكشي، المعجب، ص105؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، مج1، ص50؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص31؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص208.

(4) أبو الفداء، المختصر، مج1، ج2، ص43؛ ابن سعيد، الغرب في حلى المغرب، ج1، ص24؛ المراكشي، المعجب، ص107؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص622.

(5) المقري، نفح الطيب، ص630-631.

(6) ابن سعيد، الغرب في حلى المغرب، ج1، ص24؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص142.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص143؛ المراكشي، المعجب، ص102؛ لوثينا، الحموديون، ص31.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج7، ص627؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص20.

بعد كل تلك الأحداث وغيرها، أجمع أهل قرطبة على خلع الخليفة المعتدِّ عام 422هـ/ 1031م، وتسليم شؤون المدينة إلى ابن جهور؛ فغادر المعتدُّ قرطبة لتبدأ مرحلة ملوك الطوائف.[1]

(1) الحميدي، جذوة المقتبس، ص2256؛ المراكشي، المعجب، ص110؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص212؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص34.

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية ISSN:2707-8183
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

البيوغرافيا التاريخية لموحى أوحمو الزياني : من خلال كتاب فرانسو بيرجي : (موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921))

المعطي بريان[1]
جامعة ابن طفيل كلية الآداب والعلوم الانسانية القنيطرة

ملخص :
تندرج هذه الدراسة ضمن البيوغرافيا التاريخية، التي تقضي كتابة تاريخ سيرة موحى أوحموا لزياني وفق التصور التاريخي الجديد، الذي يركز على الأعلام المهمشة واعتماد الفرد كمادة تاريخية، من أجل كتابة تاريخ شمولي انطلاقا من المحلي، ولا شك، أن شخصية موحى أوحموا الزياني لم تنل حقها من الاهتمام والكتابة، اللهم بعض الإشارات الواردة في ثنايا بعض المراجع، وهذا هو الدافع الرئيسي المفسر لاختيارنا لهذا الموضوع والتعرف على هذه الشخصية من خلال كتاب "فرانسو بيرجي : موحى أوحمو الزياني : مملكة معاصرة في المغرب (1877-1921)". فرغم ما يحمله من نفحة استعمارية وإيديولوجية صاحبه، إلا أن هذا العمل، يعد بحق محاولة جريئة لجمع متن السيرة الذاتية حول حياة ومسار موحى وحموا الزياني وعلاقته مع محيطه القبلي، ضمن التاريخ الجهوي والوطني.
الكلمات المفاتيح : البيوغرافيا- المغرب - موحى أوحمو- زيان- المخزن- الحرب- السياسة الفرنسية.

ABSTRACT:
This study falls within the historical biography, which requires writing the history of the biography of an inspired inspiration for Ziani according to the new historical conception, which focuses on the marginalized figures and the adoption of the individual as a historical subject, in order to write a comprehensive history based on the local, and there is no doubt that the character of Mohi Ohhama Al-Zayani did not attain its right Of interest and writing, God has some references in the folds of some references, and this is the main motivation that explains our choice of this topic and getting to know this character through the book "Francois Bergé: Inspired by Ohamo Al-Zayani: A Contemporary Kingdom in Morocco (1877-1921)". Despite the colonial and ideological flavor of its owner, this work

[1] طالب باحث في سلك الدكتوراه جامعة ابن طفيل كلية الاداب القنيطرة مختبر التراث الثقافي : التاريخ والذاكرة والانسان والمجال واستراتيجيات التنمية.

is truly a bold attempt to collect the body of the biography about a life and an inspired path and protect Al-Zayani and his relationship with his tribal surroundings, within the regional and national history.Keywords: Biography - Morocco - Moha Ohamou - Zaian - Makhzen - War - French politics.

تقديم :

تكتسي البيوغرافيا التاريخية[1] أهمية بالغة في حقل "التاريخ ميكرو-اجتماعي" لأنها نافذة يمكن من خلالها الإطلالة على المجتمع، والولوج إلى حياة الجماعة وعاداتها وممارستها. كما أنه يمكن قراءة التاريخ من خلال سيرة اجتماعية لزعماء وشخصيات مؤثرة.

ويلزم البيوغرافي[1] التوفر على مؤهلات، إلى جانب التقيد بعدة شروط لخوض غمار كتابة بيوغرافية تاريخية[2]، عابرا خطواتٍ في طريق شاق، مما يستدعي نفسا طويلا وصبرا وعزيمة قويين لمواجهة الإكراهات التي تعترضه.

الهوامش والإحالات:

[1] - بخصوص مصطلح بيوغرافيا : فهناك من يقول بأنها من أصل يوناني مركبة من بيو Bio، بمعنى الحياة وGraphie التي تعني كتابة، حيث كان المؤرخ اليوناني بلوتارك من أوائل استعمال لفظ Bio. بينما يرى بول جال أنه لا يوجد لا في روما ولا في بلاد الإغريق مصطلح حقيقي للدلالة على البيوغرافيا؛ فالإغريق يقولون Bios، واللاتينيون Vita. أما مصطلح البيوغرافيا فلم يظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن 18. وعلى أية ومهما يكن أصل الكلمة فالكل يتفق على أنها تعني كتابة الحياة. وهي من الفنون الأدبية والتاريخية ذات الأهمية في حفظ أخبار حياة الأشخاص ومعالم زمانهم، فهي في جوهرها عملية تركيبية تقوم على إعادة بناء الحياة الفردية للشخص. كما تعني تاريخ الحياة؛ حيث تصف حياة الفرد كاملة، وتحلل شخصيته وطريقة سلوكه ومدى تأثره بعوامل البيئة المحيطة به. وتتضمن البيوغرافيا تاريخ الفرد منذ نشأته وكذا استجاباته المختلفة للمؤثرات التي مرت به منذ بداية حياته، والتي كان لها أثر تكوين قيمه واتجاهاته. كما تتضمن أيضا فلسفة الفرد في الحياة والخبرات التي اكتسبها وأنواع الأزمات النفسية والفكرية التي أثرت في بناء شخصيته. **للمزيد من التفاصيل راجع كل من :**

- الخرازي نعيم، "البيوغرافيا التاريخية"، **مجلة أمل العدد 51** مطابع الرباط نت، 2018.
- طحطح خالد، **البيوغرافيا والتاريخ**، دار توبقال للنشر، ط 1، الدار البيضاء، 2014.
- طحطح خالد، **السيرة لعبة الكتابة**، كتاب المجلة العربية، الرياض 2012.
- جال بول؛ "البيوغرافيا والتاريخ في روما القديمة"، ترجمة عبد العزيز بلفايدة، **مجلة أمل العدد 7**، 1996.
- بدري زكي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1978.
- Le Goff Jacques, **Comment écrire une biographie historique aujourd'hui?** Le Débat, Mars-Avril. 1989.
- Levi Giovanni, «Les usages de la biographie», **Les Annale ASC, novembre décembre, n° 6**, 1988.

يعتبر موضوع هذا المقال سيرة ذاتية لموحى أوحمو الزياني، إذ لم تفرد له –حسب علمنا- ترجمة وافية تحيط بظروف نشأته، إلا ما تناثر هنا وهناك في كتب التاريخ من شذرات متفرقة وقصيرة، باستثناء كتاب الفرنسي فرنسوا بيرجي[3] الموسوم بـ"موحى أوحموا الزياني، مملكة معاصرة بالمغرب (1877- 1921)"[4]. الذي خصص ترجمة فريدة ومختلفة لا تقارن بغيرها، حيث تم رصد بعض المحطات الأساسية من حياة المقاوم.

غير أنه يجب التنبيه إلى وجود ثغرات يتعين ملؤها بالبحث في الرصيد الوثائقي لأسرة موحا وحمو الزياني، إلى جانب الأرشيف المخزني والأجنبي.

---

[1] - فالإلمام بتقنيات البحث الميداني، والتوفر على المهارة والصنعة في كتابة سيرة، أو سرد حياة شخص ما. فالبيوغرافي أشبه برسام البورتريه، ينبغي أن يكون رجلا نزيها يعرف جيدا تقنيات صنعته. ويشكل أسلوبه وطريقة كتابته علامة فارقة في إخراج سيرة غيرية بلمسة فنية ومواصفات تراعي الشروط والضوابط المطلوبة في إعادة بناء حياة الشخصية البيوغرافية. مما يميزها عن البيوغرافيات التي كتبها الأخرون من الأدباء والصحفيين والهواة وغيرهم. كما يمكن رسم طرق ومسارات متعددة للشخصية الواحدة، وكل بيوغرافية تظل فريد ومختلفة لا تقارن بغيرها، وهذا لا يعني أنها لا تتشابه وتتقاطع في أجزاء منها مع حياة الأخرين. **للمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى :**

- Tengour Habib, Biographie, « Autobiographie, Hagiograpie et histoire de vie», **In Biographie et histoire sociale Algérie 19-20 éme siècle**, 2004. P.64.

- Benjelloun (Abdelmajid), «Moha ou Hammou Ezzayani d'après le livre de Francois Berger, Moha ou Hammou le Zaiani, un royaume contemporain au Maroc (1877-1921)» **Séminaire scientifique sur la résistance armée et le mouvement national du Moyen Atlas (1904-1956)**. Publications Haut-Commissariat aux Anciens Résistants et Anciens Membres de l'Armée de Libération. Imprimerie Bani Yazan, 2001 PP.63-72.

[2] - فالبيوغرافيا عمل متعدد الدلالات والأبعاد، وهو عمل مفتوح يحتمل تأويلات مختلفة وأحيانا متناقضة، إذ هناك فضاء عام لتعدد لا نهائي للتأويلات أثناء تناول حياة فرد معين، مما يفتح المجال أمام الكتاب لإنجاز أبحاث ودراسات مختلفة عن العديد من الشخصيات المشهورة والمغمورة انطلاقا من أبعاد مختلفة، فهناك من يركز على الطابع السيكولوجي، وهناك من يركز على الجانب السياسي. **راجع بخصوص هذه النقطة :**

- الخرازي نعيم، "البيوغرافيا التاريخية"، **مجلة أمل العدد 51** الخاص بالبيوغرافيا والتاريخ، 2018. ص ص 25-40.

[3] - يشير فرنسوا بيرجي في نهاية عمله بأن جزءا من الوثائق التي جمعها المجند والمترجم بن داوود شكلت المصادر الأولى للمعلومات" وأكثر صدقا تلك التي تم نشرها تحت إمضاء R و S في نشرت إفريقيا الشمالية عام 1917م.

[4] - Berger François, **Moha ou Hamou le Zayani, un Royaume berbère contemporain au Maroc**, ed. de L'Atlas, Marrakech, 1929.P. 1-4.

يأتي اختيار هذا الموضوع إيمانا منا، بالأهمية التي يستحقها صاحب البيوغرافيا باعتبار المؤلف من ضباط الحماية الفرنسية بالمغرب، كان يشغل منصب شؤون الضباط الأهليين وهو يتحدث في كتابه عن "كهف أو مكتب الاستعلامات"[1].

وقد استلهم هذا الباحث الفرنسي معلوماته عن المقاوم موحى أوحمو قائد المقاومة بالأطلس المتوسط معتمدا على وثائق جمعها رجل الترجمة المسمى بن داوود والذي يرجع له الفضل في غالبية المعلومات التي نعرفها عن خنيفرة. وهو يورد بعض الأبيات الشعرية لموحى أو حمو قائلا:

"الجبال عظامي أم الربيع حدي السهل مرتعي"[2].

وسأقسم موضوع هذه الورقة البحثية، إلى خمسة أجزاء تتعلق بـ:

1 – الأحكام النمطية:

2 – عائلة موحى أوحمو منذ منتصف القرن التاسع عشر.

3 – الحرب "المقدسة".

4 – سياسة اليوطي .

5- وفاة موحى أوحمو.

1 - الأفكار النمطية :

أ - الصور النمطية السلبية :

من البديهي أن السيرة التي كتبها بيرجي عن موحى أوحمو تتناول الدور التاريخي المهم لهذا الرجل وقبيلته، وليس من الممكن فهم واحد منها بدون فهم الأخر، ولهذا لا يجب التعجب من وجود بعض التفضيلات سواء منها السلبية أو الإيجابية بخصوص سيرة الرجل وقبيلته، فبإمكاننا فهم المكونات الأساسية لشخصية موحى أوحمو الزياني من خلال دوره في أعمال المقاومة :

- لقد تم تمييز سكان زيان باعتبارهم رجالا يلبسون البرنوس[3].
- لقد كانوا يمارسون النهب[4].
- لقد كانوا (بخلاء – متوحشين – حمقى)[1].

[1] - Id.,Ibid . , P.16

[2] - Berger (François), op. cit. , P. 34.

[3] - Id.,Ibid . , P. 11.

[4] - Id.,Ibid . , P. 12.

- لقد كانوا دوما يعيشون "في فوضى عارمة ويحاربون بعضهم البعض طوال الوقت بخصوص المراعي والمناطق الاستراتيجية لنهب المسافرين والغرباء"[2].

ب- الصور النمطية الإيجابية :

ظاهريا نجد استخدام مصطلح المملكة البربرية لكن في الحقيقة فإن بيرجي يستخدم هذا المصطلح بشكل مزدوج.

[1] - Id.,Ibid . , P. 14.

[2] - Id.,Ibid . , P. 19.

من حيث أنه يستخدم مصطلح "السيبة"[1].

[1] - تعددت قراءة الباحثين المهتمين بالشأن التاريخي والأنثروبولوجيين والاقتصاديين لمفهوم السيبة في تاريخ المغرب، فمن الجانب الديني تدل على الخروج على السلطان أي إمارة المسلمين، ولذلك يجب محاربتهم ومعاقبتهم للعدول عن هذا الفعل، وبذلك فإن السيبة وجه آخر للفكر وقد تسرب مفعوله إلى جزء من "الأنا" فأصبحت "أنا آخر"، وفي هذه الحالة يجب إقناع السائبين بالرجوع إلى التقيد بالشرع بما في ذلك الطاعة الواجبة في حق السلطان بمقتضى البيعة الشرعية. أما بالنسبة لـ "هنري طيراس"، فإنه يعتبر السيبة ظاهرة نشأت منذ عهد المرينيين، وأخذت اتساقا مطردا إلى أن استقرت حدودها التي لم تشهد أي تغيير إلا خلال فترات قصيرة على إثر حركة سلطانية ما. فمنذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790)، وبلاد السيبة تضم في نظره : الريف والقبائل المجاورة للحدود مع الجزائر والأطلس المتوسط المركزي (يقصد به الجزء الشمالي للأطلس الكبير)، ومنطقة زمور واتحادية آيت أومالو والواحات الصحراوية، ومن حسن حظ السلالة الحاكمة، يضيف هنري طيراس أن السيبة ظلت مقسمة ولم تقم بأية محاولة توحيدية "لم تكن تلك القبائل تحلم سوى بالاستقلال ضمن التجزئة، ونظرا لذلك، لم تشكل بلاد السيبة التي كانت خارجة عن سلطة المخزن وجبايته، أي تهديد كبير وطارئ على المخزن، بل ظلت مجرد مقاومة ونفي له". ويقسم طيراس القبائل السائبة إلى ثلاث أصناف : القبائل المستقرة والقبائل المرتحلة والقبائل الصحراوية أو الشبه الصحراوية. "فالقبيلة لا تجتمع فعلا ولا تبرز إلا في المناسبات الكبرى كالمواسم والحفلات وخلال حالة الحرب كانت تظهر العلاقة القبلية أكثر متانة". كنتيجة طبيعية لاعتبار المغرب البلد المسلم الذي أبدا دولة بمعنى الكلمة، مؤسسة على وحدة سياسية ومعنوية إلا في عهدي المرابطين والموحدين ... ذلك أن التقاليد الأمازيغية والمؤسسات السياسية لم تلتحم في وحدة خلافة، بل غالبا ما كانت تتعايش فيما بينهما، فالإسلام لم يأت بما كان المغرب يحتاج إليه في عمقه، ولم يعطه الوحدة المعنوية الكفيلة بالدفع به إلى الوحدة السياسية.

إن ما نستخلصه من رأي طيراس هو أن السيبة تعني "الاستقلال والانفصال عن سلطة المخزن، وأن أساسها هي القبائل ودافعها الأساسي هو شغف هذه القبائل ذات التقاليد البربرية بالديمقراطية القبلية. وهذا الشغف غريزي في وجدان تلك القبائل لم يؤثر فيه اعتناقها الدين الإسلامي، والسيبة ظاهرة بربرية أساسا (معظم سكان بلاد السيبة من أصل أمازيغي". أما بالنسبة لبلاد المخزن، فلم تضم في نظر هنري طيراس- بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الأول الذي كافح طوال حياته من أجل إخضاع العديد من المناطق السائبة- سوى ثلث مساحة البلاد ونصف سكانها. ولم تكن كتلة متراصة وقوة منسجمة، بل وعلى الخضوع السلبي للمحكومين، ولم تتوفر "بلاد المخزن" على الوحدة المعنوية والعزيمة المشتركة التي وحدها كانت ستمكنها من تحقيق الوحدة السياسية والاجتماعية للبلاد تحت قيادة السلاطين، وهكذا قام بين بلاد السيبة والمخزن التي عجزت عن إخضاع الأولى توازن تقليدي، لم تتغير إلا في جزئياته الإجرائية. ومن جهته قدم إدريس بنعلي مقاربة مبنية على دراسة نمط الإنتاج، فاعتبر أن المجتمع المغربي من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر كان مكونا من نمطين إنتاجيين : الأول يسود في بلاد المخزن وهو ذو طبيعة فيودالية، والثاني يعم السيبة وهو ما سنتعرف عليه بتفصيل. كانت بلاد السيبة تضم المناطق الجبلية وأهم الممرات التجارية ومعظم سكان البادية من المتوسط إلى الصحراء ومن ناحية الرباط إلى الحدود الجزائرية، وقد حافظت هذه البلاد بفضل الايكولوجيا الجبلية على بنى بدائية للديمقراطية المباشرة ورفضت أية محاولة للتمركز.

وقد تحدث عن المميزات الأساسية لنمط إنتاج السيبة ابتداء من العنصر الأساسي لنمط الانتاج في بلاد السيبة (تقبيلت) كوحدة اجتماعية اقتصادية سياسية مركبة، فهي وحدة اقتصادية لأنها تمزج حسب قواعد محددة هياكل الانتاج وتوزيع واستهلاك المواد لتلبية حاجيات الأفراد. وانتهاء بانعدام وجود طبقات اجتماعية، إذ إنه تظافر كل من التنظيم الاجتماعي والمؤسساتي لـ (تاقبيلت) "الديمقراطية المباشرة" وقاعدتها المادية الضعيفة لإعاقة تطور الفوارق الاقتصادية والاجتماعية داخلها. إذ يحدد ادريس بنعلي طبيعة نمط الانتاج السائد في بلاد السيبة فيقول "ليس من مفهوم يحدد أفضل نمط إنتاج "بلاد السيبة" من مفهوم "المشاعية البدائية" الذي استعمله كار ماركس لتصنيف التشكيلات الاجتماعية السابقة للمجتمعات الطبقية". إذا كان تفوق نمط الانتاج الفيودالي السائد في بلاد المخزن على نتمط إنتاج بلاد السيبة واضحا، ويدل على التفاوت الحاصل في مستوى تطور قوى الإنتاج من جهة والاستقرار عبر التبادل التجاري الذي يستفيد منه الأول من جهة ثانية، فإن ذلك يؤدي إلى السيطرة السياسية لفائدته (أي النمط الفيودالي). وهذا راجع بالأساس يقول ادريس بنعلي إلى كون "النمط الفيودالي المغربي يفتقد المقومات الإنتاجية الكافية لبسط سيطرته، والعامل الوحيد الذي يمكنه من تلك الهيبة، وبذلك وهو الإسلام كعنصر إيديولوجي، أصبح محط منافسة شديدة من طرف الزوايا. وبذلك نستخلص من رأي الأستاذ بنعلي ما يلي :

- أن أساس ظاهرة السيبة، يتجلى في تباين بين نمط إنتاجها (المشاعة البدائية) وبين نمط إنتاج بلاد المخزن (الفيودالية).
- أن السيبة ناتجة عن ضعف فائض إنتاج "بلاد السيبة"، ومن تم تضررها من الضرائب التي يفرضها عليها المخزن وعن عجز المخزن عن إخضاعها.
- أن ما ساعد على استقلال بلاد السيبة عن المخزن هو تصدع أحد أركان الهيمنة المخزنية "الزعامة الدينية"، إذ منذ القرن السادس عشر الميلادي أصبحت الزوايا تنافس السلاطين حول هذه الزعامة. أما بالنسبة للأستاذ عبد الله العروي، فإنه أقر بأن "ما يثير الانتباه في مغرب القرن التاسع عشر الميلادي، هو تنوع الوضعيات ووجود اختلافات جهوية تدل وحدها على أحداث كان لها صدى عام. فالفوضى كانت تعم أساسا المغرب الشرقي والغرب، والقبائل المخزنية كانت متواجدة بالخصوص في الحوز والدير وتافيلالت". وقد علل ذلك بأنه "تعمقت السيبة بعد سنة 1850م على إثر التفكك الذي صاحب انفتاح البلاد على التجارة الأوروبية، ولم تتخذ السيبة شكلا موحدا، ورغم أن سببها العام واحد، وهو تقلص قدرة المخزن الإدماجية". إن السيبة في القرن التاسع عشر الميلادي، ليست دفاع المستوى القبلي ضد المخزن، وإنما هي رد فعل عن الضعف الذي أصاب ذلك المستوى القبلي من جراء ضعف التجارة الأوربية، ليتخذ شكل نصف تعبئة للقوى المحلية ضمن إطار البنية الفوقية السياسية العسكرية. يركز عبد الله العروي خلاصته حول ظاهرة السيبة خلال الفترة الممتدة من القرن 18م إلى القرن 19م في النقط التالية :

- السيبة ليست مرتبطة بنيويا بالتنظيم القبلي؛
- أنها ليست النفي المطلق للمخزن، إذ عجزت دائما عن خوض الصراع ضد السلطان إلى النهاية، بل كانت تفرض وجود المخزن كقوة موازنة ضرورية لها؛
- السيبة لا تطبق على وضعية موحدة إذ نلاحظ تدرجا في ممارسة السلطة المركزية؛
- تتجدد السيبة بواسطة التمردات التي تعطينا عددا كبيرا من الحالات.

إنه يستحث فكرة السيبة، سواء في دائرة الضوء في الأدب والإستوغرافيا الاستعمارية الفرنسية للتاريخ في المغرب. الكل يعرف أن إحدى ذرائع المؤسسة الفرنسية في المغرب هي حالة الفوضى التي كانت بلادنا فيها آنذاك. وإلى جانب ذلك، يقول: لم يستطيع لا القرطاجيون ولا الرومان ولا العرب ولا سلاطين المغرب العظماء أن يحدوا منه :

- هو يقدر خصمه حتى يجعل من انتصاره العسكري أكثر أهمية.
- لديهم نظرة نسر[1].
- هم ليسوا متوحشين[2].
- هم محاربون مشهورون[1].

إن الدراسات الاستعمارية حول القبيلة والمخزن وكذا إبرازها لمجتمع تختزقه ثنائية المخزن/السيبة، قد فشلت في إدراك طبيعة الآليات التي تتحكم في المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر الميلادي. **للتوسع أكثر في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى الكتابات التالية :**

- بورقية (رحمة)، **الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1991.

- رشاد (مولود)، **قبائل زمور في مواجهة الاحتلال الفرنسي 1911-1956 مدينة الخميسات وباديتها نموذجا**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 2017.

- التوفيق (أحمد)، مادة "السيبة"، **معلمة المغرب الجزء الخامس عشر**، الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر، مطابع سلا 1423 - 2002، ص ص 5205-5207.

- سعودي (نور الدين)، "ظاهرة السيبة في مغرب القرن التاسع عشر، أطروحات حول السيبة"، **مجلة دار النيابة، السنة الثالثة، العدد التاسع** 2006.

- حمير (عبد السلام)، "المغرب بين الأنا والآخر/الإسلام والحداثة"، **مجلة المناهل، السنة 26، العدد 66-67**، شتنبر 2002.

- Ben Ali (Driss), **Le Maroc précapitaliste: formation économique et sociale,** Collection Atlas Société Marocaine des Editeurs Réunis, 1983.

- Laroui (Abdellah), **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830- 1912)**, Maspero 1977.

- Aouchar (Amina), **Colonisation et transformation d'une société, l'Outat, Haute Moulouya**, Thèse de doctorat d'Etat, Histoire, Bordeaux 3, 1985.

- Doutté (Edmond), **Missions au Maroc En tribu**, Éditeur Librairie Paul Geuthner, Paris 1914.

Date d'édition : 1914

[1] - Berger (François), op. cit. , P. 14.

[2] - Id.,Ibid . , P. 14.

من الواضح أنه لتجنب الاستخدام المزدوج، سيتم ذكر الصور النمطية الأخرى ، سواء كانت مواتية أو غير مواتية لموحى أوحمو، له أدناه.

2 – عائلة موحى أوحمو منذ منتصف القرن التاسع عشر :

يتطرق المؤلف في هذا الاطار إلى تاريخ عائلة موحى أو حمو[2] منذ سنة 1860 م. ويتعلق الأمر بقبيلة آيت حركات التي ينتمي إليها موحا أوحمو، ففي الستينات من القرن الماضي كانت مواقعها، توجد حول قرية البرج (على بعد 10 كلم في عالية نهر أم الربيع)، وكانت تمتهن، بالإضافة إلى النشاط الرعوي، التجارة حيث كانت تفترض على التجار والمنتجعين الذين يعبرون قنطرة البرج رسوم المرور[3]. وأصبحت –بفضل الموارد المتنوعة- القبيلة ذات النفوذ الواسع والثورة الكبيرة[4].

إن قبيلة أيت حركات التي يقودها موحى أوعقا والذي بذل جهدا ومالاً كثيرا من أجل السيطرة العسكرية على قبائل زيان. وقد فاجأته الموت قبل أن ينهي أعماله. وخلفه ابنه سعيد والذي ضم تحت قيادته اتحاد قبائل زيان وخلال إحدى المعارك قتل سعيد ليخلفه أخوه موحى أوحمو عام 1877م وقد كان في سن العشرين من عمره، وأصبح محاربا باسلا، وجريئا مقداما، مما جعل معاصريه يصفونه بالخصم العنيد والخطير في المعارك أمثال الضابط بيرجي

---

[1] - Id.,Ibid . , P. 14.

[2] - بالإضافة إلى هذه الخصال السياسية والعسكرية، يمكن تفسير تألق نجم موحا أوحمو على المسرح السياسي الزياني بانتمائه إلى أسرة إمحزان)فخذ من أيت حركات التي تعتبر قطب رحى مجموع زيان حيث تمثل حسب الرواية الشفهية الوجه الحقيقي، الجميل للقبائل الزيانية. وتستمد أصولها من أمحزون الكبير، عميد الأسرة الذي عاش أيام السلطان العلوي مولاي سليمان والذي كان مرتبطا بخدمة المخزن، ومنذ هذا التاريخ، وأفراد الأسرة يتعاقبون على قيادة زيان. **أنظر** :

- العلوي (التقي)، "أصول المغاربة، القسم البربري، اتحادية أيت إدراسن"، **مجلة البحث العلمي، عدد 14** السنة 1975 ، ص 79.

[3] - Berger (François), op. cit. , P. 24.

[4] - يعرفها J. Le prévost في هذه العبارة أن : "قبيلة آيت حركات كانت ذا مكانة كبيرة في بلاد زيان، فهي قبيلة موحا أوحمو، فهي كذلك قبيلة الأعيان والنبلاء التي تعطي المحاربين الكبار، والتي تملك أجود الفرسان، وأكثر القطعان، وكل من لا يقتنع برخائها ولا يعترف بنفوذها، فقد يعرض نفسه للانتقام". **للمزيد من التوسع في هذه النقطة راجع** :

- Le Prévost (J), **jusqu à l'usure des sabres**, mannuscrit, P.40.

الذي وصفه الميدان القتال[1] قائلا : "لقد كان قويا، وفارسا لا يشق له غبار ومن أحسن الرماة وقد تميز أيضا ببنية جسمانية قوية ورشيقة ونظرة ثاقبة مع لحية قصيرة"[2].

وحسب بيرجي فقد استطاع موحى أوحمو عن طريق سيدي بن داوود بأبي الجعد الالتقاء بالسلطان مولاي الحسن الذي عينه قائدا على أيت يعقوب في زيان[3].

وحسب نفس المصدر فقد سمح المنصب الجديد لموحى أو حمو بالسيطرة على مناطق زيان حسب ما كتبه بيرجي : "لقد ساعدت ثمانية سنوات من الصراع القوي والانتصارات وأعمال النهب موحى أوحمو على أن يصبح قائدا بلا منافس على اتحادية زيان"[4].

وحسب نفس المصدر فقد زعم بيرجي أن السلطان المولى الحسن دعا موحى وحمو إلى مدينة فاس سنة 1886، "حيث جلب معه التجار والحرفيين ورجال الدين والقاضي"[5]. مما ساعده على على تحويل خنيفرة إلى مركز اقتصادي[6] وسياسي وديني كبير بدعم من التجار والحرفيين والعلماء والقضاة الذين رافقوه من فاس.

وقد أشار بيرجي إلى أن وفاة المولى الحسن الأول شكل حدثا جعل موحى وحمو "يعلن أن ساعة الاستقلال والمغامرة الكبيرة قد حانت"[7].

وحسب رأي السلطان الجديد المولى عبد العزيز[1]، قد أرغم منافسه القديم (أقبلي) [2] إلى النزول ضد موحى أوحمو[3]. غير أن مولاي حفيظ قد شمل برعايته موحى أو حمو وعين ابنه حوسى باشا على عاصمة فاس، بطلب من السلطان السالف الذكر[4].

---

[1] - تذكر بعض المصادر أنه تعلم فن القتال منذ صغر سنه، وقد ظهرت هذه الخصال الحربية أكثر، كما يشير إلى ذلك G.Bernié المعارك التي خاضها ضد الفرنسيين : "لقد أظهر موحا أوحمو شجاعته الأسطورية ضد الفرنسيين حيث كان خصمهم القاسي والعاتي، ولكنه كان أيضا خصمهم الشريف إلى النهاية". **يمكن الرجوع إلى الكتاب التالي** :

- Bernié (G), **Moha ou Hamou Guerrier berbère**, ed. Gautey, Casablanca, 1945, P.16.

[2] - Berger (François), op. cit. ,P. 25.

[3] - Id.,Ibid . , P. 27.

[4] - Id.,Ibid . , P. 30.

[5] - Id.,Ibid . , P. 33.

[6] - "لقد استطاع الزياني تحويل خنيفرة من قصبة إلى عاصمة ومركز تجاري يتوفر على قيسارية وحي الدباغين وسوف يقام مرتين في الأسبوع بدون فرض أي نوع من الضرائب".

[7] - Id.,Ibid . , P. 51.

لكن بعد إلحاح من والده حوسى غادر العاصمة بسرعة والتحق بمدينة خنيفرة، وذلك من أجل تفادي المؤامرات داخل البلاط[5]. ويضيف بيرجي مدققا : "كانت هذه الحادثة إعلانا عن نهاية العلاقات ما بين موحى أوحمو والمخزن ولم تكن هناك من إمكانية سوى الثورة المفتوحة ومهاجمة مكناس وفاس وإعلان الحرب على السلطان والشرفاء العلويين. وقد أضيف إلى هذا عامل آخر هو وصول الفرنسيين إلى المغرب وبدئهم من منطقة الشاوية، وهكذا وجد موحى أوحمو نفسه في مواجهة مفتوحة مع الجميع سواء مع المخزن الحفيظي أو السلطات الفرنسية، وكان هذا بداية لنهاية جيشه الذي لا يهزم"[6].

وهنا نجد توحدا في نفس النص لتلك الهواجس الكولونيالية الفرنسية.

- حالة السيبة الشاملة التي كانت تسيطر على المغرب عموما.
- دور السلطات الفرنسية في إنقاذ المخزن من حال السيبة.

كما أشارت إليها المصادر التاريخية للاستعمار الفرنسي، من حيث كونُها ذريعة في دخول المستعمر الفرنسي إلى المغرب.

---

[1] - إن حاجة السلطان الجديد إلى التحالف مع الزياني، أملتها ظروف الاستيلاء على السلطة بفاس، انطلاقا من الشاوية عبر الرباط حيث تتمركز القوات العزيزية. وإن مشاركة الزياني في جهاد الشاوية، ستقنع السلطان بتحويل الاتجاه نحو الأطلس –طريق السلاطين- تحت الحماية الخاصة للزياني الذي أصبح جزءا من الحركة الحفظية إن على مستوى البرنامج السياسي – الجهاد ضد القوات الفرنسية- أو على مستوى المشاركة في السلطة- تعيين أحد أبنائه باشا على فاس بعد غزوها. لكن تخلي عبد الحفيظ عن الجهاد لصالح استقرار السلطة، وتفكك مختلف التحالفات التي أوصلته إلى العاصمة، عجل بالقطيعة النهائية وعودة الزياني إلى متابعة الجهاد بالأطلس ضمن تحالف كبير- في غياب الأمير- يضم جيرانه : الشريف على أومهاوش بنواحي آيت سخمان، موحى أوسعيد بآيت ويرا، ثم محمد أقبلي الذي يسيطر على مريرت وأزرو ووملماس. **أنظر:**

- Berger (François), op. cit. , P.53.

[2] - لقد استبدل السلطان سياسة المواجهة بسياسة الاحتواء عبر استدعاء الزياني إلى فاس وتسليمه القيادة. وبعد عودة الزياني إلى الأطلس عمل استمر التوافق إلى حدود وفاة السلطان 1894، لتبدأ القطعية بين الزياني والمخزن العزيزي : الأول يهدد بقوته مكناس والثاني يلعب ورقة الزعيم المنافس محمد أقبلي.

[3] - Berger (François), op. cit. ,P. 53.

[4] - Id.,Ibid . , P. 56.

[5] - Id.,Ibid . , P. 58.

[6] - Id.,Ibid . , P. 58.

ويثير بيرجي مسألة أن يكون موحى أوحمو قد قاوم الاحتلال الفرنسي، وقد جعل منه بيرجي قائداً متسلطا على قبائل زيان: "لقد تميزت قيادته لقبيلته بالقوة وانعدام الرحمة بحيث لم يكن شيء يقف أمامه لدرجة جعلته يحكم طوال 37 سنة بقبضة من حديد"[1].

ويكاد بيرجي يكون سوداويا يتعارض مع الأفكار التي تقول أن "الشرع لم يكن حاضرا عند البربر"[2]. وكل هذه الاتهامات تتقاطع مع المصادر المغربية التي قد تؤكدها أو تضيف إليها شيئا من المعلومات. ولكن أؤكد أن اتهامات وتأكيدات بيرجي كانت مقصودة، حيث كانت تغذيها النزعة الإمبريالية.

3 – الحرب "المقدسة":

إنه نفس المصطلح الذي استخدمه بيرجي من أجل الاشارة إلى المقاومة المسلحة التي قادها موحى أوحمو ضد الفرنسيين[3]. ويشير بيرجي إلى إعلان موحى أوحمو "الحرب المقدسة" ضد الفرنسيين عام 1908م، حيث أسس في منطقة الأطلس المتوسط "كونفيدرالية قوية لصد الهجوم الفرنسي نحو الجبال وتوحيد عمليات المقاومة المشتتة في السهول ودفع المستعمر نحو البحر"[4].

وقد شكلت تدخلاته الأولى دعم قبائل الشاوية من أجل مواجهة الجيوش الفرنسية[5] وفي 11 يونيو 1914 "تدخلت فرقة عسكرية في وادي أم الربيع مما أعاق مقاومة موحى أوحمو وجعله يتخلى عن مدينة خنيفرة حيث عبر النهر ولجأ إلى الجبل"[6].

وبطبيعة الحال فإن موحى أوحمو لم يتنازل عن المقاومة ولكنه فضل الانتظار إلى حين تنظيم هجوم معاكس ، وهذا الهجوم هو ما وصفه بيرجي بأنه يوم رهيب من أيام نونبر على جنود الكولونيل "لافيردول" مع اتحاد قبائل زيان. وهذا ما تعكسه حالة أولاد زيان الذين تجاوبوا مع الحركة الاستعمارية، وبخصوص معركة الهري يتحدث بيرجي قائلا : "لقد انهزم الكل أمام قوة محاربي زيان وخصوصا قوات القائد التي سقطت وانهزمت، وتعني كلمة الهري المخزن أو المطمورة، وقد قام مقاتلو زيان بالنزول من الجبال والاحاطة بالفرنسيين من كل النواحي، وتم تدمير وحدتين من

[1] - Id.,Ibid . , P. 61.

[2] - Id.,Ibid . , P. 66.

[3] - Id.,Ibid . , P. 85.

[4] - Id.,Ibid . , P. 85.

[5] - Id.,Ibid . , P. 85.

[6] - Id.,Ibid . , P. 86.

جيش الإنقاذ وتم نقل الجرحى إلى مدينة خنيفرة وقد أدت هذه المعركة إلى مقتل 160 شخص مجندا و60 رقيبا في الجيش"[1].

ويضيف بيرجي وهو يحكي عن هذه المعركة "إن هذه المعركة تبين بوضوح مرحلة من مراحل حرب العصابات التي يقوم بها محاربو زيان وكذا العراقيل والأخطار التي تميز الحرب في المناطق الجبلية وقد قام موحى أوحمو بتنفيذ هجومين على جيشنا الذي اتجه إلى تادلة ومكناس بالرغم من أن قوات موحى لم تستفذ الكثير خصوصا بالنظر إلى حجم الخسائر التي تكبدتها. لكن في منطقة الهري كان الحزن هو السائد، واكتفى موحى أوحمو بعد ذلك بالقيام بعمليات مباغتة ضد جنودنا وذلك من خلال مقاتليه الذين تسببوا لنا في الكثير من الخسائر وأخرت تقدمنا خصوصا على مستوى إنشاء الطرق وغيرها. وقد تابع هذا المقاوم مجهوداته بدون كلل"[2].

4- سياسة اليوطي :

إن التاريخ الكولونيالي الفرنسي يعترف بأن الحروب الاستعمارية الفرنسية بالمغرب جعلت ليوطي يؤسس لسياسته المعروفة بـ "سياسة الاستقطاب" تجاه القبائل وخصوصا تلك المعارضة عسكريا للوجود الفرنسي بالمغرب.

يلخص بيرجي هذه السياسة للمقيم العام الفرنسي بالمغرب بجملة واحدة "مواجهة هذا الحاجز الذي شكله زيان في منطقة الجبال، بدأت حرب طويلة سياسية من أجل إضعاف موحى أوحمو وجلبه إلى السلطات الفرنسية"[3].

وتبعا لهذا، وبعد ثلاث سنوات من الانتصار الكبير الذي حققه موحى أوحمو في معركة الهري عام 1914م. بدأ الفرنسيون يقطفون ثمار سياسة اليوطي بالمغرب. يقول بيرجي: "منذ صيف 1917م فوق الأرض التي أعددناها

[1] - Id.,Ibid . , P. 88.

[2] - Id.,Ibid . , P P. 88-89.

[3] - Id.,Ibid . , P. 93.

وبقرب السوق الذي يأتي إليه سكان الجبال وصلت أول طائرة إلى مدينة خنيفرة ولم يعبر أي واحد ممن رأى الطائرة عن اهتمام كبير بهذا الأمر. وفي الخريف قامت التجريدة العسكرية بالتزود بالمؤونة ومتابعة طريقها حتى مدينة خنيفرة، وقامت الشاحنات بحمل معدات مخيم الطيران. وبعد شهرين تحدث معنا أبناء زيان"[1].

يلاحظ من خلال ما سبق بأن سكان الجبل من زيان قد أُرغِموا على قبول الانتصار العسكري الفرنسي ويضيف بيرجي بعض المعلومات بخصوص سياسة اليوطي: "التفرقة من أجل الحكم، وذلك من خلال وضع أراضي زيان ما بين أيدي سكان المدينة والقرويين والرحل والمزارعين والرعاة المتنقلون"[2].

5 – وفاة موحى أوحمو:

يبدوا من المهم التطرق إلى الفصل القصير الذي يحكي فيه وفاة موحى أوحمو: "هو العجوز، لقد بقي وحده في الخيمة الكبيرة داخل الجبل مع بعض من الخدم. لقد أنهى حياته وأنهى مهمته وجلس ينتظر صوت البارود وعندها جاءت اللحظة. ويضيف بيرجي : " لقد كان موحى أوحمو مسلما ومع معرفته بقرب موته لبس موحى أوحمو أحسن ما عنده حسب شهادة المحليين به"[3].

في يوم جميل عام 1921م في أعياد الفصح عندما غادر خيمته بالجبل وركب على فرسه مع بعض الأتباع وذهب في جولة إلى المراعي والسواقي والغابة التي شكلت كل حياته وما أن وصل إلى أرض المعركة وقف فوق فرسه وتناول بندقيته وملأها بالبارود، وفجأة أصابته رصاصة في عنقه، فسقط. وتوقفت المعركة. وجاء الكل يجري لإيقافه، لقد مات القائد، وتم حمله إلى المخيم لتجهيز رفاته. أما في الدواوير فقد كانت النساء تندب وجوههن وتطلق صيحات الحزن. أما في الجبال فقد تم إيقاد النار التي حملها الرجال حتى الواحات الصحراوية معلنين عن وفاة موحى أوحمو. وكان دخانها الرقيق يتبخر في السماء الباهتة. فوق الأطلس العجائبي ومعها يتبخر الحلم البربري وحرية سكان زيان"[4].

والجدير بالذكر أن أبناء موحى أوحمو كانوا من بين الأعداء عند موته في سياسة المعركة كما يشير إلى ذلك الباحث بيرجي، وهنا يعقد مقارنة بين الكاهنة وموحى أو حمو باعتبار أنهما قد تم خيانته من طرف أبنائهم الذين كانوا عربا في حالة الكاهنة وفرنسيين في الحالة الثانية[5].

[1] - Id.,Ibid . , P P. 100-102.

[2] - Id.,Ibid . , P P. 102-105.

[3]- Id.,Ibid . , P. 133.

[4] - Id.,Ibid . , P. 135-136.

[5] - Id.,Ibid . , P. 141.

ولهزم المسيحيين الذين كانوا بوضوح، مثل العرب في القرن الأول الهجري، غزاة هدفهم سلب حرية البرابرة الذين كانوا يكرهون مبادئ النظام والسلم[1]. وبشكل موازٍ فإن هذا الكاتب الكولونيالي لم يضيع أية فرصة لتوضيح العداوة ما بين العرب والبربر، وليس هناك أي تعبير بخصوص وطنية البطل، حيث أن بيرجي لم يجعل منه (أي موحى أوحمو) سوى محارب غير قادر على تجاوز مستوى قبيلته وهو خاطئ في هذا الأمر[2].

خاتمة :

قصارى القول، وبالنظر إلى شساعة الموضوع وتعدد عوائق كتابة البيوغرافيا التاريخية، لا يراهن المقال على رسم صورة شاملة لحياة موحى أوحمو الزياني، لأننا لم نستطيع البحث بعمق في تاريخ زيان وعلاقتهم بالمخزن ومقارنة المعلومات الواردة في ثنايا مختلف المادة المصدرية الأخرى، بما ورد في كتاب بيرجي، بقدر ما ترنو هذه السطور إلى محاولة تسليط الضوء على شخصية صنفت ضمن رموز رجالات المخزن والمقاومة المسلحة التي تستحق كل التقدير نظرا لكونها شخصية رائدة.

وبالتالي فإن مسألة الصلاحية المرتبطة بما كتبه بيرجي تتمحور أساسا على موحى أوحمو والذي تغيرت علاقاته بمختلف القوى السياسية والعسكرية بكونها علاقة غير واضحة. ويبدو أن هذه الكتابات التاريخية لا تتضمن إلا جزءا من الحقيقة التاريخية المختصرة وبالتالي، فليس بإمكاننا سوى طرح التساؤل بخصوص فاعلية التواصل المبني أصلا على ما هو مكتوب من طرف كاتب كولونيالي فرنسي بخصوص بيوغرافية موحى أوحمو، وهو التواصل الذي كان جزئيا ومحفوفا بالمخاطر.

تبقى مثل هذه الكتابات مهمة ليس فقط لكونها تعرض الحقيقة التاريخية، ولكن لكونها تحتوي جزءا من هذه الحقيقة التاريخية، والتي تم تعديلها وهو ما جعل بيرجي يشتغل على أرشيفات موحى أوحمو نفسه والتي ابتعد عنها المستعمرون الفرنسيون بعد وفاته، كما أن هذه البيوغرافية التاريخية ليست نهائية، فمن الممكن أن تكتب مرة ثانية، وبشكل مغاير تماما، ومن طرف نفس البيوغرافي أحيانا بعد ظهور واكتشاف وثائق جديدة.

[1] - Id.,Ibid . , P. 139.

[2] - Id.,Ibid . , P. 144.

ISSN:2707-8183 المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

الأوبئة والأمراض وأثرها على الحياة العامة في فلسطين من العصر الراشدي وحتى الآن (639م-2020م)

الدكتور عبد الجبار رجا محمود العودة

ملخص الدراسة بالعربية:

تنتشر الأمراض التي تسببها الفيروسات في كل أنحاء العالم، وفقاً لمدى تقدم سبل الوقاية والعلاج والقضاء على ناقلات المرض مثل القوارض والناموس والذباب. والمرض يصيب الإنسان والحيوان وتسببه جرثومة موجودة في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها[1].

وحين يبدأ المرض في الانتشار خارج حدوده المعتادة فإنه يتحول إلى وباء، والذي تعرّفه منظمة الصحة العالمية بأنه تفشي المرض بأسلوب غير متوقع ويستدعي الاستنفار، وفي هذه الحالة يصبح الوباء كارثة وخاصة إذا حدث تهديد بانتشاره في كل أنحاء العالم، لتأثيرها السلبي الحاد على المجتمع البشري، وهكذا لا توجد حدود فاصلة بين المرض والوباء، فالمرض يمثل الخطر والوباء هو الكارثة[2].

ملخص الدراسة بالإنجليزية:

Diseases caused by viruses spread worldwide depending on the progress of prevention methods and vector control like rodents, mosquitoes and flies. Disease caused by germs living in rodents and fleas can infect man as well as animals.

When the disease starts spreading outside usual limits, it turns into epidemic which is defined by the World Health Organization as it is the outbreak of a disease in an unexpected manner which calls for being on alert. In this case the epidemic becomes a catastrophe especially if there is a threat to spread all over the world with its negative impact on human race. There are no dividing lines between disease and epidemic. For the disease represents danger but the epidemic leads to disaster.

---

[1] أبو الحب، جليل، 1982م، الحشرات الناقلة للأمراض، ص63.

([2]) محسوب، محمد صبري، وزميله، 2000م، الأخطار والكوارث الطبيعية الحدث والمواجهة معالجة جغرافية، ص195.

الكلمات الدالة: الأوبئة والأمراض، الحياة العامة، فلسطين، الخلافة الراشدة

مشكلة الدراسة:

النظر في الماضي بخصوص الأوبئة وتأثيراتها في المجتمعات، والتأمل في كيفية مواجهة أجدادنا للوباء، مهمة للبحث في الظروف الاستثنائية التي يعيشها العالم بسبب وباء الكورونا 2019، من أجل دراسة اخبار الماضي لاستخلاص دروس تفيدنا في الحاضر والمستقبل.

أهمية البحث

1-اهتمام علماء المسلمين بمثل هذه الأوبئة بالتأليف والدراسة.
2-الأثر الكبير الذي تركته هذه الأوبئة على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في فلسطين.
3-تناثر المعلومات في المصادر المختلفة حول الموضوع وإخراجها في إطار دراسة علمية.
4-التهديد المستمر التي تشكله هذه الأوبئة على حياة الإنسان وحضارته.

المقدمة

شهدت فلسطين وعموم بلاد الشام أحداثاً هامة عبر تاريخها، إذ كانت على الدوام مسرحاً للحروب والمعارك، وفي ذات الوقت لم تسلم من الأوبئة والجوائح والزلازل والمجاعات، ويمكنني القول أن البلاد بليت برباعية الموت والحروب والمجاعات والأوبئة والزلازل، حيث كانت تجتاح فلسطين بين الفينة والأخرى إحدى هذه الأربعة القاتلة، فتحصد من حين لآخر مجموعات قد يقل عددها أو يكثر، تبعاً لحدوث الكارثة وامتدادها زمنياً وانتشارها جغرافياً.

تعرضت فلسطين للكثير من الأوبئة، بدأت بمحنة النبي أيوب في التوراة[1] والقران[2]، وما قاساه من ألم، فابتلاه في جسده بأنواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، فأصبح مرض الجذام[3] من الأمراض السارية في فلسطين، وأصبحت امتحاناً لصبر المؤمنين وعقاباً على ابتعاد الناس عن الصراط المستقيم.

يشهد العالم هذه الأيام جائحة لم تعرف البشرية مثيلاً لها، إذ يستطيع العلم والإنسان السيطرة عليه وعلاجه، وبصراحة لا نعلم كيف ومتى بدأ وباء كورونا، والذي نعلمه أن الوباء بدأ في الصين وانتقل إلى جميع أنحاء المعمورة.

([1]) *العهد القديم*، سفر أيوب، الاصحاح السابع.

([2]) سورة ص، آية 41-44.

([3]) الجذام: مرض جلدي معد، يؤدي إلى تقرحات جلدية شديدة تتفاقم لتتسبب تلف في الأعصاب.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الخلافة الراشدة

ارتبط اسم فلسطين في التاريخ بطاعون عمواس الذي انتشر في بلدة عمواس[1] قضاء اللد عام 18هـ/639م، بين الجيوش الإسلامية بداية الفتوحات الإسلامية، فهلك الكثير من سكان الشام، منهم أبو عبيدة الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارثة بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل[2]، وفي ولاية عمرو بن العاص عولج الوباء بإشعال النيران وخروج الناس الى الجبال[3].

أشهر طاعون أصاب بلاد الشام، كان طاعون عمواس في فلسطين، الذي قضى على عشرين الفاً من المسلمين[4]، حتى أطلق عليه اسم الفناء أو الوباء لشدة فتكه بالبشر[5]، وهو عدد قليل إذا ما قورن بطاعون جستنيان[6] عام 542/541م، حيث قضى على خمس وعشرين مليوناً خلال قرنين من الزمن، والموت الأسود[7] الذي اجتاح أوروبا وغرب أسيا في القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد عالج العرب هذه الأوبئة عن طريق العزل والانتقال إلى الأماكن المرتفعة والابتعاد عن مركز الوباء أي الحجر الصحي، ولكنه لم يطبق إلا بشكل بدائي، تطبيقاً لحديث الرسول ﷺ "إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا منها، وإذا وقع ولستم بها فلا تقدموا عليه"[8]. وفيه اشارة واضحة إلى ما يطبق اليوم علمياً وعملياً من الحجر الحجر الصحي بهدف مواجهة الأوبئة المنتشرة، فرسول الله لم يكتف بأن يأمرهم بعدم القدوم إلى الأرض الموبوءة، بل أتبعها بأن أمر من كان في أرض أصابها الطاعون ألا يخرج منها، وذلك لمنع انتشار العدوى فينتقل الوباء إلى مناطق أخرى.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الدولة الأموية

([1]) عمواس: بلدة في فلسطين تقع بين الرملة وبيت المقدس، تكثر فيها الينابيع الحارة.

([2]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 1990م، البداية والنهاية، ج7، ص93-94.

([3]) المصدر السابق، ج7، ص79.

([4]) الجعفر، زين العابدين موسى، 2010م، وباء الطاعون في الإسلام واصابة المشهورون به حتى نهاية العصر الاموي، ص60.

([5]) بركات، بشير عبد الغني، 2016م، تاريخ الكوارث في بيت المقدس، ص9.

([6]) طاعون جستنيان: نسبة إلى الإمبراطور جستنيان الأول (527-565م)، بدأ عام 541م، ويعتبر أول جائحة في التاريخ لأنه اجتاح ثلاث قارات.

([7]) الطاعون الأسود: يستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى وباء الطاعون الذي اجتاح أنحاء أوروبا بين عامي 1347-1352م، وتسبب في في موت ما لا يقل عن ثلث سكان القارة.

([8]) ابن حنبل، أحمد بن محمد، 2006م،المسند، ج12، رقم الحديث 15373، ص176.

كان قدر الدولة الأموية أن تحكم العالم الإسلامي في ذروة فتك الطاعون بالناس، فقد اجتاح الطاعون بلاد الشام أيام الدولة الاموية عام 662هـ/1225م، وقضى على كثير من الخلق، ودمر بلاداً كانت عامرة، حتى أصبح المؤرخون يؤرخون بتلك الأيام، فأرخ ابن حجر العسقلاني بقوله: "إن الطواعين أيام بني أمية كانت لا تنقطع بالشام"[1].

أصاب البلاد في عام 87هـ/ 705م طاعون الفتيات لأنه أصاب النساء دون الرجال، بينما سماه البعض بطاعون الأشراف لكثرة ما توفي من أشراف القوم وأكابرهم[2].

وكان آخر ما حدث من الطاعون هو طاعون مسلم بن قتيبة سنة 131هـ/748م، والذي سمي باسمه لأنه أول من مات به، وكان سبباً في سقوط الخلافة الأموية، بسبب عجزها -الدولة الأموية- عن مواجهة هذا الوباء، وكان لجهل الناس بأسباب وطرق الوقاية منه الدور الأكبر في انتشاره إلى بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا، مخلفاً خللاً ديمغرافياً امتدت آثاره سنوات طويلة.

لم تتخذ الدولة الأموية أي إجراءات لمقاومة الطاعون سوى النداء لإخلاء الناس المناطق الموبوءة، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد أمر الناس بالخروج من مناطق الوباء، لكن الصحابي أبا الدرداء أمير الشام رفض تنفيذ أوامر الخليفة معاوية، لما في ذلك من سرعة انتشار الوباء إلى مدن وقرى أخرى بسبب الفارين منه[3]، بالإضافة بالإضافة إلى أن هذه السياسة مخالفة لحديث الرسول ﷺ الذي نهى عن الخروج من مناطق الوباء، وعلى الرغم ن ذلك استمر خلفاء بني أمية بالفرار من الطاعون إلى البرية، ولم يشذ عنهم إلا الخليفة عمر بن عبد العزيز[4].

دفن الناس موتاهم في البداية كما هي العادة، تكفين وصلاة عليهم، إلا أن كثرة الوفيات بالطاعون أصبح من الصعب إيجاد من يجهز ويكفن ويحفر القبور، فكانوا يدفنون موتاهم دون تجهيز وصلاة عليهم، فكان تجهيز المتوفى للدفن عملاً فوق طاقة الأسرة، وإيجاد موضع جديد للحفر في المقابر أمراً صعباً.

([1]) العسقلاني، أحمد بن حجر، 1411هـ، بذل الماعون في فضل الطاعون، ص363.

([2]) فاضل، نصير بهجت، 2011م، الطواعين في صدر الإسلام والخلافة الاموية، ص105.

([3]) ابن بطة العكبري، عبيد الله بن محمد بن حمدان، 1994م، الإبانة الكبرى، ج4، ص226.

([4]) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع، 1968م، الطبقات الكبرى، ج5، ص398.

قام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ببناء أول مشفى (بيمارستان)[1] في دمشق، وأصدر أمراً بعزل المصابين بالجذام وتجنب اختلاطهم ببقية المرضى في المستشفى، وأجرى لهم الرواتب، وقدم العلاج بالمجان، وانتقى أفضل الأطباء لخدمتهم.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الدولة العباسية

أصاب فلسطين في أول عهد الخليفة هارون الرشيد طاعون وصفته المصادر بأنه جارف وربما أتى على جميع أهل البيت، وبشكل عام قل حدوث الطاعون في بلاد الشام أيام الدولة العباسية، مقارنة بما كان عليه الحال قبل ذلك، حتى أن أحد أمراء العباسيين في الشام، خطب فقال: "احمدوا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم"[2].

انتشر سنة 423هـ/1031م وباء الجدري، وكثر الموت واستمر ستة شهور، وكان متفشياً في الصغار أكثر من الكبار، وانتشر بشكل كبير بحيث لم تخل دار منه[3]، وقد ذكر مجير الدين الحنبلي في كتابه الانس الجليل عن وصول وباء الطاعون الى فلسطين عام 897هـ/1491م، وافنى عدداً من السكان، قدر عدد الوفيات من 30-40 شخصاً يومياً[4].

كان الحجر الصحي يتم بالعزل والحبس أحياناً، والطرد والنفي أحياناً أخرى، وتحويل قرية أو بلدة بأكملها إلى موقع محاصر يمنع اقتراب الناس أو الخروج منه، كما كان يتم في المغاور على أطراف المدن والقرى، فمثلاً كانت كنيسة الخضر أو القديس جورجيوس في قرية برقين قضاء جنين، معقلاً للحجر الصحي والتي أقيمت على مغارة قديمة استخدمها أهل تلك البلاد لحجر الرجال العشرة البرص (الجذام)[5]، الذين شفاهم النبي عيسى في ما اعتبر إحدى معجزاته.

([1]) البيمارستان: لفظ فارسي يتكون من مقطعين، هما: البيمار وتعني المرضى، وستان تعني الموضع، فيكون معناها موضع المرضى أو بيت المرضى، وهو المكان المخصص لإقامة المرضى من أجل تلقي العلاج. (انظر، ابن اصيبعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج1، ص172).

([2]) العسقلاني، مصدر سابق، ص364.

([3]) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، 2006م، الكامل في التاريخ، ج8، ص205.

([4]) الحنبلي، مجير الدين، 1999م، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مج2، ص487.

([5]) جبور، معين، 2015م، كنيسة القديس جورجيوس بفلسطين تسعى للسياحة العالمية، موقع عربي 21.

كما استخدم أهل البلاد الآبار وأتوان[1] الكلس كمحاجر لعزل المصابين بالأوبئة، وكثيراً ما تحولت هذه المواقع إلى قبور جماعية خصوصاً في حالة الأمراض المعدية.

اهتم الخلفاء العباسيون بإنشاء المشافي، حيث نسبت بأسمائهم، كما فعل الخليفة العباسي المقتدر بإنشاء مشفى المقتدري[2]، فكانت الدولة تستعين بالأطباء في اختيار مكان المشفى، فقد استعان عضد الدولة وزير الخلافة العباسية بالطبيب أبي بكر الرازي في بناء مشفى العضدي في بغداد[3].

لذلك كان في فلسطين حركة طبية، سايرت التقدم العلمي الذي شهده العالم الإسلامي، ووجد بها عدد من الأطباء في مجال الطب والصيدلة، منهم: محمد بن أحمد بن سعيد التميمي، الذي كان في مدينة الرملة[4]، ويوسف النصراني الذي كان عارفاً بصناعة الطب والعلوم الأخرى[5].

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال الصليبي

كان من أشد ما بليت به البلاد توافق الحملات الصليبية ووباء الطاعون على فلسطين والشام، وذلك من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096-1291)، فاجتمعت على البلاد آفتان معاً، إذ توالت السنوات بوقوع الطاعون والأوبئة، فنجده تارة يفتك بالصليبيين كما في الطاعون الذي فتك بجيوشهم التي حاصرت مدينة أنطاكية ثم احتلتها خلال عامي 1907-1908م[6]، ونجده تارة أخرى يفتك بأهل البلاد البلاد المحاصرين كما في الطاعون الذي بدأ بدمشق سنة 1153م، وكذلك وباء عام 1190م، الذي فتك بجيش المسلمين المتوجه إلى عكا[7].

وفي سنة 574هـ/ 1178م انحبس المطر في بلاد الشام ومنها فلسطين، ونتيجة لذلك اشتد غلاء الأسعار بشكل كبير جداً، وأكل الناس الميتة، وتبع ذلك وباء عام كثر فيه الموت[8].

([1]) التون: حفرة على شكل بئر يستخدم لصناعة الكلس أو الشيد للبناء.

([2]) ابن الأثير، مصدر سابق، ص502.

([3]) السباعي، مصطفى، 1998م، من روائع حضارتنا، ص101.

([4]) ابن أصيبعة، ج1، مصدر سابق، ص546.

([5]) المصدر السابق، ج2، 545.

([6]) وليم الصوري، *تاريخ الحروب الصليبية*، 1992م، ج2، ص332.

([7]) ابن كثير، ج12، مصدر سابق، ص93-94.

([8]) العسقلاني، مصدر سابق، ص230.

وقد ذكر ابن الاثير أن مرضاً يسمى السرسام[1] أصاب الناس، واستمر إلى بدية 576هـ/ 1180م، أدى إلى موت عدد كبير من الناس.

كانت الأديرة والكنائس في فلسطين بمثابة مواقع للحجر الصحي، إذ تطوع الرهبان فيها لرعاية المصابين بالطاعون والجدري من أجل التكفير عن ذنوبهم، وقد ارتبطت هذه المواقع بالغزو الصليبي للبلاد، إذ أقامت فرقة الاسبتارية الصليبية عام 1130م هيئة استشفائية خارج سور القدس، في الركن الشمالي الشرقي للمدينة على الطريق المؤدي إلى جبل الزيتون، لمعالجة المصابين من فرسان الفرقة.

كما استخدمت زوايا الصوفية للحجر الصحي، مثل زاوية الشيخ الرومي في قرية عين ماهل في الجليل، وما زالت جدران الزاوية مثبت فيها مرابط الجنازير التي كانت تربط بالمصاب لطرد المسّ الشيطاني أو الجن منهم حسب اعتقادهم الصوفي، واتخذ البعض ضفاف الأنهار ملاذاً لهم، كنهر الأردن لقداسته الدينية عند المسيحيين، بهدف الاستشفاء بمائه المقدس[2].

وبعد فتح مدينة القدس وتحريرها عام 1187م على يد صلاح الدين الأيوبي نقل حجر المصابين من الصليبيين إلى مدينة عكا في أماكن تشبه المشافي، وما زال سكان المدن والقرى يطلقون على المشافي لفظ الاسبتار أو الأسبطار نسبة لفرقة الاسبتارية الصليبية التي ارتبط المشفى كحجر صحي باسمها[3].

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الدولة المملوكية

تشير المصادر التاريخية إلى أن الطاعون لم يتوقف عن غزو بلاد الشام، وظل يطل عليها بين الفينة والأخرى، لكنه صار أشد فتكاً وأكثر قسوة في العهد المملوكي (1250-1517)، ولا تنفك تلك المصادر تتبع أخباره وذكر ما أفنى من الخلائق، وذكر القرى والضياع التي خربت بسببه ولم تعمر بعد ذلك، حتى أن البلاد في العهد المملوكي ما عرفت الهناء والرخاء وظل شبح الموت يلاحقها بفعل الأوبئة والطواعين، فقد تعرضت البلاد لطاعون اجتاح معظم البلاد عام 748هـ/1347م، اطلق عليه اسم الطاعون الأعظم لسعة انتشاره وشدة فتكه بين سكان دمشق وحلب والقدس والسواحل[4]، وجنين والرملة وعربان البوادي[1]، وفي عام 790هـ/1388م تعرضت البلاد لعدة أوبئة وأمراض تفشت

([1]) السرسام: هو ورم في حجاب الدماغ يحدث عنه حمى دائمة، ويتبعها اعراض سيئة كالسهر واختلاط الذهن. (انظر، مصطفى، إبراهيم واخرون، د.ت، المعجم الوسيط، ج1، ص885.

([2]) رحيل، محمد فوزي، 2020م، الفرسان المجذومين- حين يكون المرض سلاحاً-

([3]) المرجع السابق.

([4]) الطراونة، مبارك محمد، 2010م، الأوبئة واثارها الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الشراكسة، ص47-48.

تفشت في غزة والقدس وحلب[2]، واستمر بفتك البلاد حتى عام 796هـ/1394م وأدى إلى هلاك أعداد كبيرة من الأطفال والصبيان وكبار السن[3].

وبعد انقطاع طويل عاد وظهر في عام 805هـ/1402م الفناء العظيم وأفنى خلقاً كثيراً من السكان في بلاد الشام ومن ضمنها فلسطين[4]، وفي عام 813هـ/1410م تفشى الطاعون في نابلس وعجلون وأفنى اعداداً كبيرة[5]، وفي عام 819هـ/1416م وصلت جرثومة الوباء العظيم إلى مدينة دمشق، وانتقلت العدوى إلى القدس وصفد وطرابلس، وقدرت حالات الوفاة بالألاف من السكان[6]، واستمر الوباء في الانتشار إلى أن وصل غزة، والرملة، والقدس والخليل والكرك، وقدر عدد الوفيات في هذه البلاد بالآلاف معظمهم من الأطفال والنساء والخدم[7].

كما تفشت الأوبئة والأمراض بين سكان بلاد الشام في الأعوام 831هـ/1428م-833هـ/1430م، وكانت شديدة التأثير والفتك بسكان مدينة غزة والرملة والقدس وصفد ومات بسببها معظم الأطفال والشباب، ووصف المقريزي هذا المرض بأنه نزلة من الدماغ إلى الصدر فيموت خلال ساعة من غير ظهور أعراض المرض عليه[8]، ثم عاد الوباء عام 838هـ/1434م، واستمر السكان يعانون منه حتى عام 841هـ/1437م، إذ اشتد تأثيره في صفد والغور والرملة وغزة، وحصد الألاف من السكان[9]، وفي عام 863هـ/1459م نشأ طاعون في البلاد، وكان تأثيره كبيراً في مدينة غزة والقدس، حتى أنه حصد أهلها[10]، ولكثرة الوفيات تركت الجثث في العراء مدة ثلاثة أيام، ولم يتمكن حفارو القبور من دفن الجثث، وتطوع الناس لحملها على السلالم والأبواب لدفنهم، واستمر الوباء إلى عام 898هـ/1492م بعد أن أصاب غزة والقدس والرملة والخليل[11].

([1]) ابن بطوطة، أبو عبد الله اللواتي، 1981م، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ص114.

([2]) ابن إياس، محمد بن احمد، 1975م، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ص365.

([3]) ابن يحيى، صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين، 1967م، تاريخ بيروت وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت، ص216.

([4]) الدويهي، اسطفان، 1976م، تاريخ الأزمنة، ص338.

([5]) ابن إياس، ج1، مصدر سابق، ص803.

([6]) ابن الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود، 1970م، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج2، ص363.

([7]) المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، 1970م، السلوك في معرفة دول الملوك، ج4، ص639.

([8]) المصدر السابق، ص767، ص803، ص824، ص829.

([9]) المصدر السابق، ج4، 19700م، ص1024-1025، ص1027-1029، ص1030، ص1034-1035، ص1048.

([10]) ابن إياس، ج2، مصدر سابق، ص350، ص354.

([11]) العليمي، ج2، مصدر سابق، ص63.

بالإضافة للطاعون كان للحميات وأمراض الجدري والجرب تأثير كبير في الحد من النمو السكاني فالأطفال الذين يولدون يموتون في غضون يوم أو يومين[1].

فقد اهتم المماليك في هذه الفترة بإنشاء المشافي، المعروفة بالمارستان، لمداواة ورعاية المرضى، والحقت بها غرف الحجر الصحي[2]، على يد سيف الدين تنكز، وأماكن الحجر للمسافرين والحجاج، واهتموا بمد قنوات المياه إلى مدينة الخليل والقدس أيام الظاهر بيبرس والناصر بن قلاوون، فقد عمد بعض الحكام والأثرياء استجابة لتعاليم الدين الإسلامي والتي تحض على دفن الميت بأسرع وقت ممكن حفاظاً على حرمته وكرامته، إلى إنشاء ما سمي بحوانيت أو مغاسل الموتى، والتي تهتم بتغسيل وتكفين الفقراء من موتى المسلمين ثم يتم دفنهم وفق الشريعة الإسلامية، لأن الناس كانت تموت بأعداد كبيرة في فترة الوباء فإن الجثث كانت تترك ثلاثة أيام أحياناً على الأرض ولا يوجد من يواريها خوفاً من العدوى[3].

كما ظهر بعض الأطباء الذين اهتموا بمعالجة هذا الوباء من خلال مصنفاتهم، مثل: جلال الدين السيوطي صاحب كتاب مقامة في الحمى، وابن حجر العسقلاني صاحب كتاب بذل الماعون في فصل الطاعون، وبدر الدين البدليسي صاحب كتاب رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه، وأحمد بن محمد الحنفي صاحب كتاب الرد المكنون في الكلام عن الطاعون، وجميعها قدمت وصفات طبية لمعالجة السعال الذي يرافق الأوبئة.

أدت الأوبئة في العهد المملوكي إلى إخلال في التركيبة السكانية، والذي أدى إلى تباين كبير في الكثافة السكانية بين المدن والقرى، إذ إنّ كثيراً من القرى اختفت تماماً بفعل الوباء، فنتج عن ذلك تغير ديموغرافي، حيث قل عدد الفلاحين، وقلت المنتوجات والمحاصيل الزراعية والحيوانية، ونتج عن ذلك غلاء في الأسعار، ولجأ بعض ضعاف النفوس من التجار وأرباب الصنائع إلى استغلال الأزمة باحتكار السلع الأساسية لزيادة ثروتهم، بينما مال بعض المحتاجين والمعدمين إلى السرقة والاحتيال، والذي أدى إلى انهيار أخلاقي في المجتمع. وأدى الوباء إلى هلاك الكثير من الأتقياء ورجال الدين والعلماء الصالحين، فشكل ذلك فراغاً في المرجعية الدينية، حتى أن الناس بدأوا يلجؤون في تلك الفترة إلى المشعوذين والمنجمين حتى يسدوا الفراغ الروحي لديهم[4].

([1]) المقريزي، ج4، مصدر سابق، ص824.

([2]) صلاح، محمد حمزة، 2009م، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (491هـ/197م-923هـ/1517م)، ص120.

([3]) الطراونة، مرجع سابق، ص55.

([4]) المرجع السابق، ص45-46.

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الدولة العثمانية

خلال الحكم العثماني لفلسطين لم تتوقف الأوبئة، حيث انتشر الطاعون فيها خلال الأعوام، 1562م، 1573م-1574م، 1579م، 1587م، 1619م، 1661م، 1785-1786م، فقد لعبت الحملة الفرنسية على فلسطين عام 1799م، دوراً كبيراً في تفشي مرض الطاعون نتيجة تحلل جثث القتلى من الفرنسيين، وقد تفشى في سكان يافا وأدى إلى خراب المدينة وهجرها لمدة اثني عشر عاماً، كما عاث الطاعون فساداً في جميع المدن التي رافقت الحملة الفرنسية مروراً بغزة ويافا وحيفا ثم عكا، وقد رافق الطاعون الدمامل التي تفشت في الجسم من القوارض والبراغيث التي تحملها إلى المصابين، وهو السبب الرئيس في انسحاب نابليون من فلسطين وعودته إلى فرنسا، إلا أن الطاعون دمر الحياة الاقتصادية في فلسطين[1].

وفي سنة 1812م انتشر الطاعون في الاستانة، ثم انتقل بجبة جوخ أرسلت كهدية إلى يهودي في عكا، فانتشر الوباء فيها بشكل سريع إلى يافا والقدس، ومن جملة من مات به الطبيب الراهب الاسباني فرانسيسكو لوبيز، الذي عالج أحمد باشا الجزار، كما مات بالطاعون أيضا الرحالة الألماني اولريش زيتش سنة 1813م[2].

تبنت الدولة العثمانية سياسة الحجر الصحي (الكوارنتينا)[3] للوقاية من مرض الطاعون، ولا تزال بعض المدن الفلسطينية تحتفظ بالأماكن التي أسست قديماً لغرض الحجر الصحي، وهناك من يعتقد بأن كلمة قرنطل في اسم الدير المسيحي في أريحا الذي سمي من قبل الصليبيين، إنما جاء من كلمة كورنتينا بحكم الاعتقاد أن صوم سيدنا عيسى واعتزاله لأربعين يوما في هذا المكان[4]، كما يوجد كارنتينا في القدس بجوار كهف الأدهمية خارج باب العمود، ثم في عام 1849م أقيمت كرنتينا جديدة خارج السور قرب قلعة باب الخليل.

ويعود الفضل في تطبيق الحجر الصحي إلى طبيبين عربيين هما قاسم أبو عز الدين وحمدان بن عثمان خوجه على أسس صحية وعلمية، وقد أتت توصيات حمدان بن عثمان خوجه ثمارها خلال عامين من تبني السلطان محمود الثاني مبادئ الحجر الصحي.

ومع الغزو المصري لبلاد الشام، بدأت سياسة الأمن الوقائي من الأمراض المعدية، فأقام محمد علي باشا المحاجر الصحية بعد تعرض مدينة عكا بمرض الملاريا عام 1835م والتي كادت تفتك بإبراهيم باشا نفسه، فأقاموا

([1]) سعيد، حسن إبراهيم، 2008م، يافا من الغزو النابليوني إلى حملة إبراهيم باشا (1799-1831م)، ص19.

([2]) بركات، مرجع سابق، ص12.

([3]) الكوارنتينا: أو كرنتينا، أو قرانتينه، أو تحفظخانه كما ورد في نقش عثماني على مدخل كرنتينا في الخليل، هي مكان الحجر الصحي وتعني بالعربية أربعين يوماً. (انظر، هلون، معين، 2019م، المعجم التأثيلي للالفاظ الأعجمية في اللهجة الفلسطينية، ص714-715).

([4]) الدباغ، مصطفى مراد، 2006م، بلادنا فلسطين، ج8، ص548.

المشافي العسكرية في عكا وشفا عمرو وترشيحا وغزة لمعالجة الجنود المصريين المصابين بالملاريا والكوليرا، حيث خصصت هذه المحاجر بالدرجة الأولى لمعالجة الجنود وليس أهل البلاد، حيث يتم عزلهم في مناطق توطن الوباء، فحين علم ناظر الصحة في مدينة يافا وهو موظف مصري بوجود وباء في قرية دير حنا بين صفد وعكا، أرسل طبيباً ليفحص الأمر، وعندما تيقن من وجود الوباء عزلت القرية حتى فتك المرض بعدد كبير من سكانها[1]، ولجأوا إلى قطع خطوط المواصلات بين المدن والقرى، كما حصل عام 1838م حين قطعت خطوط المواصلات بين يافا والقدس.

وفي عام 1835م سمح محمد علي باشا لليهود والمسيحيين بإقامة المحاجر الصحية في يافا لاستقبال الحجاج، بناء على طلبهم واحتجاجهم على المحاجر في بيروت[2]، وعلى أثر ذلك عانت يافا من تردي الوضع الاقتصادي فيها لقلة الحجاج الوافدين اليها، وكان مما قاله إبراهيم باشا في موافقته على طلبهم "سأوافق على طلبكم، وأسمح لكم بإقامة المحاجر في يافا ... أنا غير معني بالناس الآخرين، لكن يجب أن أفكر بجنودي الذين أفضل أن أراهم يموتون في المعارك على أن يموتوا بالطاعون الرهيب"[3].

فأصبحت مدينة يافا مركزاً صحياً لحجر المصابين، وازدادت حركة الحجيج والتجار والمهاجرين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مما جعل سكانها في حالة توجس وخوف من الأوبئة والأمراض التي قد ينقلها القادمون، إلى حد انهم تداولوا النقود المعدنية من خلال وضعها في أكواب الماء، فكان على شاطئ يافا قارب الحجر الصحي ورجل أمن وموظف الحجر الصحي يستقبلون الوافدين إلى المدينة ليتم حجرهم داخل المدينة للتأكد من سلامتهم[4]، فوجد بها أكثر من كرنتينا، مثل: كرنتينا التحتانية جنوب يافا، والكرنتينا الفوقانية داخل السور، وكرنتينا دير الروم، وكرنتينا دير الأرمن، وكرنتينا الهدار.

وأنشأ محمد علي باشا كرنتينا في بلدة الشيخ زويد شمالي سيناء لحجر القادمين إلى مصر من بلاد الشام، كما أنشأ العثمانيون كرنتينات في غزة، والخليل عام 1848م، ونابلس ولا يزال الأهالي يسمون الدرج الواقع بجانب المشفى الوطني باسم درج الكارنتينا.

([1]) صافي، خالد محمد، 2019، الحكم المصري في فلسطين، ص217-2018.

([2]) العقرباوي، حمزة، *تاريخ الحجر الصحي في فلسطين*، موقع الترا فلسطين، https://tinyurl.com/tc2thy4

([3]) صافي، مرجع سابق، ص219.

([4]) روجرز، ماري اليزا، 20122م، الحياة في بيوت فلسطين (1855-1859)، ص27.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتمت الدولة العثمانية بالسيطرة على الوباء في موسم الحج، كما ظهر في هذه الفترة الطبيب قاسم أبو عز الدين (1854-1928)[1] المتخصص بالطب الوقائي، فأقام غرف الحجر الصحي لحماية الحجيج من تسرب الأوبئة وخصوصاً الكوليرا.

وفي هذه الفترة كانت فلسطين مرتعاً لموجات متكررة من الأمراض وعلى رأسها الكوليرا والتيفوس والتيفوئيد التي اجتاحتها في سنة 1838م، وسنة 1847م، وسنة 1865م، وسنة 1900م، وسنة 1905م، وقد قضت هذه الأمراض على مئات الآلاف من الجنود على الجبهات العثمانية خلال الحرب، لذلك كان يتوجب على المسافرين القادمين إلى فلسطين البقاء بين 10-12 يوماً في غرف الحجر الصحي.

وقد لمع روحي الخالدي في قيادة حركة الإصلاح الصحي في (مجلس المبعوثان)، ودعم مطالب الطبيب أبي عزالدين في إخضاع المراكز الصحية في فلسطين وباقي الولايات لسلطة الدولة المركزية، وقد لمع الدكتور توفيق كنعان المتخصص بالأمراض الجلدية ومرض الجذام في إدارة المشفى العسكري العثماني في القدس، وانتدبه الجيش الرابع بقيادة جمال باشا لإقامة المحاجر الصحية في سيناء وبئر السبع منعاً لتفشي الأمراض السارية والمعدية في أوساط الجيش، إلا أن ذلك لم يحل دون الموت بفعل الأوبئة[2].

كان الحجر الصحي في هذه الفترة يقوم في التكايا، والتي يطلق عليها تكايا التنابل، فكانت أول تكية لرعاية المصابين بالجذام والحد من انتشار المرض في مدينة أدرنه التركية في عهد السلطان مراد الثاني[3]. وفي إطار محاولة الوقاية من الأمراض كان من تقاليد الفلاحين في فلسطين تربية الحمام في طاقات بيوتهم، لاعتقادهم بأن أعشاش الحمام تطرد الطاعون من البيوت[4].

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال والانتداب البريطاني

كانت حركة الجيوش خلال الحرب العالمية الأولى عاملاً أساسياً في تفشي مرض إنفلونزا الاسبانية، وقد دخل هذا الوباء إلى مصر من خلال سفينة بريطانية متجهة إلى ميناء سيناء عام 1918م، فأصبحت قناة السويس منطقة لتفشي المرض نحو يافا التي كانت المحطة الأولى لوصول فايروس الإنفلونزا الاسبانية لفلسطين، ومن ثم إلى موانئ الإسكندرية وبور سعيد وحيفا ويافا وطبريا، ومع احتلال مدينة حيفا تباطأت بريطانيا في توفير خطٍ مباشرٍ لإجلاء

([1]) قاسم أبو عز الدين (1854-1928) هو طبيب لبناني، متخصص بالطب الوقائي واستاذ الطب في جامعة استنبول، وأصبح وزير الصحة في الدولة العثمانية ورئيس المجلس الصحي الدولي.

([2]) الطبابي، بلقاسم، 2014م، الموت في مصر والشام (1250-1517)، ج1، ص20.

([3]) جوكتشه، حسين، وزملاءه، 2016م، السلاطين الأوائل، عصر تأسيس الدولة العثمانية، ص264.

([4]) واتس، شلدون، 2010م، الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة الامبريالية، ص76.

المصابين إلى الإسكندرية، حيث أنشئ مشفى ميداني، مما أدى إلى فتح خطوط عبر المدن الساحلية وتحسين الشبكات البرية وإنشاء السكك الحديدية من سيناء إلى رفح عبر غزة ومنها إلى بئر السبع واللد وصولاً إلى القدس، وإضافة سكة حديد جديدة أخرى وصلت بين يافا ونابلس وحيفا.

إن أكثر الأمراض انتشاراً في فلسطين هما الرمد والملاريا، فالرمد أصاب طلاب المدارس، وخاصة في القرى لعدم توفر العناية الصحية، فمنهم من فقد النظر في عين واحدة، ومنهم من فقد النظر كلياً، وقد قل انتشار هذا المرض في نهاية الانتداب بسبب انشاء مراكز صحية في معظم مدن وقرى فلسطين، كما أنشئ مشفى سانت جون للعيون في مدينة القدس[1].

أما الملاريا فكانت منتشرة في المستنقعات الساحلية وخصوصاً في الكبارة قرب قيساريا، وشواطئ نهر الأردن وبحيرة الحولة، وامتدت إلى قرية بيت جبرين والقضاء على عدد كبير من سكانها.

كما أصاب قرية الدوايمة في الخليل وباء الجدري عام 1921م، حيث رفض الأهالي تطعيم ابنائهم وخبأوهم في الكهوف، لعدم قناعتهم وثقتهم بجدوى علاج الحكومة، لأن الطعم من صناعة اليهود، وكانت الحكومة قد أقامت مشفى ميدانياً لتطعيم جميع الأهالي، لكن كان من المفروض على الحكومة البحث عن الأطفال في الكهوف وأسطح المنازل.

وقد انتقل الوباء الى مدينة القدس، حتى وصفها القساوسة بأنها أقذر مدينة زاروها أو عاشوا فيها[2]، بسبب حاجتها إلى المياه، لذلك كانت تستدعي إقامة أحواض وبرك خارج المدينة لتنقل المياه إلى داخلها عبر قنوات، غير أن تلك الأحواض والبرك والقنوات كانت مرعى خصباً لتكاثر الناموس الناقل للملاريا، الذي قضى على نصف سكان المدينة وخاصة الأطفال منهم[3].

وقد تعايش سكان المدينة مع الملاريا، وخاصة أن الدولة العثمانية لم تكن تطبق القواعد الصحية لمكافحة هذا المرض، لذلك كانت الإصابة كبيرة بين الجيوش والمدنيين، مما يدل على عدم كفاءة الدولة العثمانية في مكافحة المرض. ومن بين الضحايا العمال المصريون الذين جلبتهم بريطانيا لاحتلال فلسطين سنة 1917م، والتي كانت مهمتهم مد الخطوط الحديدية ونقل وتحميل الذخائر والمؤن على الجمال وباقي الأعمال اليدوية، وقد جلب هؤلاء

)1(*Palestine and Transjordan Administration Reports 1918-1948*, Vol 13, 1945, London, Archive, 1955, PP. 171-175.

)2(Thomas chaplin, 1846, The Fevers of Jerusalem, some Account of their Nature, Causes, and Teatment, as observed in the years 1861, 1862 and 1863, PP. 289-291.

)3(Vicken V. Kalbian, 2016, Reflectian on Malaria in Jeruslem, Jeruslem Qaurterly, issue 67, PP. 82-96.

العمال مرض البلهارسيا معهم إلى فلسطين، لكنهم كانوا أول ضحايا الملاريا بسبب عملهم في شمال فلسطين حيث تكثر المستنقعات، غير أن بريطانيا أهملت معالجتهم خلافاً للقوانين الصحية التي كانت مطبقة على جيوشهم.

في نفس الوقت عندما دخلت بريطانيا فلسطين، أدركت أهمية الحالة الوقائية الصحية، فاكتشفت دواء لمعالجة الملاريا المستخرج من شجرة الكينا التي استوردتها من استراليا، وزرعتها في فلسطين عام 1920م، وصرف لكل جندي بريطاني حبة كوينين يومياً، وبذلك قلّت نسبة الإصابات بين الجنود مقارنة بالجيش العثماني. لذلك لجأت إلى محاصرة الجيش العثماني في المناطق المنخفضة المصابة بالملاريا، بينما تركز الجيش البريطاني في الأماكن الجبلية الجافة، الأمر الذي ضمن سقوط القوات العثمانية قتلى بفعل الملاريا، وهو ما ساهم في تثبيت بريطانيا في الشرق. وبشكل عام كان اهتمام بريطانيا في فلسطين بتحسين اقتصاد المستعمرات، وذلك بمنع الأمراض عنها، والاهتمام بصحة العمال في مزارعها، فبدأت بتجفيف المستنقعات في الساحل الفلسطيني أماكن تواجد المستعمرات[1].

انتشار الأوبئة في فلسطين فترة الاحتلال الإسرائيلي

في عام 1948م القي القبض على يهوديين في غزة يحملان جراثيم لتلويث مياه غزة، حيث يتواجد الجيش المصري، وفي السنة نفسها قامت إسرائيل بتلويث مياه عكا بجرثومة التيفوئيد أثناء وجود الانتداب البريطاني، فسقط الكثير من الفلسطينيين ومن الجنود البريطانيين، ورفضت بريطانيا معاقبة اليهود على ذلك[2]. وفي نفس السنة استولت إسرائيل على بيت شكري التاجي الفاروقي في جنين، وأقامت فيه مركزاً لإنتاج جراثيم الطاعون والتيفوئيد وغيرها من الجراثيم، ضم المركز 370 موظفاً من بينهم 160 عالماً بيولوجياً[3]. كذلك قامت بزرع الأوبئة على الحدود الفلسطينية مع جيرانها من الدول العربية لتوقف التدخل العربي المحتمل في احتلالها لفلسطين[4].

ولم تتوقف إسرائيل عن تلويث البيئة الفلسطينية، فقد أطلقت الغازات السامة على غزة، الأمر الذي أدى إلى زيادة السرطان وإسقاط الأجنة.

)[1](Nadav Davidovitch and Zalman Greenberg, 2007, Public Health, Culture, and Colonial Medicine, Smallpox and Variolation in Palestine during the British Mandate, Public Health Reports, Vol, 122, no. 3, PP. 398-406.

)[2](Salam Abu Sitta, Traces of Poison- Israel's Dark History Revealed, Palestine Land society.

)[3](*The Nuclear Threat Initiative*, Israel overview,
https://www.nti.org/learn/countries/israel

)[4](Salam Abu Sitta, Traces of Poison- Israel's Dark History Revealed, Palestine Land society.

وفي عام 2009م ظهر وباء إنفلونزا الخنازير في المكسيك، لدى اشخاص يعملون في مزارع لتربية الخنازير بعد حدوث طفرة جينية للفيروس مكنته من الانتقال من الخنازير إلى الانسان، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الوباء أصبح جائحة بعد تفشيه في العديد من دول العالم[1].

ويرجح أن انتشار فايروس إفلونزا الخنازير في فلسطين أن يكون من المسافرين من فلسطين إلى دول أخرى، واختلاط المواطنين مع بعضهم البعض، الأمر الذي يسبب بانتقال العدوى من خلال التنفس والهواء. واتبعت وزارة الصحة الفلسطينية طرق الوقاية من فايروس إنفلونزا الخنازير بإعطاء الطعومات للأشخاص الأكثر عرضة وخاصة كبار السن وممن يعانون من أمراض مزمنة أو يعانون من نقص في المناعة[2].

بالإضافة إلى أن الكيان الصهيوني أطلق قطعاناً من الخنازير البرية على الأرض الفلسطينية، وأخذت تعيث في الأرض فساداً، والأهم أن هذه القطعان من الخنازير قد تعطي فايروس إنفلونزا إلى بعض الطيور دون أن يعلم بها الانسان وعن طريق أكل لحوم هذه الطيور يصل الفايروس إلى الإنسان.

نتيجة لانتشار هذا الفايروس بادرت الجهات المشرفة على الخدمات الصحية بسرعة تنفيذ البرامج الوقائية، وتوفير اللقاحات والأدوية المضادة التي من الممكن أن تقلل من المضاعفات الحادة والوفيات بين السكان، بالإضافة إلى برامج التوعية ومواصلة نشر المعلومات المتعلقة بالمرض[3].

بدأ الشارع الفلسطيني أكثر تفاعلاً مع تداعيات الأزمة المتعلقة بالمرض، لأن انتشار الوباء ارتبط بحيوان انتشر بين تجمعاتهم السكنية، مما دفع المؤسسات ذات العلاقة لمكافحة هذه الظاهرة عبر عدة وسائل، منها التسميم بالمبيدات التقليدية أو رميها بالرصاص، غير أن وسائل المكافحة أثبتت عدم فعاليتها بسبب وجود المستوطنات الإسرائيلية وجدار الفصل العنصري، ومنع إسرائيل إدخال سموم ومبيدات ذات العلاقة إلى الأراضي الفلسطينية بعد عام 2003م بحجة تأثير هذه المبيدات على المياه الجوفية والحياة البرية وبحجج عسكرية غير معلنة، أهمها إعداد وتصنيع مواد متفجرة[4].

)1(https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/question-and-answers-hub/q-a-detail/coronavirus-disease-covid-19-similarities-and-differences-with-influenza

)2(https://www.mayoclinic.org/ar/diseases-conditions/swine-flu/symptoms-causes/syc-20378103

)3(http://site.moh.ps/

)4(https://www.maan-ctr.org/magazine/Archive/Issue15/main_topic3/topic3.htm

وقد أصدر قاضي القضاة في فلسطين تيسير التميمي بعدم إجراء أي عقد زواج قبل تقديم شهادة من مختبرات الصحة تفيد الخلو من وباء إنفلونزا الخنازير، وخاصة إذا كان أحد طرفي الزواج قادماً من دولة ينتشر فيها الوباء[1].

في أواخر عام 2019م بدأ فايروس كورونا (كوفيد 19) في الانتشار انطلاقاً من الصين نحو مختلف دول العالم بما فيها فلسطين، وينتمي هذا الفايروس إلى عائلة معروفة بتأثيرها على الإنسان والحيوان، يسمى كورونا فيريدي، اكتشف أول مرة عام 1960م، وتضم هذه العائلة فايروس (SARS) الذي ظهر في الصين عام 2002م، وفايروس (MERS) الذي ظهر في السعودية عام 2012م، وسمي هذا الفايروس بوكوفيد 19 أو كورونا المستجد، وقد شهدت مدينة بيت لحم بداية انتشار فايروس كورونا وصولاً إلى باقي المحافظات الفلسطينية الأخرى وبنسب متفاوتة[2].

أُطلق على هذا المرض (COVID-19) والاسم الإنجليزي للمرض مشتق كالتالي "CO" :هما أول حرفين من كلمة كورونا (corona)، و "VI" هما أول حرفين من كلمة فيروس(virus) ، و "D" هو أول حرف من كلمة مرض بالإنجليزية (disease) ، ويسبب حمى والتهاباً بالجهاز التنفسي، وقد يؤدي إلى الوفاة، وحتى الآن لا يوجد له علاج ولا لقاح، ولكن من يتمتعون بصحة جيدة ومناعة قوية يتعافون منه، وينتقل الفايروس من شخص لأخر أثناء فترة الحضانة (1-14 يوماً) أي قبل ظهور المرض[3].

لا أحد يعلم مصدر الوباء وسببه الحقيقي، فمنهم يقول إن أمريكيا اختلقت الفايروس لضرب اقتصاد الصين، علماً أن الصين لم تتهم أحداً، والبعض يقول إن الفايروس تسلل بالخطأ من إحدى المختبرات الصينية، وآخرون يزعمون أن الصين تعمدت اختلاق الأزمة لأهداف اقتصادية، منها شراء أسهم الشركات الأجنبية العاملة في الصين بأسعار زهيدة، ومهما يكن فلا شك أن الفايروس موجود حقيقة، فهناك الكثير من النظريات التي تخرج يومياً من العلماء ورجال الدين والإعلاميين عن طرق الوقاية، فيجب أن لا نقلل من خطورة الوباء أو نتعامل معه كأمر عرضي[4].

---

(1) https://www.maannews.net/news/47381.html

(2) سلامة، عبد الغني، *2020م، جائحة كورونا: الأداء الفلسطيني في مشهد عالمي متقلب*، عدد 49-50، ص34.

(3) المرجع سابق، ص34.

(4) المرجع السابق، ص35.

الملاحظ أن فلسطين كانت من بين أقل الدول في عدد الإصابات والوفيات حتى نهاية أيار 2020م، وقد أعلنت السلطات الفلسطينية عن حظر دخول السياح من عدة دول حول العالم، وذلك ضمن إجراءاتها الاحترازية لمنع انتشار الفيروس في فلسطين، وأقرت سلسلة من إجراءات السلامة الداخلية بعد الاشتباه بوجود إصابات بالفيروس في بيت لحم[1]، وبعدها بدأت موجه ثانية من الجائحة أشد، وصارت أعداد الضحايا في ازدياد مستمر[2].

ومنذ وقت مبكر سارعت السلطة الوطنية الفلسطينية لفرض إجراءات صارمة لمنع انتشار وباء الكورونا ملزمة الناس بالبقاء في منازلهم وعدم التنقل إلا للضرورة القصوى، كأحد أشكال الحجر الصحي التي عرفتها فلسطين منذ مئات السنين لمواجهة الأوبئة التي اهلكت العباد خلال القرون الماضية وغيرت الخارطة السكانية في فلسطين أكثر من مرة، كما شملت إغلاق الحدود، ومنع التنقل بين المدن، وتحديد ساعات التجول، وإغلاق الأماكن العامة، والمحلات التجارية، والمدارس والجامعات والمساجد والكنائس، وقد نجحت السلطة الفلسطينية في حماية المجتمع الفلسطيني من تفشي فايروس كورونا، بسبب انضباط المجتمع، والحالة الاقتصادية لم تكن متفاقمة كثيراً، الأمر الذي أدى إلى خروج المجتمع الفلسطيني من الوباء بأقل الخسائر[3].

بدأ التحول في الممارسة نحو العكس في فلسطين مع مطلع شهر حزيران 2020م، إذ جاءت مناسبة عيد الفطر وتجمع الناس في هذه المناسبة، كما شهد هذا الشهر مناسبات الأعراس المؤجلة، والعودة إلى الصلاة في المساجد بعد دعوة حزب التحرير الإسلامي بالعودة إلى الحياة العامة لعدم اقتناعهم بإغلاق المساجد لأي سبب كان[4]، واعتبروها مؤامرة على الإسلام والمسلمين، بهدف إبعاد الشباب عن المساجد من خلال إغلاقها بحجة وجود وباء قاتل[5]. وبالمقابل هناك النقيض من غير الإسلاميين الذين رأوا في وباء كورونا مؤامرة على القضية الفلسطينية بهدف عزل الشعب والهائهم في وباء وهمي لا صحة له، وتدمير الاقتصاد الفلسطيني لتمرير عمليات سياسية مثل

([1]) قناة الجزيرة، *السياح يتقلصون في زمن كورونا*.. بيت لحم الفلسطينية تعاني الركود.

([2]) سلامة، مرجع سابق، ص42.

([3]) المرجع السابق، ص42.

([4]) انظر بيان حزب التحرير بعنوان" :*جواب سؤال: تداعيات فيروس كورونا* "المنشور في موقع المكتب الإعلامي للحزب في فلسطين.

([5]) انظر: "*كتاب مفتوح من حزب التحرير في الأرض المباركة فلسطين إلى المفتي العام ودوائر الإفتاء والأئمة والخطباء*" المنشور في موقع المكتب الإعلامي لحزب التحرير في فلسطين، بتاريخ 12 أيار/ مايو 2020، في الرابط الإلكتروني التالي : https://tinyurl.com/y4kxpy4q

ضم الأغوار وإنشاء المستعمرات الإسرائيلية وصفقة القرن، فقد دعا هؤلاء إلى فتح الأسواق ورص الصفوف لمواجهة هذه الاخطار[1].

تزامنت دعوة حزب التحرير الإسلامي مع مجموعة عوامل ساعدت على انتشار الفايروس وهي: صعوبة وصول قوات الأمن الفلسطيني إلى منطقتي (ب، ج) حيث السيطرة الأمنية الإسرائيلية، الأمر الذي ساعد الناس في اختراق أوامر العزل والحجر الصحي، ونفاذ مدخرات الناس، مما اضطرهم إلى العودة إلى العمل في الداخل الفلسطيني المحتل، بسبب ضعف الاقتصاد الوطني والاعتماد على سوق العمل داخل الأراضي المحتلة، بالإضافة إلى توقف الحياة الاقتصادية والخدماتية والتعليمية وملل الناس من العزل الطويل داخل البيوت.

لعب الاحتلال الإسرائيلي دوراً في ارتفاع نسبة الإصابات في فلسطين، خصوصاً أن فلسطين مقسمة إلى ثلاث مناطق (أ، ب، ج)، وتخضع المنطقة (ج) لسلطات الاحتلال إدارياً وعسكرياً، بينما تتقاسم السلطة الفلسطينية الصلاحيات مع الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة (ب)، وتفرد السلطة الفلسطينية بالمنطقة (أ)، وهذا يعني أن الحركة والتنقل والتجمعات مرتبط في كل المناطق بالطرف الإسرائيلي[2]. لذلك فرضت القيود على الحركة لكل من المرضى والطواقم الطبية، ومشكلة الحصول على تصاريح انتقال العلاج، وكثافة نقاط التفتيش الأمنية الإسرائيلية الثابتة والمتحركة[3]. بالإضافة إلى مشكلات العمال الفلسطينيين في الأراضي المحتلة والمستوطنات داخل الأراضي الفلسطينية. وفي نفس الوقت عانى الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية، حيث تضم بعض السجون 400 سجين في مكان واحد، مما يزيد من احتمال انتقال الفايروس بينهم، وخاصة أن منهم من يعاني أوضاعاً صحية تجعل مناعتهم في حدها الأدنى.

([1]) انظر: عمر حلمي الغول، *"خطيئة عطوان لا تُغتفر"*، " الحياة الجديدة" (رام الله).

([2]) See site of The Cyber Shafarat – Treadstone *71, 3/4/2020, https://cybershafarat.com/2020/04/03/10-potential-negative-scenarios-in-israels-strategic environment-following-corona-outbreak-from-the-israeli-national-security-studies/; site of BBC, 18/11/2019, https://www.bbc.com/news/world-middle-east-38458884; and WHO occupied Palestinian territory, Right to Health 2018 (WHO; 2019), http://www.emro.who.int/images/stories/palestine/documents/who_right_to_health_2018 web-final.pdf?ua=1*

([3]) WHO occupied Palestinian territory*, Right to Health 2018.*

النتائج

من النتائج التي انتهى إليها البحث ما يلي:

*السيطرة على الوباء ومنع انتشاره من خلال العزل والحجر الصحي.
*كان طاعون عمواس في بلاد الشام هو الوحيد في عصر الخلافة الراشدة.
*واكبت فلسطين التقدم العمي في مجال الطب والصيدلة، فقد نبغ العرب والمسلمين في صناعة الطب وتركيب الأدوية، نتيجة اهتمام الخلفاء بالعلوم الطبية.
*حملت القوات البريطانية الانفلونزا معها إلى فلسطين في أوائل أيلول 1918م، مما أدى إلى تفشي الوباء في فلسطين وبين طرفي الحرب، ولعلها ساهمت في هزيمة القوات العثمانية.
*لم تنجح الدراسة في تحديد معدل الوفيات بين السكان، لكنها استنتجت انها كانت كبيرة.
*يأمل الباحث أن تساهم دراسته في تحفيز المزيد من البحوث حول الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت تلك الفترة.
*وجوب الأخذ بأسباب الوقاية والعلاج مع القناعة والاعتقاد بأن لا مفر من قدر الله.
*وجوب تجنب أماكن العدوى والالتزام بقواعد الحجر الصحي التي تحددها الحكومة والهيئات الطبية المختصة.
*التقيد بإرشادات وتوجيهات ونصائح الجهات الرسمية والهيئات الطبية لأنها الأكثر معرفة بتفاصيل المرض والأوبئة.
*إن الأوبئة لها أثار اقتصادية ارتبطت بشكل أو بأخر بتراجع المستوى المعيشي لفلسطين إلى أدنى المستويات.
*جائحة كورونا هي ظاهرة عالمية عمت البشرية جمعاء فلم تترك بقعة من الأرض إلا وتغلغلت فيها، بينما انحصرت الأوبئة السابقة في مناطق جغرافية محددة.

التوصيات:

أوصي المهتمين بالعلم بدعم جهود الباحثين للعمل على إخراج الكثير من المخطوطات الطبية للنور من خلال تحقيقها ونشرها.

ارتداء المعدات الطبية للحماية الشخصية الأساسية للعاملين الصحيين، عند تعاملهم مع المرضى *المصابين*.

ISSN:2707-8183 المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

منظور تأريخي لتحليل العلاقة بين أيديولوجيات علم الإدارة والموارد البشرية

أ.د. محمد حسين منهل

جامعة البصرة كلية الإدارة والاقتصاد

المستخلص :

لما كان المورد البشري هو الركيزة الأساسية لبناء المنظمات والبلدان فقد كان هاجس القيادات الإدارية في مختلف العصور هو كيفية الاستغلال الأمثل لهذا المورد لضمان تحقيق أعلى مستوى من الأداء لتحقيق أهداف المنظمة .

وفي إطار التوثيق التأريخي فلقد نشأ مصطلح الموارد البشرية وتطور عبر مراحل تاريخية متنوعة إذ يرجع الباحثون تاريخ هذا المصطلح إلى قرنين من الزمان تقريباً، وتحديداً إلى ما يسمى بعصر الثورة أو النهضة الصناعية، فمنذ ذلك الحين بدأ التفكير في أهمية المورد البشري، فقامت الشركات بإنشاء أقسام خاصة بالموظفين ، تبحث في شؤونهم و تعتني بكل ما يتعلق بهم و سميت هذه الإدارات بمسميات مختلفة، منها إدارة شؤون العاملين، إدارة شؤون الموظفين وإدارة الأفراد.

نناقش في هذا البحث مراحل التطور التأريخي لآيديولوجيا علم الإدارة وما رافقه من تنوع في طريقة النظر للمورد البشري بدءاً من مرحلة النظريات ما قبل التقليدية مروراً بالنظريات التقليدية وصولاً إلى أحدث النظريات في مجال علم الإدارة و ما رافق ذلك من اختلاف بوجهات النظر تجاه المورد البشري الذي يعد المورد الأكثر أهمية من بين الموارد والذي يقع على عاتقه تفعيل الموارد الأخرى لتحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية المتوخاة منها.

الكلمات المفتاحية : آيديولوجيا علم الإدارة، الموارد البشرية.

A historical perspective to analyzing the relationship between management ideology and human resources

Prof. Dr. Mohammed Hussein Manhal
University of Basra-College of administration and economics

Abstract

Whereas the human resource is the basic pillar for building the organizations and countries, the obsession of managerial leadership along eras is how to achieves an optimal utilization of these resource in order to guaranteeing the highest performance for achieving objectives.

In regards of documenting historically, the term of human resources was raised and developed through diversified historical stages, the researchers referring the history of these term a two centuries ago, particularly to the industrial revolution, the thinking about the importance of HR was started since that time, the companies established special departments dealing with employees, interested about their affairs and took care about their issues which called workers affairs, employees affairs and personnel management.

In this paper we will discuss the stages of the historical development for management ideology and the diversified perspectives against HR including the pre- classical theories, classical theories and the modern theories and how they dealing with HR which consider the most important resource among other resources which activating them to achieves the economical and social objectives.

Key words: management science ideology, human resources.

المقدمة

لكل مدرسة إدارية إيديولوجيتها (المتفردة Unique) التي تميزها عن غيرها من المدارس، وتعد إيديولوجيا الإدارة في كل حقبة زمنية العامل الحاسم في توفير البيئة التي تتعامل مع المورد البشري فيها، وعليه فمن المهم توضيح الأسس الفكرية التي تبنى عليها المنظمات والتي تحدد كيفية النظر للمورد البشري، وقد وجدت الدراسات أن هناك علاقة بين الإيديولوجيا التي تدار من خلالها المنظمات وبين أسلوب نظر تلك المنظمات للمورد البشري.

على المنظمات التي تطمح إلى تحقيق الأداء المميز أن تدرك أهمية التعامل مع المورد البشري مما يؤدي إلى جذب وتطوير المواهب الفريدة، مما يحتم على الإدارة توجيه إيديولوجيا المنظمة باتجاه مواردها البشرية لضمان حشد وتنظيم الأنشطة جنباً إلى جنب مع الثقافة التنظيمية التي تتمحور حول رفع قيمة موردها البشري للمنظمة أي أن الثقافة التي ينبغي أن تسود في منظمات تطمح لتحقيق الأداء العالي هي اعتبار رأس المال البشري أهم من رأس المال النقدي، وبهذا فقد أصبح من المهم بث ثقافة التعامل الإيجابي تجاه قوة العمل من اجل تحقيق مزايا إستراتيجية، فعند الشروع في تطوير أداء المنظمة ، فان من المهم التركيز على رأس المال البشري وعلى الموجودات غير الملموسة ذات العلاقة، وكما يجري مع العلامات التجارية المتميزة فان على المنظمات أن تنظر إلى قوتها العاملة على أنها رأس مال متميز وصعب التقليد، ففي دراسة أجريت من قبل (Liu, et al 2007) شملت منظمات من القطاعين العام والخاص لبيان نوع الآيديولجيا التي تميز المنظمات عن بعضها البعض اكتشفت إن قوة العمل القوية ضرورية، وبالتالي فان المنظمات التي تتمكن من امتلاك رأس مال بشري متميز فإنها تمتلك أداء منظمي عالي أكثر من المنظمات الأخرى ، وخرجت الدراسة بان عمليات الرصف والتنظيم الاستراتيجي للموارد البشرية يعد أمراً ضرورياً لبناء منظمة ناجحة.

مفهوم إدارة الموارد البشرية

يتباين الباحثون في تحديدهم لمفهوم إدارة الموارد البشرية، ويعزى التباين في أغلب الأحيان إلى التسمية التي يستخدمها الباحث، إضافةً إلى اختلاف وجهات نظرهم للموارد البشرية ذاتها فتعرف على أنها تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة وتوفير وتنمية وتعويض واندماج وإنهاء خدمة الموارد البشرية وذلك لتحقيق أهداف الفرد و التنظيم و المجتمع.(Flippo,1980.P.5).

كما جرى تعريفها بأنها ذلك الجانب من العملية الإدارية المتضمن لعدد من الوظائف والأنشطة التي تمارس لغرض إدارة العنصر البشري بطريقة فعالة وإيجابية بما يحقق مصلحة المنظمة ومصلحة العاملين ومصلحة المجتمع (Randall,1981.P.5).

ويمكن أن نستخلص مما ورد في أعلاه أن إدارة الموارد البشرية هي :-

- مجموعة القواعد و الإجراءات التي تمارسها المنظمة، تتمثل بالإشراف على مجموعة الأنشطة المتعلقة بالعنصر البشري في المنظمة.

- تشمل تخطيط القوى العاملة و الإشراف على عمليات الاستقطاب، والاختيار، والتدريب، وتحديد الكمية و النوعية اللازمة من العمال.
- البحث عن اليد العاملة المؤهلة من أجل وضع الشخص المناسب في المكان المناسب من أجل تحقيق أهداف المنظمة .

أهمية إدارة الموارد البشرية

تنبع أهمية إدارة الموارد البشرية من أهمية الموارد البشرية ذاتها إذ تعد أكثر الموارد حرجاً و تقلباً وتغيراً وصعوبة للتنبؤ بسلوكها المستقبلي. وتتمحور أهمية المورد البشري في المنظمات من مجموعة من الحقائق أهمها :- (الهيتي،2000،ص39) و (السالم،وصالح،2000،ص44) (القحطاني،2008،ص26) :

1- يعد العنصر البشري هو العقل المدبر والقوة التي يمكن من خلالها استغلال جميع الإمكانيات المادية الموجودة بالمنظمة وتحقيق الأهداف التي تسعى إليها هذه المنظمة.
2- مساهمة المورد البشري في تطوير السياسات والبرامج الفاعلة ونقل رسالة المنظمة إلى ميدان عملها.
3- إن وجود خبرات متخصصة في إدارة الموارد البشرية قادرة ومؤهلة على استقطاب أفضل العاملين لشغل الوظائف الشاغرة، ثم الحفاظ على هذه العناصر سيزيد من إنتاجية المنظمة ويعزز من مركزها الاقتصادي وإرباحها في الأجل الطويل.
1- أن قدرة المنظمة على توفير مناخ تنظيمي صالح للعمل، وذلك من خلال تبني برامج للموارد البشرية تساهم في تحفيز العاملين وتدفعهم إلى بذل المزيد من قدراتهم سينعكس بدون شك على رضاهم الوظيفي. وهذا سيزيد من إنتاجيتهم ومن ثم زيادة فعالية المنظمة ككل.
2- أن المعالجة الصحيحة والعادلة لمشاكل محتملة في مجالات الاختيار والتعيين وتقويم الأداء، والتدريب، والترقيات ستوفر تكاليف محتملة ناجمة عن سرعة دوران العمل، وتدني معدلات الأداء، أو انخفاض الإنتاجية.
3- أن الإدارة الناجحة للموارد البشرية توفر على المنشآت تكاليف باهضة في قضايا قانونية قد يلجأ إليها العاملين لاسيما في حالات الفصل أو عدم منح العلاوة، أو التجاوز في الترقيات.

وعلى الرغم من الأهمية القصوى للموارد البشرية في نجاح المنظمات نجد أن آيديولوجيات الإدارة اختلفت في طبيعة النظر والتعامل مع هذا العنصر الحيوي.

تحليل العلاقة بين إيديولوجيات الإدارة والنظر للموارد البشرية عبر التأريخ

نناقش في هذه الفقرة أهم المراحل التي مرت بها إيديولوجيا (فكر) الإدارة وكيف جرى التعامل مع العنصر البشري في المنظمات بحسب كل مدرسة عبر التأريخ:

مرحلة ما قبل التصنيع (العصور القديمة)

اعتمدت هذه المرحلة بشكل كامل لأغراض المعيشة على الصيد و الزراعة و لم يكن لنشاط إدارة الموارد البشرية أهمية واضحة، حيث إن التجمعات التي تمارس أنشطة الزراعة والصيد كانت تنشأ بشكل عفوي بعيداً عن الإدارة المنظمة التي تستند إلى أسس أو مبادئ علمية واضحة، ولكن بالرغم من هذه العفوية يلاحظ المتعمق في الفكر و الأدب الإداري وجود إدارة ترجع جذورها إلى حضارات قديمة ويمكن مشاهدة هذه الملامح لتطبيقات الإدارة بشكل عام و إدارة الموارد البشرية بشكل خاص في الحضارة البابلية التي كان من أهم نتاجها مسلة حمو رابي، وفي حضارة وادي النيل التي تمثلت أهم ثمارها في بناء الأهرامات، و حضارة الصين القديمة التي كان بناء سور الصين أهم ملامحها الأساسية. (الهيتي،20،2005)

مرحلة ما قبل الإدارة الكلاسيكية (1771-1858)

تزامنت هذه المرحلة مع الثورة الصناعية وكان من نتاج هذه المرحلة ظهور الحركات العمالية لمجابهة المساوئ التي جلبتها الثورة الصناعية، فكان على العمال أن يتحدوا في مواجهة أصحاب الأعمال، مما تسبب بانتفاضات وإضرابات منظمة تطالب بحقوقهم فيما يخص الأجور، وساعات العمل. وكان لكل من Robert Owen & Charles Babbage دور بارز في تطوير نظرية الإدارة، كان Owen رائد أعمال ومصلح اجتماعي بينما كان Babbage عالم رياضيات ولديه اهتمام كبير بالإدارة. استمد Owen أفكاره من عمله مالكاً لمصنع قطن في سكوتلاند وكانت مساهمته الأساسية هي تطوير حركة تشريعية للحد من توظيف الأطفال وتقليل ساعات العمل اليومي إلى 10 ساعات ونصف / يوم . وقد انتقد بشدة زملاءه لفشلهم في فهم العنصر البشري ، فبحسب (Owen) إن المدراء يمضون الوقت في تطوير الماكنات ، تقسيم وتخصيص العمل، تقليل التكاليف ، لكنهم لا يستثمرون في العاملين أنفسهم ، إذ يقول (Owen) إن الأموال المصروفة لتحسين العمل ستعود على المنظمة ليس بـ (5% , 10 % أو 15 %) عائد على رأس المال فقط بل غالبا ما تكون النسبة (50%) وقد تصل بعض الأحيان لـ (100%) (Butt 1971) في العام 1813 قام بنشر كتيب بعنوان (النظرة الجديدة للمجتمع) التي وضح فيه رؤيته للمجتمع، كما كان ناشطاً في تطوير ظروف العمل للموظفين

من خلال توفير الإسكان، الصرف الصحي، الأشغال العامة وتأسيس مدارس للأطفال إذ آمن بأن التعليم المبكر يؤدي إلى بناء الشخصية الجيدة. وهو بهذه الإسهامات يكون أول مؤسس لآيديولوجيا مدرسة العلاقات الإنسانية في الإدارة.

أما Babbage عالم الرياضيات الإنجليزي الشهير الذي لقب أبو علم الحاسوب المعاصر من خلال بحثه التطبيقي الأول لحاسبة ميكانيكية ، كانت مساهمته في علم الإدارة من خلال تطوير خطة تقاسم الأرباح مع الموظفين ومنحهم علاوات إضافية.

- مرحلة الإدارة الكلاسيكية

كانت بداية هذه المرحلة في منتصف القرن التاسع عشر مع نهوض نظام المصانع وبشكل أساس مصانع النسيج حيث أصبح الإنتاج الواسع هو حجر الزاوية للإنتاجية. كان الفكر الإداري يتحرك ببطئ في تلك الحقبة، فكانت الحاجة لتعريف ما كان يشغل الإدارة آنذاك وتفعيلها بما يحقق أهداف المنظمات، فكانت مدرسة الإدارة العلمية أهم ما ميز تلك الحقبة التأريخية .

- مدرسة الإدارة العلمية

تتمحور فكرة الإدارة العلمية حول ذلك النوع من الإدارة الذي يؤدي العمل من خلال معايير بنيت على أساس حقائق استمدت من مشاهدات منهجية موضوعية، تجارب وحقائق منطقية حاول رائد هذه المرحلة Fredrick Taylor رئيس المهندسين المنحدر من عائلة ارستقراطية ومدير مصنع Midvale للحديد والصلب في فيلاديفيا يعد مؤسس مدرسة الإدارة العلمية الذي ’من بأن على المنظمة القيام بدراسة الوقت الحركة لكل وظيفة ووضع إجراءات عمل دقيقة جداً يتبعها العاملون، إذ اعتقد أن القياس العلمي للعمل (دراسة العمل)، وتحديد أفضل الأساليب في الأداء وذلك من خلال عده مبادئ أهمها : تصميم العمل وفق قواعد دراسات الحركة و الوقت، و الاختيار المناسب للعاملين، تدريبهم، يقود إلى زيادة الأجور من خلال زيادة الإرباح. (DeNisi , Griffin.2001,p:5)

وقد رافق مرحلة الإدارة العلمية ظهور علم النفس الصناعي والذي تميز باهتمام علماء النفس بدراسة ظواهر معينة تتعلق بالأفراد ذاتهم مثل الإجهاد و الإصابات، واهم ما ركزوا عليه هو تحليل العمل لغرض معرفة المتطلبات التي لابد من توفرها في الفرد العامل ذهنياً و جسمانياً، و استطاعوا تطوير بعض الاختبارات النفسية المناسبة للاختيار من بين المتقدمين لشغل الوظائف ولقد أظهرت هذه الحركة نجاحاً

كبيراً في الشركات التي استخدمت أساليب تحليل العمل و الاختبارات النفسية (Kondalkr,2007,P:25).

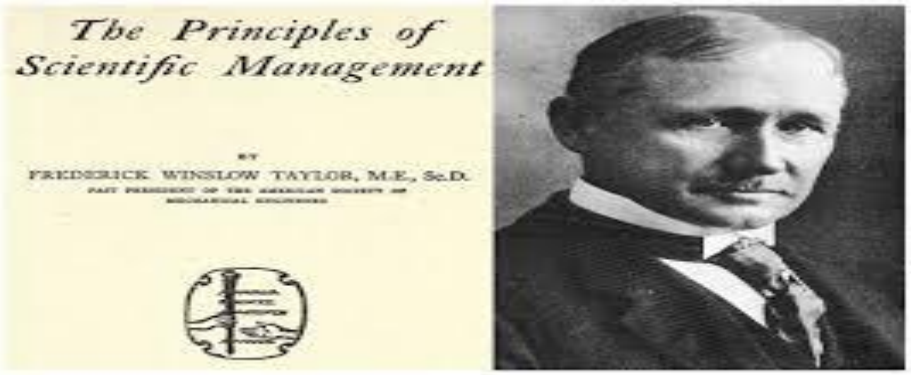

Frederick , W .Taylor

وقد تمخضت مدرسة الإدارة العلمية عن مجموعة مبادئ مثلت أيديولوجيا هذه المدرسة وكما يأتي: Koontz, (Weihrich, 2001)

- تطوير أساليب معيارية جديدة للقيام بكل وظيفة.
- اختيار، تدريب وتطوير العاملين وعدم السماح لهم القيام بتدريب أنفسهم والقيام بما يرونه مناسباً.
- تقسيم العمل على أساس مجموعات تحقق أفضل ملائمة للوظائف.

كانت الصورة الذهنية لدى العاملين في تلك الحقبة عن مبادئ الإدارة العلمية هي نظرتها للإنسان (الفرد العامل) على أنه جزء من الآلة إذ لا يمكن له التصرف أو تأدية المهام الموكلة إليه إلا وفق خارطة معدة مسبقاً، ولعل من أقسى العبارات التي ذكرها Taylor هي " على الموظف أن يترك عقله عند باب المصنع صباحاً حتى لا يفكر بطريقته الخاصة ثم يأخذه معه إلى المنزل عند نهاية الدوام"

الصورة أدناه تمثل مقطع من فيلم الأزمنة الحديثة Modern times لـ Charlie Chaplin ينتقد فيه إيديولوجيا الإدارة العلمية التي تنظر للفرد العامل على أنه جزء من الآلة.

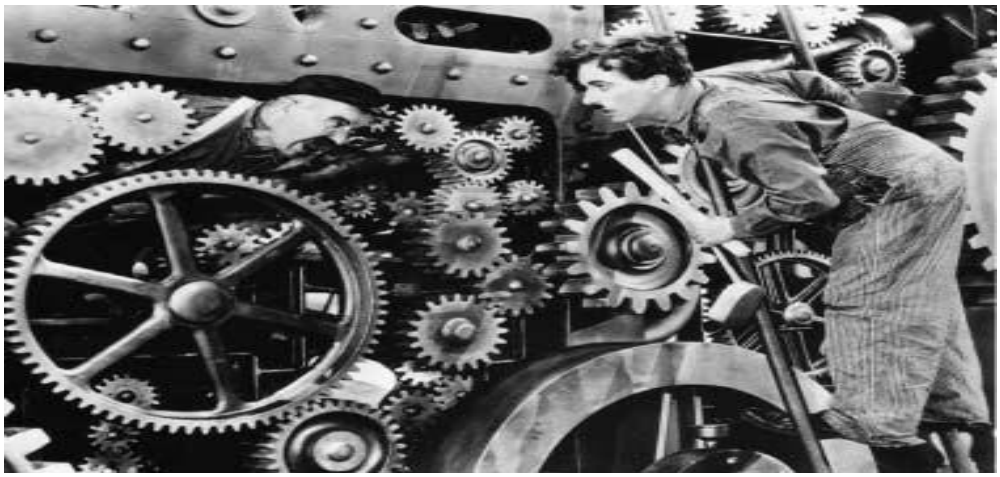

وفي صعيد متصل عمل Henry Gantt مساعداً لـ Taylor وخلال عمله قام بتطوير مخطط Gantt وهو مخطط بياني يعمل على المقارنة بين العمل المخطط والمنجز لكل مرحلة من مراحل عملية الإنتاج، ويعد وسيلة لمراقبة خطوات العمل بشكل دقيق وقد جرى اعتماد هذا المخطط بشكل واسع كداة للتخطيط والرقابة منذ عام 1910 .

شكل (1) يبين مخطط Gantt

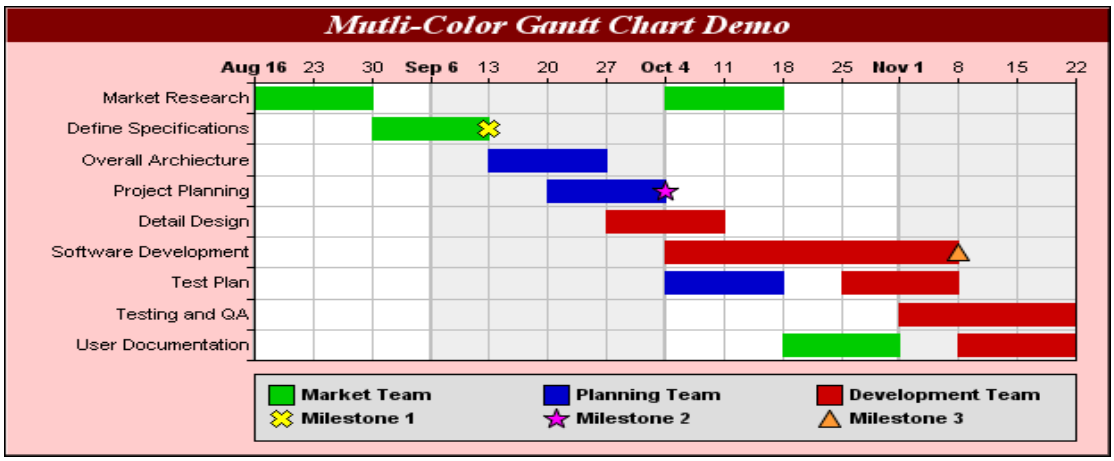

وفي ذات السياق عمل كل من Frank & Lillian Gilbreth على تطوير عمل Taylor في إطار مدرسة الإدارة العلمية وتحديداً في دراسات الوقت والحركة time - motion studies ، إذ قاما باستنباط الحركات المناسبة للقيام بكل وظيفة من خلال التصوير الفوتوغرافي لحركة الأفراد العاملين (تحديداً العاملين في البناء) ، والعمل على إزالة كل

حركة غير ضرورية تؤدي إلى إطالة وقت إنجاز العمل، من خلال وضع أفضل طريقة لبناء حائط باستخدام الطابوق وبتطبيق نتائج دراسات الوقت والحركة تمكنوا من رفع انتاجية العامل من 1000 طابوقة إلى 2700 طابوقة في اليوم.

وقد كتبت (Lillian Gilbreth) كتاباً اعتبر من أهم وأول الإسهامات لفهم العنصر البشري في الصناعة بعنوان (سيكولوجيا الإدارة Psychology Of Management) في عام 1914 ولقد عرفت بأنها هي من أقحمت العنصر البشري إلى نظرية الإدارة العلمية . (Wren 2005)
كان هدف آل Gilbreth هو رفع كفاءة كل فرد من أفراد العمل ولعل ما يثير الدهشة هو أنهم قاموا بتطبيق النظرية على عائلتهم المكونة من الوالدين و 12 طفلاً من أجل أن يجعلوا من ممارساتهم اليومية بمختلف أشكالها.

الصورة أدناه تبين مشهد تمثيلي من فيلم Cheaper by the dozen تقوم به عائلة Gilbreth لرفع كفاءة النشاطات اليومية. المشهد يمثل إقامة محكمة لحل النزاعات اليومية بين أفراد الأسرة.

النظرية البيروقراطية في الإدارة

في بدايات القرن العشرين وعندما كانت ألمانيا تنخرط في الثورة الصناعية وتكافح لتكون قوة عالمية، طور عالم الاجتماع الألماني Max Weber مبادئ البيروقراطية – النظام الرسمي لإدارة المنظمات والمصمم لضمان الكفاءة والفاعلية. فالإشكالية كما رآها (Weber) هي كيف يمكن للمنظمات إن تعمل بمنهجية وانتظام أكثر، وكان الجواب الذي استنتجه هو (البيروقراطية) التي تعني الإدارة من خلال المكتب أو المركز(Office Or position) وليس من خلال شخص معين (Parsons,1947) . وهو بهذا قد أسس لآيديولوجيا جديدة في الإدارة.

Bureaucratic Theory
Max Weber (1864-1920)

مبادئ النظرية البيروقراطية : (Manhal, 2011)

1- السلطة الرسمية للمدير تستمد من المنصب الذي يمارسه في المنظمة.
2- يجب أن يشغل الأفراد وظائفهم استناداً إلى قدرتهم على الأداء وليس وضعهم الاجتماعي وعلاقاتهم.
3- العلاقات بين الوظائف والصلاحيات والمسؤوليات في الهيكل التنظيمي يجب أن تكون محددة وواضحة جداً.
4- من أجل تحقيق الكفاءة فإن المناصب في المنظمة يجب أن تكون مرتبة في هرم إداري يوضح من الرئيس ومن المرؤوس ومقدار الصلاحيات والمسؤوليات لكل مستوى لتجنب المشاكل والصراع التنظيمي.
5- يجب على المديرين أن يضعوا نظام من القواعد والمعايير وإجراءات العمل والأعراف التي تحكم السلوك في المنظمات.

يبدو واضحاً من مبادئ البيروقراطية أن السلطة والقرار تمنح بموجب القوانين إلى الأفراد الذين يشغلون المناصب الإدارية العليا في المنظمات، ووفقاً لهذا النهج فإن العاملين هم مجرد أدوات تنفيذية يجري اختيارهم وتدريبهم للقيام بمهمات محددة ولا يعتد برأيهم ، وهي بهذا الأسلوب إنما تلتقي إلى حد كبير مع مبادئ الإدارة العلمية التي تعد الفرد العامل أداة تنفيذية فحسب.

مدرسة التقسيمات الإدارية Departmentalization

واحد من أقدم وأهم المداخل الإدارية التي تزامنت مع مدخل البيروقراطية لـ Max Weber ولكن بشكل مستقل هو مدخل التقسيمات الذي جاء به الفرنسي Henry Fayol الذي وظف خبرته الطويلة بوصفه مديراً لشركة Comambault للتعدين وقام بوضع 14 مبدأ إداري أعتقد أن الإدارات في جميع أنواع المنظمات – العامة والخاصة، الكبيرة والصغيرة، تتطلب القيام بنفس العملية العقلانية الرشيدة لإدارة الوظائف.

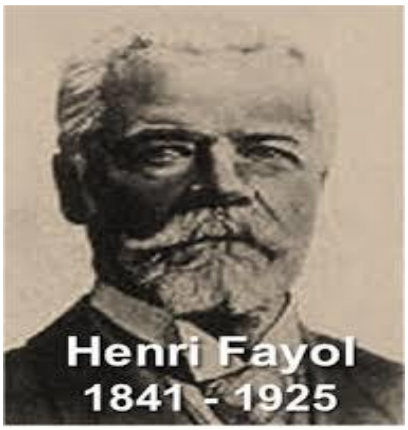

ارتكزت إيديولوجيا هذه المدرسة على افتراضين أساسيين هما: (Hill, McShane , 2007)

1- على الرغم من الاختلاف بين أهداف منظمات (الأعمال، الحكومية، التعليمية و الدينية) إلا أن جوهر العملية الإدارية يبقى واحداً في جميع المنظمات.
2- المديرون الناجحون يمكن مناقلتهم بين المنظمات المختلفة ليحققوا النجاح أينما وجدوا من خلال اعتمادهم مبادئ إدارية محددة.

المبادئ التي يقصدها وعددها 14 هي (تقسيم العمل حسب التخصص، السلطة، الانضباط، وحدة الإمرة، وحدة التوجيه، خضوع المصلحة الفردية للمصلحة العامة، التعويضات، المركزية، التدرج الهرمي، الانتظام، العدالة، التسكين الوظيفي، تشجيع المبادرة، العمل الجمعي).

مثلت المدارس الكلاسيكية (العلمية، البيروقراطية والتقسيمات الإدارية) بمختلف أفكارها وأساليبها توجهاً إيديولوجيا موحداً ركز بالشكل الأساس على أهمية إنجاز أهداف المنظمات بأعلى فاعلية وكفاءة من خلال الاستغلال الأمثل لوسائل الإنتاج ، ففي حين ركزت الإدارة العلمية من خلال رائدها Taylor وأنصاره كل من Gantt و The Gilbreth على رسم خرائط تحدد الوقت والحركة التي ينبغي للفرد العامل أن يسير وفقاً لمساراتها بدقة متناهية وأن لا يفكر بطريقته الخاصة لإنجاز العمل وأن عليه أن لا يستعمل عقله بتاتاً ما دام على أرضية المصنع، فإن البيروقراطية وعلى يد مؤسسها Max Weber ركزت على أن السلطة الوحيدة هي لدى المسؤولين من ذوي المناصب العليا في المكاتب التي تمثل قمة هرم الإدارة وما على الأفراد العاملين إلا إطاعة الأوامر التي تصدر من هناك لأنها تمثل مصدر القرار الرشيد في المنظمة كون القادة هم فقط الخبراء الذين يعرفون مصلحة المنظمة، أما التقسيمات الإدارية فقد جاءت بأفكار أكثر وضوحاً عن أهمية الإدارة إذ رأى Henry Fayol أن أصحاب الخبرة الإدارية هم فقط بإمكانهم أن يديروا مختلف أنواع المنظمات من خلال نهج موحد يعتمد مجموعة من المبادئ دون الأخذ بالاعتبار إسناد أي دور للفرد العامل في صنع القرارات ووضع الخطط وتحديد الأهداف.

كل ما ورد من أفكار في مدارس الفكر الإداري الكلاسيكي مثل إيديولوجيا رسمت ملامح مرحلة تأريخية في عالمنا إيديولوجيا غضت النظر عن طبيعة الفرد العامل بوصفه كائن بشري يمتلك من الأحاسيس والمشاعر و الاحتياجات التي تجعل منه مختلفاً عن عناصر الإنتاج المادية الأخرى مثل المكائن والمعدات والمواد، كائن يشعر بدرجات الحرارة ويزعجه الضوضاء ويحتاج إلى الإضاءة الكافية وظروف بيئة العمل المناسبة ليؤدي واجباته على أتم وجه. كان لابد من انقلاب فكري على مستوى النظرية والتطبيق في علم الإدارة انقلاب يأخذ بالاعتبار ضرورة الاهتمام بالمورد الأهم

المورد الذي يقع على عاتقه تفعيل الموارد الأخرى المادية والمالية والمعرفية من أجل تحقيق أهداف المنظمات بأقصى درجات الفاعلية والكفاءة .

ثورة العلوم السلوكية

ظهرت العلوم السلوكية بوصفها ردة فعل منطقية لمعاناة الأفراد العاملين لدى الشركات التي كانت تنتهج أفكار المدارس الكلاسيكية في إدارة شؤون موظفيها، لذا فمن المنطقي أن هذه الحركة تبنت أيديولوجيا معاكسة تمثلت بالاهتمام بالعاملين والتعامل معهم على أنهم كائنات بشرية وما يترتب على ذلك من أمور مثل نمط الإشراف عليهم و الخدمات المقدمة إليهم، من أجل زيادة إنتاجيتهم.

ركزت كتابات منظرو العلوم السلوكية في بدايات القرن العشرين على السلوك الشخصي للمديرين من أجل تحفيز الموظفين وتشجيعهم للأداء بأعلى مستوى والالتزام بتحقيق أهداف المنظمة.

أفكار Mary Parker Follett

إذا كان Taylor يعد أبو الفكر الإداري فإن Mary Parker Follett تعد أم الفكر الإداري، تركزت أعمالها حول الطريقة التي يجب أن يسلكها المديرين للتعامل مع العاملين وكانت تلك الكتابات رداً على تجاهل Taylor الجانب الإنساني في المنظمات، وجادلت بما أن العامل هو أكثر من يعرف في شؤون وظيفته يجب إشراكه في تحليل العمل والسماح له في عملية تطوير العمل.

Mary Parker Follett

تركزت أفكار Follett على دمج السلطة مع المعرفة فإذا كان الموظف ذو دراية ومعرفة بشؤون وظيفته أكثر من المدير ففي هذه الحالة يجب التنسيق معه لإدارة العمل ولطالما صرحت بأن "مشكلتنا الأبدية هي ليس بكيفية السيطرة

على الأفراد بل كيف نقوم معاً بالسيطرة على الموقف" ، وهنا فإن المدير يجب أن يكون مدرباً وميسراً وليس مراقباً أو مشرفاً، وبهذا كانت أول من نادى بفكرة التمكين Empowerment والفرق المدارة ذاتياً Self-directed team، كما تبنت فكرة النظرة الأفقية للقوة والسلطة على النقيض من فكرة Fayol مؤسس مدرسة التقسيمات الذي نظر للقوة والسلطة بوصفهما خطوط رسمية تقع في سلسلة عمودية للإصدار الأوامر، وبهذا يعد المدخل السلوكي في الإدارة الذي نادت به Follett مدخلاً راديكالياً في ذلك الزمن .

النزعة الراديكالية لأفكار Follett لم تلق الترحيب والتقدير من قبل المديرين والباحثين إلا في الآونة الأخيرة وبدلاً من ذلك اقتفى الباحثون والمديرون أثر Taylor في كيفية زيادة الكفاءة من خلال التخصص في العمل وتحسين الأدوات التي يستخدمها العاملين لإنجاز أعمالهم.

- حركة العلاقات الإنسانية 1924-1940

بدأت هذه الحركة بتجارب مصنع Hawthorne التابع لشركة Western Electric المتخصصة بصناعة الهواتف وخدمات الاتصالات التي أجريت بين الأعوام 1927- 1932، قام بالإشراف على هذه الدراسات Elton mayo و زميله Fritz Roethlisberger (Anthony, et al, 1999,P11). كان الدافع الأساس لهذه الدراسات هو معدل دوران العمل المرتفع والمتمثل بترك الأفراد العمل في المصنع لأسباب تتعلق حسب المسح الذي قام به الباحثان بظروف بيئة العمل السيئة جداً والتي لا تتناسب و الأفراد مثل (الإضاءة، التهوية، درجة الحرارة والضوضاء... وغيرها) فكان لابد من إثبات هذه الفرضية القائلة أن لظروف بيئة العمل السلبية تأثير في معدل الإجهاد وبالتالي ضعف الأداء وكيف أن الظروف وخصائص بيئة العمل الإيجابية تحقق استقرار العاملين في وظائفهم ومستوى الرضا والولاء لديهم . فكانت أولى التجارب قد أجريت على مجموعتين (ضابطة واختباريه) من العاملات اللاتي يعملن في خط تجميع الهواتف تحت ظروف إضاءة مختلفة مستقرة للمجموعة الضابطة و متغيرة للمجموعة الاختبارية ، ولعل ما أثار الدهشة والاستغراب نتائج الاختبارات هو أن أداء العاملات استمر بالارتفاع رغم الانخفاض في مستوى الإضاءة، ولعل تفسير ذلك هو أن العاملات يعلمن أنهن تحت التجربة لذا تولدت لديهن فكرة التحدي بشكل لا شعوري. الشكل (2) يبين فكرة تجارب مصنع Hawthorn .

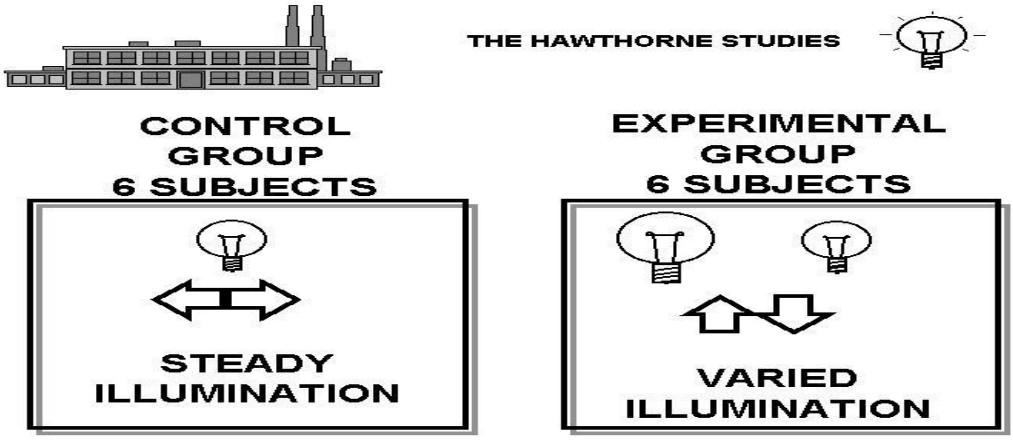

نتائج الاختبارات مثلت أحجية بالنسبة للباحثين مما دعاهم للاستعانة بالأستاذ اللامع مدرسة إدارة الأعمال في جامعة Harvard الأستاذ Elton Mayo الذي أكد على أن هناك العديد من العوامل تؤثر في سلوك العاملين وأنه ليس من الواضح ما الذي أثر بسلوك العاملين في Hawthorn هذا التأثير الخاص الذي أصبح يعرف فيما بعد بتأثير Hawthorn يفترض أن نظرة العاملين لرؤسائهم تؤثر بمستوى أدائهم في العمل. ولعل الاكتشاف الأهم في هذه الاختبارات هو أن سلوك المديرين أو المدخل القيادي المعتمد يؤثر بمستوى الأداء، فإذا ما تمكن مشرفو العمل من التدرب على بعض السلوكيات الايجابية يمكن لهم أن يحققوا التعاون في موقع العمل بما يضمن زيادة الإنتاجية، وكانت هذه هي الشرارة الأساسية لما يسمى بحركة العلاقات الإنسانية.

استنتج Mayo وزميله Roethlisberger أن العاملين في ورشة تصنيع معدات التوصيل يعملون بشكل مجموعات وأن لكل مجموعة تميل بشكل مقصود لتبني أعراف خاصة تحدد مستوى الأداء وأن أعضاء المجموعة يميلون بشكل عفوي للدفاع عن تلك الأعراف وأن من يحاول انتهاك تلك الأعراف يواجه عقوبات تفرضها المجموعة، أولئك الذين يخرقون أعراف الأداء يطلق عليهم منتهكو المعدل Rate-busters ويمثلون مصدر خطر على المجموعة لأنهم يتجاوزن معدل الأداء المتفق عليه، أما أولئك الذين يلتزمون بأعراف الأداء يطلق عليهم Chiselers وهم الملتزمون بمعدل الأداء المتفق عليه بين أعضاء المجموعة حتى لا يطلب منهم زيادة الجهد للبقاء على المعدل الأعلى.

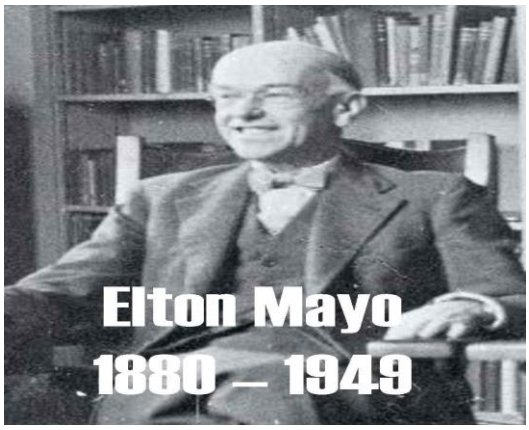

خلاصة عمل Mayo هي تأكيد الحاجة (للتعاون الفاعل) وإحياء (التضامن الاجتماعي) لتغيير ظروف العمل التي سببت عدم استقرار الأفراد والمنظمات، وينسب إليه تأسيس حركة (العلاقات الإنسانية) التي تركز على العلاقات بين الأفراد ، وإتقان مهارات الإصغاء والاتصال كما ركز على المهارات الإنسانية الاجتماعية للمدير، وواحدة من أهم أفكاره هي إن المدير يجب إن يوازن بين حاجات العاملين وبين متطلبات الربح الاقتصادي للمنظمة . (Mayo 1933)
يتضح مما تقدم أن إيديولوجيا العلاقات الإنسانية هدفت في ظاهرها إلى بناء وحدة اجتماعية متفاعلة داخل المنظمة، إلا أن الانسجام الحاصل بين الموظفين وإدارتهم سينعكس بالنتيجة على زيادة الإنتاجية وهو الغاية التي تطمح المنظمة تحقيقها.

لقد أثر الطرح الذي أدلت به كل من المدارس الكلاسيكية والسلوكية على في المنظمات، وكانت المنظمات العسكرية والحكومية هي أول من اعتمد تلك الطروحات، فكان من أهم ممارسات المنظمات التي تأثرت بإيديولوجيات تلك المدارس هي: وضع شروط للتعيين، واستخدام الاختبارات النفسية، و الاهتمام بأنظمة الأجور، وخدمات العاملين ومنع الفصل التعسفي، وتطوير ممارسات الأفراد لكي تتواكب مع التطور في العلوم الإدارية، ومن أمثلتها إثراء و تعظيم الوظائف، و تخطيط المسار الوظيفي ومراكز التقييم الإدارية، وإصدار تشريعات تقنن بها العلاقة بين المنظمات و العاملين، ولقد ركزت هذه التشريعات على موضوعات من أهمها : الحد الأدنى للأجور، و التأمينات و المعاشات، و الأمن الصناعي وصحة العاملين (Robert L. et al.,1997,P26)

الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية

يرجع الباحثون تاريخ وظيفة الموارد البشرية إلى قرنين من الزمان تقريباً، وتحديداً إلى ما يسمى بعصر الثورة أو النهضة الصناعية، فمنذ ذلك الحين بدأ التفكير في أهمية العنصر البشري، فبدأت الشركات و المنظمات بإنشاء إدارات خاصة بالموظفين ، تبحث في شؤونهم و تعتني بكل ما يتعلق بهم و سميت هذه الإدارات بمسميات مختلفة، منها إدارة شؤون العاملين ، وإدارة الإفراد حتى عام 1980م تقريباً إلى أن تغير مسمى إدارة الإفراد إلى إدارة الموارد البشرية . (Decenzo, Robbins, & Verhulst,2013,P26).

وفي النصف الأخير من القرن العشرين اعتمدت المنظمات إدارة ملفات موظفيها وفقاً للمبادئ والنظريات التي أفرزتها مدارس الفكر الإداري التقليدية أو السلوكية أو كليهما معاً، وفيما يأتي نناقش التوجهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية.

- إدارة الأفراد Personnel management

ذكر (Bersin,2006,P6) أن هذه المرحلة تراوحت ما بين السبعينات من القرن الماضي إلى الثمانينات منه وهي عبارة عن امتداد لما أفرزته ايديولوجيات المدارس السلوكية في الإدارة والتي توجهت نحو الاهتمام بالأفراد العاملين وتهيئة ظروف العمل المناسبة لهم ، وتميزت هذه المرحلة بتوظيف الأفراد وتقديم الأجور لهم، والتي أصبح فيها قسم الأفراد يمثل أحد أجزاء الهيكل التنظيمي للمنظمة، يمارس إدارة شؤون العاملين فيما يتعلق بتوظيفهم، تدريبهم واحتساب أجورهم.

في هذه المرحلة من القرن العشرين وما أعقبها تحولت البيئة التنظيمية والتنافسية للمنظمات إلى بيئة عدائية بشكل كبير جداً على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الديموغرافية تمخضت عنها مجموعة من التحديات التي واجهت إدارة الأفراد وعصفت بأفكارها و إيديولوجياتها التقليدية مما دعا إدارات المنظمات أن تأخذ بالاعتبار إعادة النظر في توجهاتها نحو الأفراد العاملين وأساليب التعامل معهم .

- إدارة الموارد البشرية Human Resources management

في مرحلة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين أدركت المنظمات بأن وظيفة إدارة الأفراد لم تعد كسابق عهدها بل أصبحت أكثر أهمية وأصبحت شريك أعمال في إستراتيجية المنظمات بعد أن كانت وظيفة أعمال في المرحلة السابقة. (Hatum,2010.p:19). في هذه المرحلة برز دور الأفراد ليس بوصفهم أدوات تنفيذية بل مورد مهم من الموارد المهمة التي تسعى المنظمات للحصول عليها والاحتفاظ بها لأهميتها في تحقيق أهدافها الإستراتيجية.

تعاملت المنظمات في هذه الحقبة مع الأفراد العاملين كونهم أكثر موارد المنظمة حرجاً وتقلباً وتغيراً وصعوبة للتنبؤ بسلوكها المستقبلي، فالمورد البشري هو العقل المدبر والقوة التي يمكن من خلالها استغلال جميع الموارد المادية، المالية والمعلوماتية المتوفرة في المنظمة، فضلاً عن كون العاملين في المنظمات يمثلون مصادر للميزة التنافسية وتحقيق الأرباح .

- القرن الحادي والعشرين – آيديولوجيا الألفية الثالثة

لقد زخر القرن الحادي والعشرون بتحديات عديدة واجهتها منظمات الأعمال وامتدت آثارها بصورة شاملة على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، إن هذه التحديات وغيرها التي فرضتها خصائص وسمات هذا القرن، كالعولمة وشدة المنافسة والتطور النوعي الشامل وغيرها من الأمور الأخرى، أثرت بما لا يقبل مجالا للشك على طبيعة عمل إدارة الموارد البشرية، ويمكن إيجاز هذه التحديات بالأتي :- Mathis & Jackson, (2010, P20)

- العولمة Globalization: أن الاتجاه نحو العولمة اوجد تحديات ومسؤوليات جديدة لكل من المنظمة ولإدارة الموارد البشرية. فقد اكتشفت المنظمات انه لكي تنمو وتزدهر فإنها يجب أن تنافس بقوة في الأسواق الخارجية في نفس الوقت الذي يفرض عليها حماية أسواقها الداخلية بقوة من محاولات غزو المنتجين الأجانب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لابد أن تضمن إدارة الموارد البشرية أن العاملين لديهم المزيج المعقول من المعارف والخبرات والمهارات والقدرة على التكيف الثقافي من اجل القيام بالمهام الدولية المطلوبة منهم على خير وجه.
- اقتصاد المعرفة Knowledge Economy: بدأً لابد من التأكيد على أن وظيفة إدارة الموارد البشرية هي في الأساس تتعامل "بالمعرفة" وهذا يعني أن عليها توظيف وإدماج المعرفة في عملياتها بحيث تنعكس على تصميم الأعمال وتقنيات الأداء التي يكلف بها العاملين، وهنا لابد من ذكر أن المعرفة ومعالم المجتمع المعرفي Knowledge Society بدأت تتضح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حيث بدا الإفراد بالتوجه إلى إنتاج وتبادل قدر كبير من المعرفة الملتصقة مع بعضها البعض Congealed Knowledge وقدر قليل من الموارد المادية.
- التقدم التكنولوجي Technology advancement: في العقود القليلة التي سبقت الألفية الثالثة لم يكن في المنظمات جهاز فاكس Fax، ولا جهاز خلوي Cellular phone، ولا حتى حاسوب شخصي computer

- وكذلك الحال بالنسبة للبريد الالكتروني E-mail والشبكات العنكبوتية . إلا أن ثورة تكنولوجيا الاتصالات ، جعلت من هذه الأجهزة ضرورة أساسية لكل أنواع المنظمات. و هذا ما انعكس بشكل واضح في إدارة الموارد البشرية ، من خلال بحثها عن الموارد البشرية الكفوءة لانجاز المهام المناطة بها، وقد بدا هذا واضحاً من خلال عمليات الاستقطاب والاختيار، وعمليات التدريب والتطوير، وإمكانية الاتصال بالعاملين، ولامركزية أماكن العمل، وتغير متطلبات مهارات العمل، وما يترتب عليها من التزامات قانونية لكل من المنظمات والأفراد .

الأمر الذي أدى بالضرورة إلى إعادة النظر بصورة شمولية بمسلمات أيديولوجيات المدارس التقليدية والسلوكية على حد سواء، فالأفراد العاملين أو الموارد البشرية لم تعد كذلك في منظمات الألفية الثالثة التي تحولت إلى منظمات رقمية Digital في تعاملاتها اليومية وعلى جميع الأصعدة اللوجستية و الإنتاجية والتسويقية، وعليه فإن عصراً جديداً من إدارة الموارد البشرية قد بدأ هو عصر إدارة المواهب Talent management .

- إدارة المواهب:

بدأت هذه المرحلة مع بداية القرن الحادي والعشرين وهي مستمرة إلى يومنا هذا، تجسدت في هذه المرحلة ايديولوجيا جديدة في منظمات الأعمال المهيمنة على سوق المنافسة العالمية (Hatum,2010.p:20). هذه المنظمات لا تتعامل مع المورد البشري التقليدي بل مع المورد المميز من ذوي المواهب النادرة الذين يمثلون شريك أعمال بالنسبة للمنظمات من خلال ما يمتلكونه من خبرات وقدرات عقلية فريدة غيرت مجرى الحياة بالكامل وقفزت بالتقدم التكنولوجي قفزات واسعة، مثال لهذه القدرات هو ثورة الاتصالات و النانو تكنولوجي.

وظهر مصطلح الموهبة (Talent) في بيئة إدارة الأعمال المعاصرة وتحديداً في بيئة إدارة الموارد البشرية نتيجة للمنافسة الشرسة بين العديد من المنظمات والشركات العالمية، والتي أجبرتها المنافسة قصراً على البحث والتطوير في برامجها واليات عملها ووظائفها، وأصبحت الموهبة (Talent) من المواضيع الساخنة في إدارة الموارد البشرية، وأثارت اهتمام الكثير من الكتاب حول هذا المفهوم، وقدمت مجموعة Mckinsey الاستشارية عام 1997 صياغة لمصطلح (الحرب من أجل المواهب The War for Talents ، لإعادة التفكير في الإجراءات التي تتخذها المنظمات لاستقطاب الإفراد الموهوبين ولاحتفاظ بهم (Dam, 2006,P3).

نشأت إدارة الموهبة بصورة مختلفة عن الإدارة التقليدية للموارد البشرية وذلك من خلال إدخال المعرفة الجديدة أكثر من كونها أعادة تعبئة للتقنيات والأفكار القديمة وصياغتها بعناوين جديدة فقط ولذلك فان إدارة الموهبة لا

يجب أن تعد على أنها معرفة قديمة بصياغة جديدة. ولا زالت تمثل صراعا بين المهتمين بالموارد البشرية لتعزيز مصداقيتهم ومواقفهم وشرعيتهم داخل المنظمات .(Xin & David , 2008.p:901).

الشكل (3) أدناه يوضح مراحل تطور وظيفة إدارة الموارد البشرية وممارساتها في المنظمات حتى وصلت إلى مرحلة (إدارة الموهبة) .

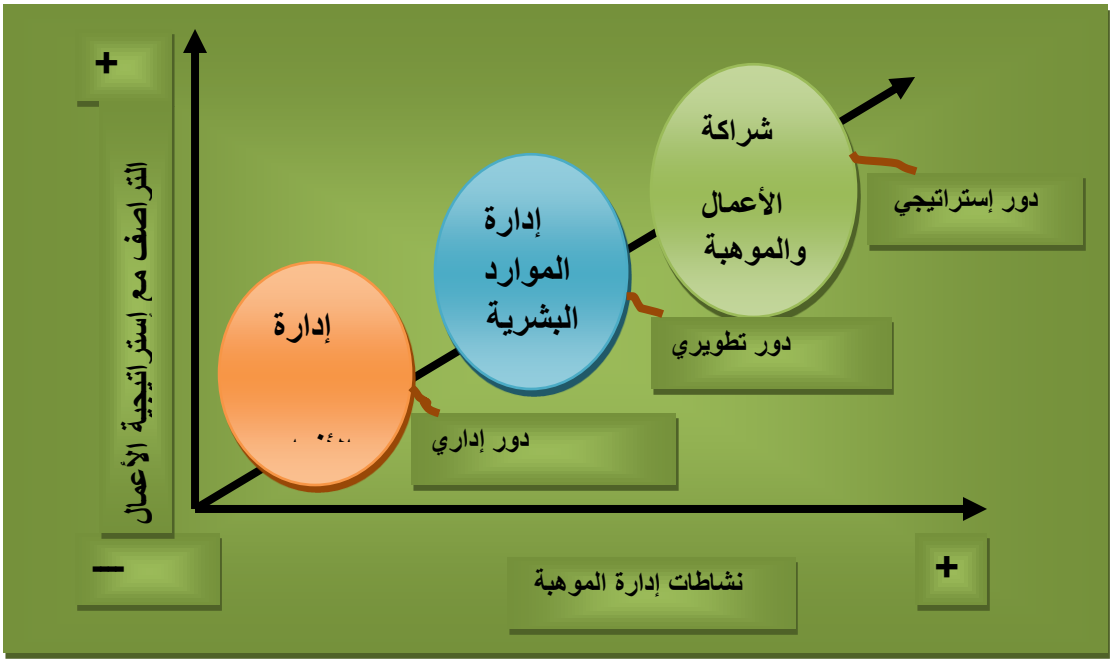

Source: Hatum, Andres, 2010, "Next Generation Talent Management – Talent Management to Survive Turmoil", Palgrave Macmillan, St Martin's Press, New York, P:20.

الاستنتاجات:

- مثلت المدارس الكلاسيكية (العلمية، البيروقراطية والتقسيمات الإدارية) بمختلف أفكارها وأساليبها توجهاً إيديولوجيا موحداً ركز بالشكل الأساس على أهمية إنجاز أهداف المنظمات بأعلى فاعلية وكفاءة من خلال الاستغلال الأمثل لوسائل الإنتاج.
- ما ورد من أفكار في مدارس الفكر الإداري الكلاسيكي مثل إيديولوجيا رسمت ملامح مرحلة تأريخية في عالمنا إيديولوجيا غضت النظر عن طبيعة الفرد العامل بوصفه كائن بشري يمتلك من الأحاسيس والمشاعر و الاحتياجات التي تجعل منه مختلفاً عن عناصر الإنتاج المادية الأخرى مثل المكائن والمعدات والمواد.
- كان لابد من انقلاب أيديولوجي على مستوى النظرية والتطبيق في علم الإدارة. انقلاب يأخذ بالاعتبار ضرورة الاهتمام بالمورد الأهم المورد الذي يقع على عاتقه تفعيل الموارد الأخرى المادية والمالية والمعرفية من أجل تحقيق أهداف المنظمات بأقصى درجات الفاعلية والكفاءة ذلك هو المورد البشري.
- هدفت إيديولوجيا العلاقات الإنسانية في ظاهرها إلى بناء وحدة اجتماعية متفاعلة داخل المنظمة، إلا أن الانسجام الحاصل بين الموظفين وإدارتهم سينعكس بالنتيجة على زيادة الإنتاجية وهو الغاية التي تطمح المنظمة تحقيقها.
- في السنوات الأخيرة من القرن العشرين وما أعقبها تحولت البيئة التنظيمية والتنافسية للمنظمات إلى بيئة عدائية بشكل كبير جداً على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الديموغرافية تمخضت عنها مجموعة من التحديات التي عصفت بأفكارها و إيديولوجياتها التقليدية مما دعا إدارات المنظمات أن تأخذ بالاعتبار إعادة النظر في توجهاتها نحو الأفراد العاملين وأساليب التعامل معهم .
- رسمت كل من (العولمة واقتصاد المعرفة والتقدم التكنولوجي) ملامح الألفية الثالثة بشكل واضح جداً، الأمر الذي دعا المنظمات لإعادة النظر فيما يتعلق بالتعامل مع الموارد البشرية ونوعها وأساليب استقطابها والحفاظ عليها، مما أسس لآيديولوجيا تختلف جذرياً عما جاءت به مدارس الفكر الإداري الكلاسيكية والسلوكية.

المصادر:

1- السالم، مؤيد سعيد، وصالح، عادل حرحوش، (2000)، *إدارة الموارد البشرية*، دار الكتب، بغداد - العراق.
2- القحطاني، محمد بن دليم، (2008) ، *إدارة الموارد البشرية (نحو منهج متكامل)*، دار العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية.
3- الهيتي، خالد عبد الرحيم مطر، (2005)، *إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي متكامل*، الطبعة الثانية، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
4- Anthony, William P., Kacmar, K. Michelle & Perrewe, Pamela L., (1999), *Human Resources Management: Strategic Approach*, 3th ed, Harcurt Brace & Co, USA.
5- Bersin, J., (2006), *Talent Management What is it? Why now?*, Sinclair Consulting Inc, Morristown, NJ, USA.
6- Dam V., (2006), *Innovative Talent Management Strategies,* Human Resource Planning, Vol.(14), No.(1).
7- Denisi, S., & Griffin, W, (2001), *Human Resources Management*, Houghton Miffin Company, Boston, New York, USA.
8- Dessler., Gary., (2000), *Human Resource Management*, 8th ed, Prentice Haily.
9- Hatum, Andres, 2010, "Next Generation Talent Management – Talent Management to Survive Turmoil", Palgrave Macmillan, St Martin's Press, New York, P:20.
10- Hitt, Charles W L, McShane, Steven L,(2007) 'Principles of Management', McGraw Hill Education, Special Indian Edition,
11- Kondalkar. V.G, (2007), *Organizational Behaviour*, New Age International (P) Ltd., Publishers.
12- Harold Koontz, Heinz Weihrich, 'Essential of Management', Tata Mcgraw Hill, 13th edition, 2001
13- Liu, y., combs ,j ., Ketchen ,D ., & Ireland ,R .(2007) The value of human resource management for organization Performance , business horizon 50,503 – 511.
14- Mohammed H Manhal.(2011) Controlling and performance appraisal (curriculum for 4th classes in business administration depts. Iraqi universities), Sayyab book company 2nd ed – London –UK.

15- Mayo, E. (1933). The Human Problems of an Industrial Civilization. New York: Macmillan.

16- Mathis, Robert L. & Jackson, John H.,(2010), *Human Resource Management,* 13th ed., South-Western, USA.

17- Michaels E., Jones H. and Axelrod B., (2001), *The war for talent*, Harvard Business Press, Boston - USA.

18- Parsons, T., ed. (1947). Max Weber, The Theory of Social and Economic Organizations. New York: Free Press.

19- Randal, S., Schuler, Susan E. Jackson, (1981), *Human Resource Management*, Piscataway, NJ, USA.

20- Robbins, Stephen P., & Mary Coulter, (2012), *Management*, Pearson education, Inc, 11th ed, New Jersey, USA.

21- Robert L. et al., (1997), *Human Resource Management*, 8th ed, West Publishing Co, USA.

22- Wren, C. (2005). The History of Management Thought, Fifth Edition. Hoboken, NJ: John Wiley and Sons, Inc.

23- Xin & David, (2008), *Talent Management in hospitality graduate career success and strategies*, International Journal Contemporary hospitality management Vol.(20), No.(7).

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية ISSN:2707-8183
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

وصايا موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وإرشاداته التعليمية

أ.د. صباح إبراهيم الشيخلي
كلية المأمون الجامعة/ قسم التاريخ

المستخلص

لا ريب في ان الحديث عن التعليم في تراثنا الاسلامي ذو عمق تاريخي، حيث وجه جملة من علمائنا الاجلاء إهتمامهم الى الكتابة عن التربية والتعليم إبتداءاً من القرن 3 هـ / 9 م على اقل تقدير، يدفعهم الى ذلك إدراكهم لأهمية هذا الحقل من حقول العلم.

ولأنني أذهب بل وأدرك أن الاهتمام بتراثنا العلمي أصبح الان ضرورة لازمة من أجل إعادة بناء العملية التعليمية في مجتمعاتنا الحاضرة؛ سمحت لنفسي أن أختار أحد علماء القرن 7 هـ / 13 م، وهو الطبيب والمفكر والتدريسي عبد اللطيف البغدادي، صاحب النتاج العلمي المتنوع والمميز للتعرف على وصاياه وإرشاداته التعليمية التي نادى بها وأكد عليها.

وفي مسعانا نحو الاهتمام بتراثنا التعليمي من خلال ما وصلنا من وصايا الطبيب البغدادي وإرشاداته، عملنا على التعريف بسيرته العلمية ثم وجهنا إهتمامنا الى تدوين وصاياه وإرشاداته التي قدمها الى طلاب العلم، و ما وضَح فيها من طرق واساليب الوصول الى احسن تحصيل في حقول العلم. كما عَرفنا بمتابعة الطبيب البغدادي لطالب العلم بعد ان قطع أشواط بعيدة في التعلم، واصبح عالماً وتدريسياً ومؤلفاً.

لقد جاءت وصايا الطبيب البغدادي وإرشاداته، فضلا عن أمثاله ممن ساروا على نهجه، ذات قيمة علمية كبيرة، وإن معرفتها والاخذ بها قد تُمكننا من الوصول الى ما نصبوا الى تحقيقه في مجال العملية التعليمية في الوقت الحاضر.

Abstract

There is no doubt that talking about education in our Islamic heritage has a historical depth. Where many of our eminent scientists directed their attention to writing about education and science, starting from the beginnings of 3rd A.H. / 9th A.D. century, motivated by their awareness of the importance of this field of science.

For this purpose, our scientific paper will focus and even realize that interest in our scientific heritage has now become a necessity in order to rebuild the educational process in our present societies; I allowed myself to choose one of the scientists of the 7th A.H. / 13th A.D. century. This scientist has known to be the physician, the thinker, and the teacher, known as Abd Al-Latif Al-Baghdadi. The author of a varied and distinctive scientific output to learn about his recommendations and educational guidelines that he called and affirmed.

In our endeavor to pay attention to our educational heritage through what we received from the recommendations and instructions of this scientific physician "Al-Baghdadi", we have put a lot of efforts to introduce his scientific biography. Then, we directed our attention to record his recommendations and instructions that he presented to the scientific students, and the best clarification methods and routes to reach for the highest achievement in the fields of science. We were also defined to follow Al-Baghdadi's physician in his path for consuming knowledge after he pass away several steps in learning, and became a scientist, teacher and author.

The recommendations and instructions of this physician Al-Baghdadi's has been demonstrated and followed by others who liked him and his approaches. The knowledge and adaptation with all these are of great scientific value to enable us to reach what we aim to achieve in the field of the educational process at the present time.

توطئة:

ان الحديث عن التعليم في تراثنا العربي الإسلامي نشأة وتطوراً طويل جداً، ولم يبخل علماؤنا الأجلاء عن الكتابة في هذا الموضوع (أمثال سحنون، والقابسي، ابن سينا، ابن حزم، نصير الدين الطوسي، ابن جماعة، ابن خلدون)، وان كتاباتهم فيه كانت قد استمدت مقوماتها مما أقرته عقيدة الإسلام في موضوع التعليم، وما كان العرب المسلمون قد طبقوه وجربوه بأنفسهم مستفيدين من الأثر الحضاري التعليمي عند الأمم والشعوب الأخرى التي وصل تراثها إلى أيديهم فقرأوه واستفادوا مما فيه بشكل لا يتقاطع مع مبادئ دينهم الحنيف. ونحن هنا نذهب إلى أن الاهتمام بدراسة تراث الأمة وقيمها في مجال التعليم ضرورة مهمة، من أجل بناء العملية التعليمية في بلدنا وتطويرها.

ولذا وجدنا من النافع والمفيد أن نقدم أنموذجاً يحتوي على إرشادات ووصايا تعليمية لأحد المفكرين العرب المسلمين، ومن شيوخ القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد وهو عبد اللطيف البغدادي، الذي نبغ في مجالات معرفية عدة جعلت أسمه ونتاجه باقياً يستطيع ان يغترف منه الباحثون. ونسعى من وراء ذلك إلى توجيه الاهتمام لتراثنا التعليمي والاقتداء بما ذهب إليه هذا المفكر (وأمثاله)، من أجل الوصول إلى ما نطمح له من تنشأة أجيال مفكرة وعارفة كيف يجب أن تَدرس وتُدرس العلوم وكيف يستمر الإنتاج في حقوله المتنوعة وصولاً إلى الإبداع والابتكار، بخاصة ونحن نرى في التاريخ عبر ودروس تساعد على بناء حاضر ومستقبل نظم التعليم.

التعريف بعبد اللطيف البغدادي:

هو موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف بن علي بن أبي سعد، البغدادي المولد، الموصلي الأصل، ويعرف بابن اللباد[1]. ومن حسن الحظ أن هذا المفكر البغدادي لم يتعبنا في التفتيش عن سيرته الذاتية، فقد دونها بخط يده، ونقلها وحفظها لنا ابن أبي أصيبعة، المعاصر له، والذي تربطه به أواصر صلة وصداقة، فقد كان صديقاً لجد ابن أبي أصيبعة، وشيخاً لابيه وعمه[2].

وجاءت هذه السيرة تفصيلية تحوي معلومات عن أصله وتعليمه وشيوخه، وعن مسيرته العلمية دراسة وتدريساً وتأليفاً، فضلاً عن وصايا وإرشادات تعليمية، ارتأى الشيخ عبد اللطيف البغدادي ضرورة إتباعها من قبل أهل العلم للوصول إلى ما يطمح إليه كل طالب مجد نجيب. من أجل ذلك جعلنا هذه السيرة مصدرنا الأساس في تحبير هذه الورقة.

ولد الشيخ عبد اللطيف البغدادي في بغداد، وبدار جده في درب الفالوذج سنة 557هـ/1161م[3]، ونشأ في كنف أسرة علمية ودينية وجهته إلى التعلم والدرس فأنكب منذ فترة مبكرة من حياته على ذلك وحتى وفاته تعلماً

وتعليماً وتأليفاً. كانت بداياته مع العلم أن حفظ القرآن الكريم ودرس الشعر والأدب، وشيئاً من الفقه والنحو. ثم التحق بمسجد الظفرية يدرس مع الوجيه الواسطي، ويسجل لنا عبد اللطيف البغدادي بشيء من التفصيل فيما درسه مع الواسطي، ثم من بعده مع الشيخ كمال الدين الانباري (أحد شيوخ المدرسة المستنصرية) وكيف أنه كان يواظب على السهر والحفظ والفهم لمعارف وعلوم شتى، لا ينفك يسمع ويتعلم من شيوخ بغداد البارزين[4]، كما لا ننسى أن نشير أنه، وبتشجيع والده التحق بمجالس الحديث في بغداد في صباه، وأخذ الإجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر[5].

وفي سنة 585هـ/1189م، رحل الشيخ البغدادي عن بغداد بعد ان شعر أنه اكتفى مما أخذه من علمائها ومن مدارسها الفكرية، وأن لديه اشكالات علمية أخرى عليه ان يجد لها الحلول، فكانت رحلته إلى الموصل أولاً ومن أجل المزيد من التعمق العلمي التقى بشيوخها المشهورين، كما أصبح محاضراً في مدارسها (مدرسة المهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها)[6]، وبعد مرور سنة غادر الموصل إلى دمشق.

وفي دمشق أكمل مسيرته التعليمية والعلمية من خلال الالتقاء بشيوخها وتلاميذها، ثم سافر إلى القدس وبعدها إلى مصر ليتعرف على بعض علمائها[7] ويسجل لنا الشيخ البغدادي عن نشاطه في القاهرة قائلاً انه كان يدرس في الجامع الأزهر "من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون، وفي الليل اشتغل مع نفسي"[8]. هكذا كان شيخنا البغدادي جاداً منهمكاً في تدريس العلم ودراسته فنهاره وليله يعلم الطلبة ويزيد من معرفته ما أمكنه.

استمر الشيخ عبد اللطيف برحلاته العلمية، ولم يثنه شيئاً عنها، فقد حط رحاله في دمشق مرة أخرى "وانكب على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع"[9] عاد بعدها إلى القاهرة لأمد، ثم رجع إلى دمشق وانتمى إلى المدرسة العزيزية سنة 604هـ/1208م "وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافاً من العلوم"[10]، وشرع يصنف كتباً كثيرة في صناعة الطب التي تميز بها في دمشق، بعد ان كانت شهرته قبل ذلك بعلم النحو[11]. أقام بدمشق مدة ثم رحل إلى حلب ومنها إلى بلاد الروم، ومما لاشك فيه ان مثل هذه الرحلات العلمية زادت من آفاق فكره وعلمه وانتفع بها طلبة العلم في أيامه.

عاد الشيخ البغدادي سنة 620هـ/1223م إلى حلب ليعمل بالتدريس والتأليف في صناعة الطب، ويسمع الحديث ويقرأ العربية فهو "دائم الاشتغال، ملازم للكتابة والتصانيف"[12]، والتي كان يبعث بها إلى من يطلبها من طلبة العلم ومنهم ابن أبي أصيبعة[13]. وهكذا نفع علم هذا الشيخ الداني والقاصي فكان، كما نذهب إلى أنه الأستاذ المعطي والباحث الجاد المنتج.

وأخيراً عزم عبد اللطيف البغدادي على أداء فريضة الحج وجعل طريقه عبر بغداد، وما أن وصلها حتى مرض فكانت وفاته فيها ودفن في بلده وبلد آبائه وأجداده بعد رحلة علمية طويلة دامت خمساً وأربعين عاماً، وكان وفاته في 12 محرم سنة 629هـ/1231م[14].

أن سيرة هذا العالم الجليل في رحلته العلمية إلى مراكز العلم والمعرفة، وممارسته للتدريس في مدارسها لعلوم متنوعة، وانكبابه على مزيد من الدراسة والبحث، يضاف إلى ذلك تجبيره لعدد كبير من المؤلفات والمصنفات والتي أحصاها ابن أبي أصيبعة في القائمة التي سجلها فكان 160 مؤلفاً في علم الحديث وعلوم الدين الأخرى والنحو وعلوم اللغة الأخرى والتاريخ والفلسفة والطب والحساب والنبات والحيوان والكيمياء وغيرها[15]. كل هذا النشاط وهذه التجارب والخبرات مكنت هذا الرجل أن يكون فلسفة فكرية في ميادين عدة.

وصايا وإرشادات تعليمية وتربوية:

سجل الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي بخط يده وصايا وإرشادات تعليمية وتربوية هي حصيلة حياته وتجاربه العلمية والتعليمية الحافلة بالجد والنشاط والإنتاج، ونقل لنا ابن أبي أصيبعة المعاصر له وأحد تلاميذه شذرات منها، يوجهها إلى الطالبين والمشتغلين في حقول العلوم والمعارف إدراكاً منه لضرورتها وفائدتها في المسيرة التعليمية وهي:

1- أوصى الشيخ عبد اللطيف البغدادي الطالب والراغب في تحصيل العلم بعدم الاكتفاء بقراءة الكتب والمصنفات، وان لا يوهم نفسه ان قدرات تجعله يصل إلى الفهم المطلوب في العلم[16]، بل عليه ان يستخدم وسائل أخرى هي:

أ- يقول لطالب العلم أن عليه الاستعانة "بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه"[17]. وهنا يستدرك الشيخ البغدادي ذاكراً بأن الطالب أن لم يعثر على الأستاذ المتميز الذي يرنو إليه، فعليه الإفادة من الأستاذ الذي هو أقل خبرة، يأخذ منه حتى يعثر على شيخ أكمل علماً. وهذا توجه للطالب بالإفادة من كل أستاذ قل أو كثر علمه بشيء ينفعه ويفيده.

ب- استخدام المشاهدة والمشافهة والاستقصاء الدقيق، بل والرحلة في طلب العلم، وهي وسائل استخدمها الشيخ البغدادي بنفسه، فقد كان كثير الترحال، كما أسلفنا، يهتم بالمشاهدة ولقاء شيوخ العلم وأساتذته ومتاقشتهم ومناظرتهم من أجل الحصول على مزيد من العلوم والمعارف وتعميق ما عنده منها وحل إشكالات تدور بخاطره تخص علم أو علوم معينة، فكيف بعد ذلك كله لا ينصح الطالب باستخدام هذه الوسائل ويرشده إليها.

2- وضح الشيخ البغدادي لطالب العلم طرق وأساليب الوصول إلى أحسن تحصيل في حقول العلم وهي:

أ- دعوة طالب العلم إلى المثابرة في العمل والمواظبة على الدرس والبحث مذكراً إياها بأمور عدة:

- "إذا قرأت كتاباً فأحرص على أن تستظهره وتمتلك معناه"[18].
- "إذا كنت منكباً على دراسة كتاب وتفهمه فأياك أن تشتغل بآخر معه"[19].
- يحذر الشيخ البغدادي طالب العلم من التوقف عن الدراسة والبحث والتفكير، لأن ذلك يؤدي إلى الترهل والركود الفكري قائلاً: "ولا تظن أنك إذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج إلى مراعاته لينمو ولا ينقص" موضحاً سبل المراعاة قائلاً: "تكون بالمذاكرة والتفكير واشتغال المبتديء بالتلفظ والتعليم ومباحثة الأقران"[21]، وهذه وسائل واجبة على طالب العلم الاستعانة بها دائماً وأبداً.
- يؤكد شيخنا على طالب العلم (وكان إنسان) أن يقرأ التاريخ، فهو يطلعه على سير الأمم وتجاربها، فيكتسب معارفها ويميز بين خيرها وشرها ولا ينسى أن يذكره بمعرفة سيرة الرسول (ﷺ) والاقتداء بها واتباع أقواله وأفعاله في كل مفاصل حياته العلمية[23].

3- يدعو المفكر عبد اللطيف البغدادي طلبة العلم إلى العمل الجاد، وهو عنده على ما يبدو، الأساس الأهم في التعلم، فمن نصائحه وتوصياته في هذا المجال نجد الآتي:

- الدقة بالعمل، بأن يجعل مبدأ الشك فيما يقرأ ويكتب، ويشجع الطالب على عرض خواطره وأفكاره على العلماء للاستشارة، كما يستعين بمؤلفاتهم ومصنفاتهم للاستيضاح[24].
- على طالب العلم الترفع عن الإعجاب والغرور بنفسه لأن هذا يؤدي به إلى الزلل والتعثر في تحصيله العلمي.
- وللحصول على الكفاءة العلمية المنشودة يُذكّر الطالب بأن "من لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس"[27].
- ويوجه شيخنا إرشادات تؤكد على العمل المضني في الحصول على العلم منها:"من لم يتحمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم" و"لم يكدح لم يفلح" وان يجعل العلم والتقوى زاده في الآخرة[27].

4- يناشد الشيخ البغدادي المشتغلين في طلب العلم إلى السعي والبحث بنزاهة وموضوعية، والترفع عن الجري وراء المطالب الدنيوية والمآرب المادية وفي هذا قال:

"أني لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم، بل هو الذي يعرض عنها، لأن همته مصروفة إلى العلم فلا يبقى له التفات إلى الدنيا، والدنيا إنما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فإذا غفل عن أسبابها لم تأته، وأيضاً فأن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة، والمكاسب الدنيوية وعن أصناف التجارات، وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقف على أبوابهم"[28].

5- واستمر الشيخ البغدادي بمتابعة طالب العلم، بعد أن قطع أشواطه في التعلم، وأصبح عالماً يدرس ويؤلف، يرشده ويوجهه، فقد ذكره بأمور عدة منها:

- قوله: "إذا تصديت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم، فأن كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره، فأن استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كن يستعين بلغة في لغة أخرى إذ علمها أو جهل بعضها"[29]. ان هذه النصيحة التي سجلها عبد اللطيف البغدادي لم تكن إلا من خلال تجربته العميقة في التدريس، وهو على ما نرى يذهب إلى ضرورة اهتمام الأستاذ بالتخصص وعدم خلطه في تخصص آخر أثناء عملية التدريس والتأليف، لأن الحصيلة سوف لن تكون متكاملة ولا بالمستوى المطلوب وقد يضيع هذا العالم التدريسي بين أكثر من علم.
- وفي رأي الشيخ البغدادي:

ان "جميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ وحذف فيها، وصرف الزمان إليها. والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك، إنما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب، وتطلبه من غير أن يطلبها طلب مثلها... ولكن إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب، وجاءته الدنيا صاغرة، وأخذها وماء وجهه موفوراً، وعرضه ودينه مصون"[30]. هذا هو العالم الحق على ما نرى.

ويذكر العالم والتدريسي وبشدة قائلاً: "واعلم أن للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه، ونوراً وضياء يشوق عليه، ويدل عليه، كتاجر المسك لا يخفي مكانه، ولا تجهل بصناعته، وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم، والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان، لا يجد الا من يميل إليه، ويؤثر قربه ويأنس به، ويرتاح بمداناته"[31]، وهكذا قول نابع عن تجربة بالتأكيد.

6- يقدم الشيخ عبد اللطيف البغدادي إرشادات ووصايا تخص أدب المحاضرة والمناظرة للعالم التدريسي جاء فيها:

- يدعو المشتغل بالتدريس والدراسة اعتماد أسلوب الجدل والمناقشة قائلاً: "أجعل كلامك جدلاً، واجب من حيث تعقل ولا من حيث تعتاد وتألف"[32]، وهو بهذا يشير إلى الطريقة الأهم في مجال التعليم والتعلم.
- ان يكون كلام المشتغل بالعلم "وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن فيه الغاز تام، وإبهام كثيراً أو قليل..."[33].

- يحذر بشدة من الكلام فيما لا يعني، أو السكوت في محل الحاجة، بل يطلب من المحاضر والمناظر ان يجعل كلامه "سرداً بسكون، بحيث يستشعر منك ان وراءه أكثر منه، وانه عن خميرة سابقة، ونظر متقدم"[34].
- كما يدعو إلى تجنب "الغلظة في الخطاب والجفاء في المناظرة "لأنها تفقد حلاوة الكلام، تثير ضغائن السامعين عليه، واستثقالهم لكلامه[35]. وهذا، على ما نذهب، من آداب التدريسي في محاضرته ومناظرته الواجبة.

وان يكون التدريس فيما يطرحه من كلام بالشكل الآتي:

"لا ترفع بحث تستثقل، ولا تتنازل بحدث تستخس وتستحقر"[36].

- ومن شروط التدريس الناجح، برأي الشيخ البغدادي، ان يستعين في محاضرته بذكر آيات قرآنية كريمة وأشعار وحكم نادرة وأمثال، وهذا كله يدلل على ثقافة وعلم التدريسي.
- ومن وصايا البغدادي للمتصدي للتدريس أن يكون على جانب كبير من الخلق العالي فيتجنب الغلظة والغضب وتجاوز الحدود فيه[37].

وهكذا نجد فيما دونه المفكر والتدريسي والمؤلف الجليل موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، وصايا وإرشادات ونصائح لأهل العلم وطالبيه ثمينة وكبيرة في تراثنا الإسلامي، وغيرها الكثير مما حبّره علماؤنا ومفكرونا. ان هذا الشيخ البغدادي الذي قضى حياته البالغة 62 سنة، بالدرس والتدريس والتأليف، أدرك قيمة العلم والمشتغلين فيه، كيف لا وهو القائل "ان العالم محبوب أينما كان وكيفما كان"، و"ان العلم موجود دائماً ينتقل من صقع إلى آخر". لقد نال هذا الرجل التربوي اهتمام الكُتّاب من عرب وأجانب من الأقدمين والمحدثين يشيدون بعلم وآرائه وأفكاره يدرسونها ويفندونها[38]. فما أحرانا نحن اليوم ان نقرأ ما دونه هذا المفكر ونتفحص ما أرشدنا إليه ونصح به طلبة العلم وشيوخه علّنا نستطيع ان نصل إلى ما نطمح إليه في العملية التعليمية في جامعاتنا من أجل بناء وتطوير القدرات الفكرية والعلمية لابنائنا الطلبة. رحم الله المفكر الجليل موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وجعل ما حبره من علم ومعرفة في ميزان حسناته إنشاء الله.

الهوامش

(1) ينظر: ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت668هـ/1282م)، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965)، ص683-696؛ وينظر أيضاً: ابن نقطه، أبو بكر محمد بن عبد الغني (ت629هـ/1231م)، التقيد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، (حيدر آباد، الدكن، 1984)، ج2، ص157؛ ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن محمد (ت637هـ/1239م)، المختصر المحتاج إليه، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، 1977)، ج3، ص65-66؛ ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود (ت643هـ/1245م)، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: قيصر أبو فرح دي فل، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1971)، ج19، ص173-174؛ القفطي، جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ/1248م)، أنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1952)، ج2، ص192-196؛ وسن إبراهيم حسين محمود الجبوري، عبد اللطيف البغدادي دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، (جامعة بغداد، 2002م)، ص29-30 دونت الباحثة قائمة مطولة بالمصادر والمراجع التي ترجمت لعبد اللطيف البغدادي.

(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص683.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه، ص683-684.

(5) المصدر نفسه، ص683.

(6) المصدر نفسه، ص686.

(7) المصدر نفسه، ص687.

(8) المصدر نفسه، ص689.

(9) المصدر نفسه، ص688.

(10) المصدر نفسه، ص689.

(11) المصدر نفسه.

(12) المصدر نفسه، ص690.

(13) المصدر نفسه.

(14) المصدر نفسه، ص691؛ ينظر عن وفاته: ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق (ت723هـ/1323م) تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (دمشق، المطبعة الهاشمية، 1962)، ج4، ص274؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، تذكرة الحفاظ، (حيدر آباد، الدكن، 1958م)، ج4، 1414.

(15) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص693-696.

(16) المصدر نفسه، ص691.

(17) المصدر نفسه، ص698.

(18) المصدر نفسه، ص691.

(19) المصدر نفسه.

(20) المصدر نفسه.

(21) المصدر نفسه.

(22) المصدر نفسه.

(23) المصدر نفسه، ص691-692.

(24) المصدر نفسه، ص692.

(25) المصدر نفسه.

(26) المصدر نفسه.

(27) المصدر نفسه.

(28) المصدر نفسه.

(29) المصدر نفسه، ص691.

(30) المصدر نفسه، ص692.

(31) المصدر نفسه.

(32) المصدر نفسه، ص693.

(33) المصدر نفسه.

(34) المصدر نفسه.

(35) المصدر نفسه.

(36) المصدر نفسه.

(37) المصدر نفسه.

(38) ينظر: السبكي، تاج الدين بن تقي الدين (ت711هـ/1311م)، طبقات الشافعية الكبرى، (بيروت، دار المعرفة، لا.ت)، م5، ص132؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد الدين العمري، (بيروت، دار الفكر، 1997)، ج16، ص226-246؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، 1974م)، م2، ص385-387؛ حسين علي الداقوقي، "موفق الدين البغدادي وملامح من آرائه التربوية"، مجلة المعلم الجديد، الجزء الثالث، المجلد الثالث والأربعون، تشرين الأول، 1986، ص30-36؛

S.M. Stern, "Abd Al-Latif Al- Baghdady", The Encyclopedia of Islam, New Edition, (Leiden, Brill, 1986), Vol.I. P.74.

ISSN:2707-8183 المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

رؤيتا الكويت وقطر لمصادر تهديد وأمن الخليج العربي

1971-1991م

الباحث حسين مسعود محمد العجمي

الملخص

إن منطقة الخليج العربي كانت وما تزال إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في العالم، وأنها تستحوذ على اهتمام الكثير من الأطراف الإقليمية والدولية، وتتزايد أهمية منطقة الخليج العربي مع تزايد أهمية النفط كسلعة استراتيجية بالنسبة إلى الاقتصاد العالمي.

ومن وجهة نظر الكويت وقطر تتعدد المصادر التي تهدد أمن منطقة الخليج العربي ودولهن وذلك بحكم موقعها الجغرافي، مواردها الاقتصادية. المنطقة بأكملها في محل أطماع وتنافس القوى الإقليمية والعالمية الكبرى، ويمكن القول أن أمن المنطقة يرتبط بمنطقة التوازنات الإقليمية والعالمية.

Abstract

The Arab Gulf region has been one of the most important strategic regions in the world attracting the attention of many regional and international parties. The significance of the Arab Gulf region increasingly rises up with the importance of oil as a strategic product for the global economy.

From the point of view of Kuwait and Qatar, there are many sources that threaten the security of the Arab Gulf region and their countries, due to their geographical location and economic resources. The entire region is subject to the ambitions and competition of the major regional and global powers. It can be said that the security of the region is strongly related to the issue of regional and global balances.

أولاً: أهمية منطقة الخليج العربي:

تعد منطقة الخليج العربي إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في العالم؛ إذ أنها تمثل موقعًا استراتيجيًا متوسطًا بين الشرق والغرب، وتشكل منطقة التقاء لطرق المواصلات بين آسيا وأفريقيا، وتؤلف الحدود الشرقية للوطن العربي. كما أنها تمتلك مجموعة من الجزر التي مثلت وما تزال تمثّل بؤرًا للتنافس والصراع الإقليمي والدولي على حده. وبالتالي، فإن أهمية الخليج الاستراتيجية تكمن أيضًا في ربط القواعد الجوية الممتدة من جنوب شرق آسيا، مع القواعد الجوية الأمريكية والأوروبية في جنوب أوروبا الغربية. إن منطقة الخليج العربي كانت وما تزال إحدى أهم المناطق الاستراتيجية في العالم، وأنها تستحوذ على اهتمام الكثير من الأطراف الإقليمية والدولية، وتتزايد أهمية منطقة الخليج العربي مع تزايد أهمية النفط كسلعة استراتيجية بالنسبة إلى الاقتصاد العالمي[1].

في ضوء تلك الأهمية، فإن أي محاولة إقليمية لتأثير في إمدادات النفط إلى الخارج، أو في عوائده بالنسبة إلى الدول المنتجة، تتم مواجهتها بالقوة. وكان المثال الواضح على ذلك هو الموقف الدولي تجاه الغزو العراقي للكويت عام 1990م، إذ يعدّ أحد مظاهر الاهتمام الدولي بأمن منطقة الخليج العربي، التي شهدت مقترحات أمنية منذ الانسحاب البريطاني منها عام 1971م، وحتى عام 1990م، بيد أن تلك المقترحات لم تؤد إلى استقرار تلك المنطقة[2].

ولا شك أن الأسباب الحقيقية للتوترات في منطقة الخليج العربي، عديدة ولا يمكن حصرها، وهي متداخلة أشد التداخل. ولا يمكن الإلمام بهذه التوترات وبأسبابها خارج السياق التاريخي المعاصر للنظام الإقليمي الخليجي. هذا التاريخ يمتد عبر أكثر من عقدين من الزمن مليء باللحظات والتحولات الفاصلة كالانسحاب البريطاني من المنطقة عام 1971م، والإرث الاستعماري الفاعل حتى الآن، والارتفاع المفاجئ في أسعار النفط عام 1973م، والثروة النفطية الهائلة في المنطقة، والاهتمام الدولي المتنامي بالنفط والاحتياطات النفطية لدول الخليج[3]، وبروز الشاه

---

[1] Buzan, Barry and Ole Weaver, Regions and Powers: The Structure of International Security, Cambridge Unvisited Press, Cambridge, 2004, pp 42-62.

كشك، أشرف محمد، "البعد الدولي في علاقات دول مجلس التعاون الخليجي"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ع160، (تموز/ يوليو 2006م)، ص120-146.

[2] كشك، أشرف محمد عبد الصمد، تطور الأمن الإقليمي الخليجي منذ عام 2003م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012م، ص111.

Katzman, Kenneth, The Persian Gulf states: Issues For U.S. Policy, The Library of Congress, New York pp18-66.

[3] الرمحي، محمد، النفط والعلاقات الدولية: وجهة نظر عربية، سلسلة عالم المعرفة (52)، الكويت، 1982م، ص35-52؛ هيكل، محمد حسنين، حرب الخليج، مركز الأهرام، القاهرة، 1992م، ص177-250.

كقوة إقليمية مهيمنة ثم سقوط الشاه المفاجئ، واندلاع الثورة الإسلامية في إيران في أواخر عام 1978م، وقيام الجمهورية الإسلامية فيها عام 1979م، التي أخذت تهدد النظم الحاكمة في الخليج العربي، وتهدد بتصدير الثورة إلى الدول المجاورة، وإلى العالم بأسرة، ثم الحرب العراقية – الإيرانية التي امتدت لأكثر من ثمانية أعوام، والغزو العراقي للكويت عام 1990م وتداعياته[1].

كل هذه الأحداث والتطورات تشكل فيما بينها الخلفية التاريخية التي أثرت تأثيرًا في أمن واستقرار الخليج العربي، وفي خيارات وأولوياته وسياساته ومساراته خلال الحقبة منذ الانسحاب البريطاني من المنطقة عام 1971م، وحتى تحرير الكويت من قبل التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية عام 1991م. إن أحداث وتحولات هذه الحقبة جعلت النظام الإقليمي الخليجي مهمة وصعبة، كما جعلتها متوترة وغير مستقرة وهشة أمنيًا[2].

كان قضية أمن الخليج واحدًا من القضايا السياسية الأساسية التي برزت بإلحاح شديد على أثر الانسحاب البريطاني عام 1971م والذي كان يمثل الحماية للنظام الإقليمي الخليجي. والقضية الثانية التي برزت فتتعلق بقدرة الدول النفطية الخليجية الصغيرة على الاستمرار كدول مستقلة وقادرة بإمكاناتها المتواضعة على تحمل مسؤولياتها بحماية أمنها، والدول النفطية الصغيرة التي حصلت على استقلالها عام 1971م، كانت غير مستعدة على حماية أمنها. فلم تكن لهذه الدول الخبرة والتجربة السابقة في التعامل مع الأخطار الخارجية المحدقة بها[3].

---

(1) Aamazani, R. K, The Persian Gulf: Iran's Role Charlottesville, VA: University Press Virginia, Virginia, 1972, pp59-62;

Matthews, Ken, The Gulf Conflict and International Aerations, Rutledge, London, 1993, pp29-86;

سيشار إليه لاحقًا: Matthews, Ken, The Gulf Conflict

Ramazani, R.K, "Who Started The Iran-Iraq War?: A Commentary" Virginia Journal of International Law 33, No.1 (Spring 1993) pp 69-89.

(2) Matthews, Ken, The Gulf Conflict, pp94-99; Baktiari, Bahman "Revolutionary Iran's Persian Gulf Policy: The Quest for Hegmony". In Iran and the Arab World, ed Hooshing Amirahmadi and Nader Entessar. Martin's Press, New York, 1992, pp 69-93;

وانظر: عبد الفضيل، محمود، النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية، عالم المعرفة رقم (16)، الكويت، 1982م، ص24-61.

(3) النعيمي، عبد الرحمن محمد، الصراع على الخليج، المركز العربي الجديد للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص102-118؛ عبدالله، عبدالخالق، "الولايات المتحدة ومعضلة الأمن في الخليج"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد (299)، (كانون الثاني- يناير 2004م)، ص86-110.

قبل عام 1973م لم تكن الدول الخليجية تتمتع بالأهمية الاستراتيجية القصوى، ولم تستأثر بالاهتمام المباشر للمجتمع الدولي. وبعد عام 1973م، دخلت الدول الخليجية مرحلة تاريخية جديدة وبقدرات وإمكانات متطورة نتيجة لتدفق الثروة النفطية ازدادت الأهمية الدولية للخليج العربي من أي وقت آخر[1]. لقد أضفت القرارات النفطية التي اتخذتها الدول الخليجية عام 1973م والتي شملت القرارات التاريخية بفرض المقاطعة على الدول الصناعية المساندة للعدو الإسرائيلي كالولايات المتحدة الأمريكية، والقرار الخاص برفع أسعار النفط الخام بنسبة (500%) أهمية دولية غير عادية على منطقة الخليج العربي. هذه القرارات أحدثت ارتجاجات واسعة شملت اقتصاديات كل دول العالم. منذ هذه اللحظة التاريخية أصبحت منطقة الخليج مركز الثقل العالمي النفطي. وقد جاءت الأحداث لتؤكد بشكل غير مسبوق أن بإمكان مجموعة من الدول الصغيرة والتابعة أن تتحكم في لحظة من اللحظات التاريخية في القرار الاقتصادي العالمي بأسرة وتؤثر في اقتصاديات أكثر الدول قوة وهيمنة[2].

إن عدم الاستقرار في النظام الخليجي أدى إلى ظهور العديد من النزاعات والحروب في المنطقة خلال العقدين الممتدين من 1971-1991م، ويمكن حصرها في الجدول الآتي:

جدول رقم (1) اللحظة الفاصلة في التاريخ المعاصر للنظام الإقليمي الخليجي[3]

السنة	الحدث	التداعيات

(1) سركيس، نقولا، "البترول والتنمية الاقتصادية في البلدان العربية: تجربة الماضي وآفاق المستقبل"، منشور في كتاب التحديات الاقتصادية للعالم العربي في مواجهة التكتلات الدولية، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس، 1995م، ص230-245؛ بهجت، جودة، وجوهر، حسين، "عوامل السلام والاستقرار في منطقة الخليج في التسعينيات: إرهاصات الداخل وضغوط الخارج، مجلة المستقبل العربي، بيروت، م211، ع9، 1996م، ص35-49؛ إدريس، محمد السعيد، "دور الأمن والتعاون العسكري في تطور مجلس التعاون الخليجي ككيان إقليمي"، مجلة المستقبل، بيروت، م215، العدد (1)، 1997م، ص39-57؛ هيكل، محمد حسنين، حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، مركز الأهرام، القاهرة، 1992م، ص561-594.

(2) الوثائق الفلسطينية لعام 1973م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1976م، ص395-399؛ مقبل، فهمي توفيق، دور خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في دعم القضية الفلسطينية ونصرتها، جامعة الملك فيصل، الإحساء، (د.ت)، ص50-58؛ السنواني، أميرة محمد، سلاح البترول وآثاره على أزمة الشرق الأوسط، رسالة دكتوراة في العلوم السياسية غير منشورة، كلية الاقتصاد، قسم العلوم السياسي، جامعة القاهرة، 1982م، ص40-194؛ أبو طالب، حسن "السعودية والصراع العربي – الإسرائيلي: السعودية والتوظيف السياسي للنفط العربي 1970-1973م"، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، بيروت، العدد (30)، تشرين أول- أكتوبر 1989م، ص175-181.

(3) آل رشيد، حمد بن محمد، السياسة الخارجية السعودية والأمن في منطقة الخليج العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسة والإعلام، 2012م، ص153.

1971م	الانسحاب البريطاني من الخليج	– فراغ أمني وبروز قضية أمن الخليج. – تزايد الدور الإيراني في الخليج.
1973م	زيادة أسعار النفط	– زيادة أسعار النفط في الأسواق العالمية. – تدفق الثروة النفطية في الخليج وتراكم عائدات النفط وزيادة الأهمية الاستراتيجية للخليج العربي.
1979م	سقوط نظام الشام في إيران	– سقوط نظام الشاه في إيران. – قيام الجمهورية الإسلامية.
1980م	اندلاع الحرب العراقية – الإيرانية	– زيادة الوجود العسكري الأجنبي في مياه الخليج. – تهديد النفط وانهيار أسعار النفط في منتصف الثمانينات وبروز العراق كقوة إقليمية.
1982م	قيام مجلس التعاون لدول الخليجي العربية	– بروز التكتل يضم دول الخليج العربي. – اتهام إيران لمجلس التعاون الخليجي أنه موجه ضدها.
1987م	حرب الناقلات في الخليج	– زيادة الأهمية الاستراتيجية للخليج وزيادة حدة التوتر في المنطقة وتهديد تجارة النفط.
1990م	غزو العراق للكويت	– أول وجود عسكري أمريكي وأجنبي على الأراضي الخليجية لأغراض عسكرية.
1991م	تحرير الكويت من قبل المجتمع الدولي	– هزيمة العراق ووضعه تحت الحصار. – تطبيق سياسة تبني استراتيجية الاحتواء المزدوج من قبل إدارة بيل كلنتون. – وأزمات مالية وصعوبات حياتية ومعيشية.

المصدر: عبدالله، عبد الخالق، النظام الإقليمي الخليجي، ص159.

والخليج العربي من الناحية الجغرافية هو عبارة عن ذراع مائي ممتد من المحيط الهندي اليابسة، يفصل بين إيران وشبه الجزيرة العربية. ويبلغ طول الخليج العربي من مدخله عند مضيق هرمز وحتى مدخل شط العرب، حوالي (1000كم)، ويبلغ أقصى عرض له (350 م)، في حين يتراوح أقصى عمق حوالي (100) مترًا، في الجزء الجنوبي

من الخليج و (40 مترًا) في شماله. وشكل الخليج العربي أقرب إلى البحيرة المغلقة والراكدة فيما عد منفذ بحري واحد بعرض (40 كم) وهو مضيق هرمز، الذي يربطه بالعالم الخارجي، والذي يعد اليوم معبر مائي في العالم حيث يعبر من خلال يوميًا أكثر من (140) سفينة نفطية عملاقة؛ أي بمعدل سفينة واحدة كل (15) دقيقة[1].

وتبلغ المساحة الإجمالية للخليج العربي من العراق شمالًا وحتى الكويت جنوبًا، (22.250.000م^2) وتتفاوت الدول المطلة على هذا الذراع من حيث امتداد سواحلها، حيث إيران أطول السواحل على هذا الخليج حيث يبلغ طولها (1200 كم)؛ أي ما يعادل (36%) من إجمالي طول سواحل الخليج العربي، وتأتي بعد ذلك الإمارات العربية المتحدة بساحل يبلغ طوله نحو (800 كم)، أي ما يعادل (24%) من إجمالي السواحل، ويأتي بالمرتبة الثالثة المملكة العربية السعودية بساحل يبلغ طوله على الخليج العربي (550 كم)، أي ما يعادل (16%) من إجمالي طول السواحل، ويليها دولة قطر بساحل طوله (380 كم)؛ وبشكل ما نسبته (11%) من إجمالي سواحل الخليج، ثم يأتي بعدها دولة الكويت في ساحل يبلغ طوله (200 كم)، أي ما يعادل (6%) من إجمالي طول السواحل، ثم البحرين (130 كم) أي ما يعادل (4%)، من المجموع الإجمالي أما سلطنة عُمان فإن سواحلها الأساسية هي خارج الخليج العربي ويزيد طول الساحل العُماني المطل على مضيق هرمز (90 كم)، أي ما يعادل (2.6%)، ولجمهورية العراق ساحل قصير لا يتجاوز طوله (15 كم)، أي ما يعادل (0.4%) فقط[2].

وتبلغ المساحة الإجمالية للدول الثمانية المكونة للنظام الإقليمي الخليجي (4.5) مليون كم^2، وتعد السعودية أكبر دول النظام الإقليمي الخليجي من حيث المساحة والتي تبلغ نحو (2.24) مليون كم^2؛ أي ما يعادل (49%) من إجمالي من المساحة الإجمالية، وتليها إيران بمساحة تبلغ نحو (1.6) مليون كم^2، أي ما تعادل (35%)، وتليها سلطنة عُمان بمساحة تبلغ نحو (305) ألف كم^2، أي ما يعادل (6%) من المساحة الإجمالية، ثم يليها الإمارات والكويت وقطر والبحرين[3].

---

(1) مركز دراسات الخليج العربي، الخليج العربي ومضيف هرمز، ترجمة عبد الصاحب الشيخ، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1984م، ص46-48.

(2) انظر: العظم، صادق جلال، " القضية الفلسطينية دوليًا "، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، العدد (29)، كانون الثاني- يناير 1974م، ص 189-190.

(3) عبد الستار، لبيب، قصة الخليج: تفاعل دائم وصراع مستمر، دار المجاني، بيروت، 1989م، ص6. وانظر: عبدالله، عبد الخالق، النظام الإقليمي الخليجي، مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة، 2006م، ص33.

والجدول الآتي يبين جغرافية النظام الإقليمي الخليجي من حيث الدولة وطول سواحلها ومساحتها.

جدول رقم (2)

الدولة	طول الساحل على الخليج (كم)	نسبة طول الساحل	الترتيب	المساحة/ كم^2	نسبة المساحة %	الترتيب
الإمارات	800	24	2	83 ألف	1.7	5
البحرين	130	4	6	600	0.1	8
العراق	15	0.4	8	450 ألف	10	3
عُمان	80	2.6	7	300 ألف	6	4
الكويت	200	6	5	17 ألف	0.3	6
قطر	350	11	4	11 ألف	0.2	9
السعودية	550	26	3	2.2 مليون	49	1
إيران	1200	36	1	1.6 مليون	35	2
الإجمالي	3365	100		4.66 مليون	100	

المصدر: عبدالله، عبد الخالق، "النظام الإقليمي الخليجي"، مجلة السياسة الدولية، العدد (114)، (تشرين الأول/ أكتوبر 1993م)، ص33؛ إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص126.

ثانيًا: رؤية الكويت وقطر في مصادر تهديد أمن الخليج العربي:

مصادر تهديد الأمن في منطقة الخليج العربي طبقًا لرؤيتين الكويتية والقطرية كثيرة ومتنوعة، وهي التهديدات التي تتعرض لها مصادر الطاقة (النفط ومشتقاته والغاز الطبيعي)، في منطقة الخليج العربي ابتداءً من التهديدات الإقليمية والمتمثلة في إيران والعراق وإسرائيل وانتهاءً بالتهديدات الدولية والمتمثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وأوروبا الغربية. وتعكس هذه التهديدات مدى أهمية الطاقة بالنسبة لهذه الدول، وتعد هذه المنطقة من أهم المناطق الحيوية بالنسبة إلى مصالحها في الحصول على إمدادات نفطية تلبي احتياجات أسواقها[1].

(1) Michacl Klare, " Bush – Cheney Energy Strategy: Procuring the Rest of the World;s Oil ", Foreign Policy in Focus (January 2004), http://www.nogw.com/download/2005bc_energy_weal_edpdf>.

ويمكن تحديد مصادر تهديد منطقة الخليج العربي من وجهة نظر الكويت وقطر على النحو الآتي:

1- التهديد الإيراني:

تعد إيران أكبر دولة في منطقة الخليج العربي، مما يعد عاملًا مهمًا في تحديد تجاه المستقبل لمسار العلاقات الإيرانية – العربية في الخليج، وإيران هي الدولة الوحيدة غير العربية في منطقة الخليج، وعقب قيام الثورة الإيرانية نصبت الحكومة الإيرانية الجديدة في إيران نفسها حكمًا لتقييم سياسات دول الخليج العربية. ومارست إيران سياسة نشطه لزعزعة استقرار دول الخليج العربية. كما شككت إيران مرارًا بالشرعية الإسلامية لدول الخليج، مستهدفة على وجه الخصوص الأسر الحاكمة. وفي بداية الثورة، منيت محاولات إيران لتصدير الثورة إلى دول الخليج العربية، بالفشل. ومع ذلك استمرت السياسة الإيرانية في انتقاد سياسات قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وممارساتهم. وتواصل الحكومة الإيرانية تأكيد زعامتها في جميع أنحاء العالم الإسلامي عمومًا، وضمن منطقة الخليج العربي تحديدًا، فيما يواصل قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومن بينهم قادة الكويت وقطر، رفض مزاعم إيران بأنها تملك شرعية إسلامية تتخطى حدود الدول[1].

وقد استخدمت إيران تفوقها العسكري على كل دول الخليج العربية لتأكيد على موقعها كقوة إقليمية متفوقة في منطقة الخليج واستخدام قوتها العسكرية للضغط على دول الخليج العربية المجاورة لها، بزيادة حصة إيران النفطية[2].

وتتمتع إيران بموقع استراتيجي مجاور للمنطقة العربية من جهة الشرق، وتشترك في سبع دول عربية في حدود بحرية، هي: السعودية، وعُمان، والإمارات العربية المتحدة، ودولة قطر، ودولة الكويت، والبحرين، والعراق، وقد جعلت طبيعة التجاور الجغرافي بين إيران والمنطقة العربية التواصل بين ضفتي الخليج العربي، والمنطقة عمومًا،

وعن أهمية منطقة الخليج الحيوية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، انظر خطابات الرئيس الأمريكي جورج بوش، في: جريدة النهار، بيروت، تاريخ 1990/8/8م؛ جريدة النهار، بيروت، 1990/8/9م؛ جريدة النهار، بيروت، تاريخ 1990/10/15م، جريدة النهار، بيروت، 1990/10/16م، جريدة النهار، بيروت، تاريخ 1990/11/3م؛ جريدة النهار، بيروت، تاريخ 1990/11/27م.

(1) قرقاش، أنور، "إيران ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ودولة الإمارات العربية المتحدة: الاحتمالات والتحديات في العقد القادم"، ص220.

(2) السويدي، جمال سند، "المأزق الأمني في الخليج"، دول الخليج العربية، والولايات المتحدة الأمريكية وإيران، في: إيران والخليج العربي: البحث عن الاستقرار، ص82.

حقيقة ثابتة لا يمكن تجاوزها، ولا الحد من نتائجها التي تكونت عبر الأزمنة، وتقع إيران في غرب آسيا وتطل إيران بجبهة بحرية على ساحل الخليج العربي بطول (2043) كم[1].

ويعد موضوع أمن الخليج العربي من الموضوعات المهمة بالنسبة لإيران، وقد طرح مفهوم أمن الخليج العربي بالنسبة لإيران بعد الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج، وكان ذلك في 11 تشرين الثاني- نوفمبر1972م، عندما صرح الشاه محمد رضا بلهوي أن أمن إيران يتسع إلى خارج حدودها، وأكد بأنه يتجاوز الخليج العربي ليصل إلى المحيط الهندي[2].

وفي مقابلة لشاه الإيراني مع مجلة نيوزويك الأمريكية صرح الشاه في عام 1973م، أن إيران تبحث عن الأمن الجماعي في الخليج وتعد منذ سنوات عديدة مع الدول العربية، التي أبدت عدم حماسها للتعاون مع إيران في حلف جماعي لدول الخليج[3].

وقد قدمت إيران عدة رؤى لم تنال ثقة واستحسان دول الخليج العربية؛ لسياستها الرامية إلى بسط هيمنتها عن طريق المخططات الأمنية، لتلعب دورًا أكبر في الخليج العربي لفرض نفوذها على دوله الصغيرة، ومن أهم المشاريع التي قدمتها إيران عام 1975م والذي تضمن المبادئ الآتية[4]:

1. العمل على إنشاء حلف عسكري للدفاع عن الخليج العربي يضم جميع الدول المطلة على الخليج العربي تحت مسميات مختلفة، مثل: (منظمة الدفاع الإقليمية)، أو (الحزام الأمني الخليجي) و (الحلف الخليجي).
2. العمل على إخلاء المنطقة من الأحلاف والقواعد العسكرية.
3. العمل على حماية أمن واستقرار الأعضاء في الحلف وحماية الحدود بينها.

---

(1) أوركاد، برنار، جغرافية إيران السياسية، ترجمة فاطمة عليا، منشورات أرمان كولين، طرابلس، لبنان، 2012م، ص246؛ وانظر: الشيباني، عدنان كاظم، وعبد الحسين، حميده، الأهمية الاستراتيجية لموقع إيران الجغرافي: دراسة في الجغرافيا السياسية، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بغداد، 2013م، ص 12-23.

(2) رمضاني، روح الله، سياسة إيران الخارجية 1941-1973م، ترجمة علي حسين فياض، وعبد المجيد حمدي، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، 1984م، ص447-449.

(3) مهنا، محمد نصر، دليل الخليج العربي: دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف، الإسكندرية 1998م، ص471.

(4) الموسوي، عماد جاسم، العلاقات البحرينية الخليجية، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2017م، ص214؛ العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص388-389؛ الكبيس، عناد فواز، "إيران عصا الإمبريالية في منطقة الخليج العربي"، مجلة الخليج العربي، الكويت، العدد (1)، 1988م، ص 69-71.

وأعلن رئيس الوزراء الإيراني في 25 حزيران- يونيو 1976م، أن إيران تدعو إلى إقامة حلف دفاعي بمنطقة الخليج ضد الأخطار الأجنبية وتعرض نفسها قوة عسكرية[1].

وأكد الشاه محمد رضا بلهوي في مقابلة صحفية أجرتها معه جريدة السياسة الكويتية بتاريخ 9 تشرين الثاني- نوفمبر 1977م، أنه يجب أن يكون هناك إجماع للدول المطلة على الخليج العربي لحماية أمنها من الأخطار الأجنبية[2].

ولذلك ترى الكويت وقطر أن إيران تتحرك فعليًا لتحل مكان بريطانيا، لتنفيذ أحلامها التوسعية في إقامة إمبراطورية فارسية في الخليج العربي، وتعد الكويت وقطر إيران مصدر من مصادر تهديد أمن الخليج العربي، وبخاصة بعد قيام الثورة الإيرانية عام 1979م، فزادت من نفوذها في الخليج العربي عند طريق ما سمي بمحاولات تصدير الثورة، والتي ساهمت إلى حد ما في عدم الاستقرار في منطقة الخليج العربي، وترتدي رداء مذهبي وإيديولوجي يمثل هو ومؤسسات سياسية داخل المؤسسة الدينية الحاكمة، وقد ازداد التوتر في العلاقات الإيرانية الخليجية بعد الثورة. ولذا فمن نتائج الثورة الإيرانية قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية في 26 أيار- مايو 1981م، ونظرت إيران نظرة سلبية إلى هذا المجلس واعتبرته موجهًا ضدها، كما قدمت إيران كل وسائل الدعم والمساندة للقوة الأصولية في دول مجلس التعاون الخليجي، وفي عام 1984م هدد هاشمي رفسنجاني بأن إيران ستحتل الجزر الكويتية الاستراتيجية الثلاث: وربا، وبوبيان، وفيلكه[3].

ويمكن القول أن السياسة الإيرانية تجاه منطقة الخليج العربي تمثلت أبرز ملامحها في الآتي[4]:

1. الأطماع في بعض المناطق والجزر الاستراتيجية في دول الخليج، وبخاصة بعد احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث وسعيها لاحتلال الجزر الكويتية الثلاث الآنفة الذكر، وذلك من أجل تحقيق نظرية الأمن الاستراتيجية الإيراني.
2. الرغبة في تصدير مفاهيم الثورة الإسلامية إلى دول الخليج.
3. الرغبة أن يكون لها الدور المتعاظم في منطقة الخليج العربي وتهميش دور دول مجلس التعاون الخليجي.

---

(1) الموسوي، العلاقات البحرينية الخليجية، ص 214.

(2) جريدة السياسة، الكويت، تاريخ 1977/11/10م.

(3) انظر: عطية، ممدوح حامد، وآخرون، البرنامج النووي الإيراني وأمن الخليج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م، ص 33-42.

(4) تركي، محمد طلعت، "الرؤية الإيرانية لأمن الخليج في ظل المتغيرات العالمية الجديدة"، مجلة شؤون خليجية، يصدرها مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، العدد (37)، (ربيع الثاني 2004م)، ص 100-106.

4. تأكيد استقلاليتها عن الولايات المتحدة الأمريكية، وإشعار الدول الخليجية بأنها القوة الإقليمية الوحيدة في المنطقة.
5. إصرار على أسلوب القوة والتهديد بدلًا من سلوك طريق القانون.
6. التأكيد على أن أمن الخليج العربي مسؤولية دوله وعلى رأسها إيران.

نلحظ مما تقدم أن إيران تركز على إبراز أهمية دورها في الترتيبات الأمنية في منطقة الخليج مدعيها أنها أصلح الأطراف الداعية للأمن الإقليمي، وقد استفادت من تجربتها الطويلة من حربها مع العراق ومساندة حرب تحرير الكويت عام 1991م.

وساهمت إيران في زعزعة أمن الخليج العربي عن طريق أذرعها المسلحة في منطقة الخليج العربي، لزعزعة الاستقرار بشكل خطير في كثير من دول الخليج العربي وبخاصة السعودية والكويت، ومنها المحاولة الفاشلة للإطاحة بالحكم في البحرين عام 1981م، والتفجيرات المتتالية التي وقعت في الكويت بالثمانينيات من القرن العشرين، ففي 24 شباط- فبراير 1981م قام ذراع إيران حزب الله الكويتي بمحاولة فاشلة لخطف طائرة كويتية في بيروت، وقام ذراع إيران (حزب الله اللبناني) بزرع مجموعة من العبوات الناسفة استهدفت مطار الكويت الدولي ومحطة الكهرباء الرئيسية ومجمعًا صناعيًا نفطيًا، أسفرت عن مقتل (7) أشخاص وجرح (62) جريحًا جميعهم من المدنيين.

وفي 4 كانون الأول/ ديسمبر 1984م اختطفت مجموعة شيعية مسلحة على علاقة بحزب الله الكويتي طائرة تابعة للخطوط الجوية الكويتية في أثناء رحلتها بين الكويت وكرادشي وأجبرت على الهبوط في مطار مهرباد في إيران، وشاركت إيران مع حزب الدعوة العراقي في 25 أيار- مايو 1985م بعملية اغتيال فاشلة استهدفت أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح، ردًا على وقوف الكويت بجانب العراق في حربها مع إيران، ونفذت أذرع إيران بالكويت سلسلة تفجيرات عام 1989م، والمشاكل المستمرة في موسم الحج[1].

2- التهديد العراقي:

يفوق قدرات الكويت للتهديدات العراقية قدرات البلدان الخليجية الخمسة الأخرى، سواء بالنسبة إلى تجربة الغزو أم إلى معطيات القرب الجغرافي، فالتهديد العراقي أخف وطأة بالنسبة إلى قطر منه بالنسبة إلى

---

(1) جار الله، عادل، الأذرع المسلحة الإيرانية في المنطقة العربية، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، 2018م، ص147-150؛ قرقاش، أنور، " إيران ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ودولة الإمارات العربية المتحدة: الاحتمالات والتحديات في العقد القادم"، في السويدي، جمال سند (محرر)، إيران والخليج البحث عن الاستقرار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2014م، ص203.

الكويت[1]. ففي حزيران- يوليو عام 1961م هددت الحكومة العراقية بغزو الكويت وضمها، وفي 20 آذار- مارس 1973م احتلت قوة عراقية مركز شرطة الصامتة الكويتي على الحدود بين البلدين، لكن الموقف تم تداركه سريعًا وفي 2 آب- أغسطس 1990م قامت العراق بغزو الكويت، وغزو العراق للكويت كان بلا شك أشد الأزمات بينهما[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن جميع الصراعات التي خاضها العراق مع الكويت، أحد أطراف النظام الإقليمي الخليجي، نجد أن الحسابات الجيوبوليتيكية كانت أحد دوافع تلك الصراعات؛ حيث لا يُطل العراق على أي منفذ بحري على الخليج. ومن ثم، فإن طرق التصدير المهمة بالنسبة إلى العراق تخضع لسيطرة أطراف كان للعراق صراعات ممتدة معها، ومنها إيران التي ستظل الجانب الأقوى في مواجهة أي نظام عراقي تكون لديه طموحات انتقامية قد تبرز إلى الوجود مستقبلًا[3].

ولم تقتصر أهداف العراق ضمن تلك الإدعاءات لم تقتصر على حقل الرميلة النفطي الواقع بين الحدود العراقية – الكويتية، بل عكست أيضًا رغبة العراق في توسيع نطاق خطة الساحلي الضيق المطل على الخليج من أجل مد نطاق الملاحة البحرية[4].

ويتضح من دراسة موقع العراق الجغرافي أنه يعاني مشكلة جيوبوليتكية؛ فهو لا يتمتع بسواحل ممتدة على بحار مهمة، بل يعد مثلثًا قاعدته في المنطقة الكردية الشمالية، ورأسه مقلوب، وأضيق نقاطه تقع على الخليج الذي يمثل أهم المنافذ وأكثرها حيوية بالنسبة إليه. وبالتالي، يكاد العراق يكون قطرًا بريًا مغلقًا أو حبيسًا، وهو ما يُعتبر مثارًا للنزاع مستقبلي أكيد مع الكويت، في الوقت الذي ما يزال بعض أفراد النخبة العراقية أسرى فكرة مؤداها أن الكويت بمنافذها البحرية قد تم استقطاعها من العراق في فترات تاريخية سابقة[5].

---

(1) فرج الله، سمعان بطرس، "الرؤية الكويتية لأمن الخليج"، المشاط، عبد المنعم، ((محرر))، أمن الخليج العربي: دراسة في الإدراك والسياسات، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1994م، ص81.

(2) لمزيد من المعلومات انظر: سالم، الأمن الجماعي، ص 148-213.

H. Rahman, The Making of the Gulf War: Origins of Kuwait's Long-standing Territorial Dispute (6) with Iraq (Berkshire, UK: Ithaca Press, 1997, pp281-285.

(3) Rathmell, Andrew. Theodore Karaskik and David Gompert, A New Persian Gulf Security System (Santa Monica: Rand Corporation, 2003).

(4) Jon B, Alterman, " Iraq and The Gulf States: The Balance of Fear, " United Sates Institute of Feace (August 2007), <http://www.foreginpolicy, co,/story/cms,php?story_id=4350.

(5) كشك، تطور الأمن الإقليمي الخليجي، ص 166.

وقد حدد العراق موقفه بشكل واضح من أمن الخليج العربي في خطاب رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر بمناسبة العيد السابع لثورة (17 تموز- يوليو 1975م) على النحو الآتي:

1- ضرورة وضع ضوابط تؤمن حرية الملاحة في الخليج العربي من أعاليه حتى نهاية مضيق هرمز.

2- حرية حركة الأساطيل وفقًا للقواعد المتعارف عليها والمعمول بها. ويتم ذلك على أساس التساوي والتكافؤ في المسؤولية بين كل الأطراف المطلة على الخليج.

3- الابتعاد عن صيغ ومضامين الأحلاف الإقليمية التي تعتبر رفضنا لها مبدًا مركزيًا في سياستنا، وبعيدًا عن التدخلات والمؤثرات الإمبريالية التي نرفضها ونقاومها بحزم[1]. كما أكد رؤية العراق من لأمن الخليج العربي الرئيس العراقي أحمد حسن البكر هذا الموقف بمناسبة العيد الثامن لثورة (17 تموز- يوليو 1976م) على النحو الآتي[2]:

1. ضرورة ضمان حرية الملاحة في الخليج العربي.
2. مصلحة جميع البلدان المحيطة بالخليج والمصالح العالمية المشروعة تتطلب تجنب المشاحنات والأوضاع القلقة في المنطقة.
3. تقوية الضوابط الخاصة بحرية الملاحة والمستندة إلى القوانين والأعراف الدولية الخاصة بذلك عن طريق إصدار إعلان جماعي من كافة البلدان المطلة على الخليج بأن الملاحظة فيه يجب أن تكون حرة لكافة البلدان المطلة عليه ولكل الأطراف الدولية.
4. نعتقد أن أية صيغة أخرى تبتعد عن هذا الإطار وتحاول تعقيد الملاحة بشكل أو بآخر خلافًا للقوانين والأعراف الدولية وتتشابه بهذا الشكل أو ذاك مع صيغة التكتلات والأحلاف الاستعمارية، إنما هي صيغة غير مقبولة لنا إطلاقًا. وأن العراق لا يمكن إلا أن يقف ضدها.

---

(1) جريدة الثورة، بغداد، 1975/7/18م.

(2) جريدة الثورة، بغداد، 1976/7/18م.

3- التهديد الإسرائيلي:

تعد إسرائيل أحد أهم تهديدات الأمن في منطقة الخليج، وكانت إسرائيل تمثل تهديدًا رئيسيًا مباشرًا لعدد من البلدان العربية، وللأمن القومي العربي عمومًا[1].

وتعاملت الكويت وقطر مع إسرائيل كخطر على الأمن القومي العربي في الخليج، خصوصًا في ظل التهديدات الإسرائيلية بالتدخل في الخليج لحماية آبار النفط، ضمن الخطة التي وضعها وزير الدفاع الإسرائيلي أرئيل شارون لتحقيق هذا الهدف، وبخاصة بعد القصف الإسرائيلي للمنشآت النووية العراقية عام 1982م[2].

وإسرائيل لها أطماع تتمثل في السيطرة على آبار النفط والهيمنة الإقليمية[3]، وقد عبر قادة إسرائيل مرات عديدة عن رغبتهم في السيطرة على نفط الخليج العربي، وعن محاولاتهم لغزو الخليج والسيطرة عليهم، ومن أبرز التصريحات الإسرائيلية، قول غولدمايير رئيسة الحكومة الإسرائيلية عام 1973م عندما قالت إننا إن غفرنا لموسى كل شيء فلن نغفر له أنه شاء أن يقودنا إلى هذه المنطقة الغزيرة بالنفط، ليستقر بنا في هذه البقعة الوحيدة من هذه المنطقة التي لا نفط فيها[4].

ومن أشهر المخططات الإسرائيلية لغزو منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط مشروع أرئيل شارون، والتي عارض فيها تفصيلًا لكيفية السيطرة والهيمنة على آبار النفط في الخليج[5].

كما عبرت صحيفة معاريف الواسعة الانتشار في إسرائيل عن تطلعات إسرائيل لسيطرة على حقول النفط في الخليج العربي[6].

---

(1) المشاط، عبدالمنعم، الأمن القومي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، 2008م، ص8-10.

(2) انظر: جريدة الخليج، الشارقة، تاريخ 1983/2/6م.

(3) سعيد، عبد المنعم، العرب ودول الجوار الجغرافي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م، ص96-97.

(4) انظر: كنعاني، سمير، "النفط شريان الحياة في إسرائيل"، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، العدد (32)، (نيسان- أبريل 1974م)، ص 98.

(5) إدريس، محمد السعيد، النظام الإقليمي للخليج العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000م، ص293.

(6) عبد الكريم، إبراهيم، " الخليج العربي في حسابات الصهيونية وإسرائيل"، مجلة التعاون، الرياض، العدد (2)، (نيسان- أبريل 1986م)، ص 20.

وقد قبلت إسرائيل بالعمل لخدمة أهداف أمريكية بالخليج العربي ابتداءً من فكرة احتلال آبار النفط العربية لمنع الدول الخليجية من الإقدام على إجراء حظر نفطي كما حصل عام 1973م، مرورًا بالتسابق الإسرائيلي لدخول في شراكة استراتيجية عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي ريغان[1].

وقد وقعت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ميثاق التعاون الاستراتيجي عام 1981م، لتعزيز فاعلية قوات الانتشار السريع في منطقة الخليج العربي عن طريق الآتي[2]:

1- إقامة مخازن للمعدات والأسلحة الأمريكية في إسرائيل، وصيانتها عن طريق فنيين إسرائيليين.
2- قيام الطائرات العسكرية الإسرائيلية بعملية النقل الجوي للقوات الأمريكية.
3- اشتراك إسرائيل مع الأسطول السادس الأمريكي.

لا تقل خطوة إسرائيل وتهديدها لأمن الخليج العربي عن الولايات المتحدة، لأنها تمثل القاعدة الأمريكية المتقدمة ف الشرق الأوسط، ومما زاد أهمية ذلك هو التحالف الاستراتيجي وخطورته ليس فقد لتهديد أمن دول مجلس التعاون الخليجي، وإنما على الأمن القومي العربي، وهذا هو الأهم بعد توقيع الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل الاتفاقية الإسرائيلية عام 1981م وتجديدها عام 1983م، اعتبرت إسرائيل أمن الخليج العربي من أمنها الوطني في الوقت الذي تنظر إلى دول مجلس التعاون الخليجي على أنه الخط الثاني أو الظهير الخلفي للجبهة الأمامية، وبالتالي جزء من الأمن القومي العربي الذي يشكل خطرًا على الأمن الإسرائيلي[3].

أعطت الاتفاقية الإسرائيلية مع الولايات المتحدة حرية الحركة واستخدام كل إمكانياتها لحماية المصالح الحيوية في دول مجلس التعاون الخليجي، وأصبحت الشريك الاستراتيجي الأمثل الذي يضمن تعزيز ترتيبات الأمن الأمريكي في المنطقة، ويمكن الاعتماد على إسرائيل على التقليل من مشاكل نقل القوات في الظروف الطارئة، وكذلك يمكن لقوات الجوية الأمريكية استخدام إسرائيل كمحطة لضرب الأهداف المطلوبة في الخليج العربي إذا دعت الحاجة، ولتحقيق ذلك قامت إسرائيل بناء قاعدين "رامون" و "دافدا" في صحراء النقب بمساعدة الولايات المتحدة، إضافة إلى قاعدة بئر السبع المخصصة لاستخدام القوات الأمريكية في حالة التهديد المباشر لمصالحها في المنطقة،

---

(1) ربيع، حامد، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984م، ص386-387.

(2) مقلد، إسماعيل، أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1984م، ص170.

(3) العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص401.

وراجع التهديد الإسرائيلي لأمن الخليج العربي باعتبارها جزء من الاستراتيجية الأمنية المشتركة مع الولايات المتحدة انطلاقًا من عدة مؤشرات من أهمها[1]:

1- حرب حزيران/ يونيو 1967م وتشرين أول/ أكتوبر 1973م واجتياح لبنان 1982م.
2- استخدام نفط العرب كسلاح في المعرفة ضد إسرائيل.
3- مساعدة دول المنطقة ماليًا ومعنويًا وسياسيًا لمنظمة التحرير والفلسطينيين ودول المواجهة العربية.
4- استضافة دول مجلس التعاون الخليجي للأخوة العرب من الفلسطينيين بتوفير الفرص المناسبة للإقامة.

استمرار النزاع العربي – الإسرائيلي يزيد من خطورة أمن الخليج العربي، ليس فقط من جانب الأطماع الإسرائيلي، ولكن من جانب آخر وهو تعقيد العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي، وبين دول الغرب الرأسمالي وخاصة الولايات المتحدة، ويقف حائلًا دون تطويرها، وقد شدد بعض حكام المنطقة في الأحاديث التي جرت مع اللجنة الثلاثية المكون من اليابان وأوروبا والولايات المتحدة، على المسألة بتحذير هؤلاء الزوار من أنه ما لم تتم تسوية هذا النزاع خلال خمس سنوات فإنهم (الحكام المعتدلون) قد لا يكونون بعد ذلك في موقع السلطة[2].

كانت دول مجلس التعاون ترى أن التعاون الأمريكي – الإسرائيلي لا يقل خطورة عن التهديد السوفييتي لاستقرار أمن المنطقة وتهديد لأمن الاستقلال، لأن إسرائيل دولة عدوانية توسعية تهدد الأمن القومي وهي تنفق ميزانية ضخمة لشراء الأسلحة، وفي السنوات القليلة القادمة تواجه مشكلة اقتصادية خطيرة والبعض يطالب بوضع خطة إسرائيلية أمريكية شاملة لغزو حقول النفط في شرق الجزيرة العربية[3].

4- التهديد الأمريكي:

تعود بدايات الأطماع الأمريكية في منطقة الخليج العربي إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تدرك تمام الإدراك أن بريطانيا سوف تنسحب من منطقة الخليج العربي، وأن الأمور ستكون لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، وعن أهمية منطقة الخليج العربي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ففي 15

---

(1) إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص 292-293.
(2) حصو، توفيق، العلاقات الخليجية العربية – الأمريكية، مركز دراسات الخليج العربي، الإمارات، (د.ت)، ص77.
(3) العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص402.

آذار/ مارس 1946م فقد أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية مذكرة بعنوان: السياسة الأمريكية تجاه إمارات الخليج العربي، تضمنت رؤية الولايات المتحدة الأمريكية لهذه المنطقة بالنقاط الآتية[1]:

1. يجب أن ينتج عن مركز بريطانيا في منطقة الخليج أي ضرر بالمصالح الأمريكية.
2. يجب على الحكومة الأمريكية اتخاذ عدة إجراءات من شأنها دعم المصالح الأمريكية في منطقة الخليج.

أ- مبدأ ديفيد إيزنهاور 1957-1969م:

وقد سيطرت فكرة الأحلاف على السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي والشرق الأوسط، فقد تقدم الرئيس الأمريكي ديفيد إيزنهاور (Diright Davied Eisenhower)، بمشروع إلى الكونغرس عُرف بمبدأ إيزنهاور (Eisenhower Doctrine)، في 5 كانون الثاني/ يناير عام 1957م، والذي تضمن المبادئ الآتية[2]:

1. تأمين القوّات المسلحة الأمريكية لحماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للدول التي تطالب المساعدات ضد العدوان المُسلح من أي دولة تهيمن عليها الشيوعية.
2. تقديم المشورات والمساعدات العسكرية لمن يطلبها من دول المنطقة.
3. تقديم المساعدات الاقتصادية لدول الشرق الأوسط، من أجل تنمية اقتصادها.

وعندما أدركت الإدارة الأمريكية استحالة إقناع جميع دول المنطقة مجتمعة بالمبدأ، فحاولت إقناع كل دولة بصورة منفردة، فبدأت بالسعودية، وذلك لمكانتها الدينية في المنطقة، ولأهميتها لأمريكا، بوصفها إحدى الدول المنتجة للنفط في منطقة الخليج العربي، وبعد زيارات متبادلة بين الطرفين، تمكّنت الإدارة الأمريكية من إقناع السعودية بالمشروع، ورغم قبوله من أغلب دول المنطقة، فأنه عُدّ فاشلًا، ولم يحقق غايته إلا قليل[3].

وفي فترة الدراسة من عام 1971-1991م، شهدت الولايات المتحدة الأمريكية حكم خمس رؤساء، وهم:

- ريتشارد نيكسون من عام 1969-1974م.
- جيرالد فورد من عام 1974-1977م.
- جيمي كارتر من عام 1977-1981م.

---

(1) مراد، خليل علي، تطور السياسة الأمريكية في منطقة الخليج العربي 1941-1947م، دار الرافدين، بغداد، 1980م، ص 203.

(2) لمزيد من المعلومات عن هذا المبدأ، انظر: حرب، أسامة الغزالي، الاستراتيجية الأمريكية تجاه الخليج العربي: مصالح ثابتة وسياسة متغيرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1982م، ص180.

(3) شريف، إبراهيم، الشرق الأوسط – دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة 14 تموز/ يوليو 1958م في العراق، وزارة الثقافة، بغداد، 1955م، ص191.

- ورونالد ريغان من عام 1981-1989م.
- جورج بوش من عام 1989-1993م.

وقد أكد جميع الرؤساء الأمريكيين من عهد نيكسون على الالتزام بأمن الخليج العربي وحمايته، وقد شهد عهد هؤلاء الرؤساء اهتمام بمنطقة الخليج العربي، وصدرت عدة مبادئ للسياسة الأمريكية تتعلق بالأمن في منطقة الخليج العربي، منها:

ب- مبدأ الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام 1969-1979م:

أثر إقرار الانسحاب البريطاني من الخليج العربي عام 1968م، على الخارطة السياسية في منطقة الخليج العربي، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية من أولى الدول التي أثرت في تلك الخارطة وفق تطورات سياسية جديدة ليست بعيدة عن مفهوم ملء الفراغ، إذ بدأت الاستراتيجية الأمريكية تظهر وبشكل واضح وقوي في المنطقة، حيث أولى الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون (R. Nixon) ، منذ توليه السلطة في كانون الثاني/ يناير عام 1969م اهتمامًا كبيرًا لموضوع الانسحاب البريطاني والمسائل المتعلقة بالخليج خصوصًا، حيث كلّف هنري كيسنجر (H. Kissinger) ، رئيس مجلس الأمن القومي بدراسة الخيارات الأساسية المتاحة أمام الولايات المتحدة الأمريكية، فقدمت مجموعة من الاقتراحات، أعلن من خلالها الرئيس الأمريكي نيكسون عن سياسة الولايات المتحدة في المرحلة المقبلة وفق مبدئه المعروف بمبدأ نيكسون (Nixon Doctrine)، وأعلن ريتشارد نيكسون هذا المبدأ من جزر غوام (Guam) الأمريكية في المحيط الهادي في شهر تموز/ يوليو 1969م، لذا عرف هذا المبدأ أحيانًا باسم " مبدأ غوام " (Guam Dictrine)، كمبدأ حاكم للسياسة الخارجية الأمريكية، وقد تضمن التصريح الذي أدلى به الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون وحمل أسمه عزم الولايات المتحدة الأمريكية على اتباع سياسة جديدة ترتكز على " دعم الأنظمة المؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية لتأخذ على عاتقها دورًا رئيسًا في قمع المتمردين وتخفيف العبء عن واشنطن، أي المشاركة الإقليمية والحد من الدور الأمريكي المباشر. وهذا يتطلب تزويد الدول الحليفة بدرعٍ واقٍ وتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية المطلوبة"[1].

ولو تستبعد نقاط مبدأ نيكسون التدخل الأمريكي المباشر، بل ذهبت إلى تحديد القوة البحرية والجوية كأداة لمساعدة البلد الحليف إذ فشل في صدّ عدوان خارجي، لكن لن يكون الأمريكيون في الصف الأول قبل اندلاع الصرع. وهذا هو الجديد في مبدأ نيكسون الذي أوجد بدائل عن تدخل الولايات المتحدة بجنود مشاتها، لذا عرف المبدأ أيضًا باسم ثالث هو " استراتيجية البدائل" (Surrogate Strategy). وهكذا تعلمت الولايات المتحدة الأمريكية من حرب فييتنام إلى سياسة أمريكية لإدارة الأزمات في العالم من خلال تدريب وتسليح " درك " إقليميين لخدمة

(1) شكر، زهير، السياسة الأمريكية في الخليج العربي: مبدأ كارتر، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982م، ص57-58.

المصالح الأمريكية. وكان الخليج العربي أول أرض يتم عليها اختبار هذا المبدأ، ففي إيران التي كان الشاه يدين فيها بعرشه للاستخبارات الأمريكية، ويحلم بإعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، نجد أنه كان تفوقًا بالقيام بالدور الذي رسمته إدارة نيكسون للدرك في الخليج العربي عند انسحاب البريطانيين[1].

وقد تزامن إعلان هذا المبدأ بالسياسة الخارجية الأمريكية بإعلان بريطانيا عن انسحابها من الخليج العربي في 30 تشرين الأول/ أكتوبر 1971م، وقد تضمن مبدأ نيكسون ثلاثة بنود رئيسة، هي[2]:

1- إن الولايات المتحدة ستقوم بتنفيذ كافة التزاماتها تجاه حلفائها في أي نقطة من العالم، ولا سيما المناطق الحيوية مثل الخليج العربي.

2- ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الحماية الكافية في حالة وقوع تهديد من قوى ثورية، لأي حليف لها، كما تقوم بتقديم الحماية لأي بلد، يكون أمنه مهمًا وحيويًا، بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية.

3- في حالة وقوع أي نوع من العدوان، ستقوم الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية في حالة طلبها من الدول الملتزمة معها في معاهدات.

فقد ظهرت سياسة الاعتماد في منطقة المؤبّدة للغرب، لا سيّما المملكة العربية السعودية وإيران، وظهور ما يسمّى بنظرية الدعامتين أو الركيزتين (Twin Rillar Policy)، فبدأت الإدارة الأمريكية تعمل على تسليح هاتين الدولتين؛ لكي تصبحا أهم عنصرين لاستقرار منطقة الخليج العربي عند الخروج البريطاني منها[3].

وقد ركز هذا المبدأ على الدعم العسكري الكبير لدولتين الإقليميتين الكبيرتين الحليفتين للولايات المتحدة الأمريكية بالخليج العربي، وهما: إيران والسعودية[4].

وقد استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية العصا والجزرة في منطقة الخليج مع دول الخليج العربي، فقد ورد أول تهديد أمريكي باستخدام القوة لحماية حقول النفط في نيسان- أبريل 1973م، في محاضرة لجيمس إيكنز،

([1]) رمضاني، روح الله، الخليج العربي ومضيق هرمز، ترجمة عبد الصاحب الشيخ، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1984م، ص72-78.

([2]) خطاب، جواد كاظم، مبدأ نيكسون وأثره في منطقة الخليج العربي 1969-1979م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، البصرة، 2007م، ص79؛ برودوين، فرجينيا، وسلدن، (تحرير) مارك، السر المعروف: مبدأ نيكسون وكيسنجر، ترجمة: أحمد طربين، ونصير عاروري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م، ص89-94.

([3]) مرهون، عبد الجليل زيد، أمن الخليج بعد الحرب الباردة، دار النهار للنشر، بيروت، 1997م، ص354.

([4]) إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص313.

Nixon, Richard, The Real War, Sidgwick and Jackson, London, 1980. PP. 89-94.

مدير مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية آنذاك. وفي جلستي لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي 30 و 31 أيار- مايو 1973م، لمناقشة أزمة الطاقة وأثارها على السياسة الخارجية الأمريكية. أبدى بعض الأعضاء انزعاجهم لأن "أحد صغار المسؤولين" أدلى بتصريحات تفيد بوجود مخطط للتدخل المسلح في منابع النفط، وأضيف إلى محضر الجلسة، مقال ظهر في صحيفة دونيفر بوست بتاريخ 29 أيار- مايو 1973م بقلم بيتر ميتزجر يتحدث فيه أيضًا عن وجود خطط للتدخل العسكري في منابع النفط[1].

وأورد كاتب المقال تصريحًا أدلى به إيلمر بنيت، مساعد مدير مكتب الولايات المتحدة للنفط والغاز بوزارة الداخلية الأمريكية في نيسان- أبريل 1973م، قال فيه: " إذا تعاظم اعتمادنا على النفط الخارجي، أو تدهور نفوذنا على السياسة الخارجية والدولية، فإن البديل يحتم إرسال حملة عسكرية للشرق الأوسط يجعل فيتنام تبدو بالمقارنة نزهة[2].

وعندما تولى جيرالد فورد رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، كثرت في عهده العبارات والألفاظ المتسمة بالحدة في تصريحاته الموجهة للبلدان المنتجة للنفط. وفي تصريحات وزير خارجيته هنري كيسنجر، أعلن في أوائل تشرين الأول- أكتوبر 1973م: "وإذا استمرت الضغوط بشكل غير معقول وغير محدود فإن الولايات المتحدة ستفكر جيدًا بما يجب أن تتخذه من إجراءات انتقامية. إننا سنقوم بذلك على مضض وإننا ما زلنا نأمل بأن الأمور لن تصل إلى هذا الحد"[3]. وكان هذا التصريح في أوج حظر النفط العربي أثناء حرب تشرين- أكتوبر 1973م.

وهناك تصريحات أخرى أعلنه فورد مع تهديدات بالتدخل العسكري، أعلنها بعد رفع حظر النفط العربي، عندما ذكر في كانون الثاني- يناير 1975م بصراحة إلى استعمال القوة لحل الخلافات بين الدول الخليجية المنتجة للنفط والولايات المتحدة الأمريكية. وقد أجاب كيسنجر في مقابلة أجرتها معه مجلة الأسبوع التجاري على سؤال فيما إذا كان يفكر بإجراء عسكري بسبب زيادة أسعار النفط وقال: " إنه أسلوب خطر جدًا، تعلمناه من فيتنام، بأن الدخول في الحرب أسهل من الخروج منها، إننا لا نقول أنه ليست هناك ظروف قد لا تستعمل فيها القوة. إلا أن استخدامها في حالة النزاع على الأسعار شيء ووجود اختناق حقيقي للعالم الصناعي شيء آخر"[4].

---

(1) العبيدي، إبراهيم خلف، "خلفيات الغزو العسكري الأمريكي لمنطقة الخليج العربي"، مجلة آفاق عربية، بغداد، سنة 15، العدد (9)، (كانون الأول- ديسمبر 1990م)، ص37.

(2) المرجع السابق نفسه، ص 37. نقلًا عن جريدة دونيفر بوسف، تاريخ 1973/5/29م.

(3) المرجع السابق نفسه، ص37.

(4) المرجع السابق نفسه، ص 37.

ثم دعا هنري كيسنجر يحث الدول الأوروبية الحليفة على إنشاء قوة أوروبية أمريكية لحماية منابع النفط. إلا أن حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية في حلف (الناتو) [1] لم يستجيبوا لمثل هذا المشروع، فلمح بأن أميركا وحدها قد تستخدم القوة ضد الدول العربية الخليجية. مؤكدًا بأنه: " على الرغم من أن أية خطوات عسكرية إقليمية في الخليج ستكون شديدة الخطورة، فأنني لا أستطيع القول بأنه لن تطرأ ظروف في المنطقة تؤدي إلى استعمالنا لقواتنا العسكرية، أي أن واشنطن على استعداد للتدخل عسكريًا ضد منتجي النفط أنفسهم"[2]. وكان المتحدث باسم البيت الأبيض يعلن بعد ذلك أن تصريحات كيسنجر تعبر عن أفكار الرئيس فورد.

أما الرئيس فورد فقد ربط في خطاب ألقاه في المؤتمر الدولي التاسع للطاقة في أيلول- سبتمبر 1974م، بين الزيادات السابقة لأسعار النفط وبين الحرب[3]. وفي حديث خاص لمجلة (تايم) الأمريكية في 10 شباط/ فبراير 1975م، أعلن تأييده لتصريحات كيسنجر، مؤكدًا احتمال التدخل العسكري واحتلال منابع النفط في حالة تعرض إحدى الأمم للاختناق اقتصاديًا[4]. وعاد الرئيس الأمريكي فورد مرة أخرى في مؤتمر صحفي في 20 شباط- فبراير 1975م ليكرر التهديد بالتدخل العسكري لاحتلال منابع النفط[5]، وقد شارك وزير الدفاع الأمريكي آنذاك شليسنجر في تكرار هذه التهديدات بقوله: " إن الخليج بكامله هدف محتمل للتدخل الأمريكي المسلح"[6]. وقد شاركهم في ذلك عدد من المفكرين الاستراتيجيين القريبين من الإدارة الأمريكية، مثل روبرت تيكر الذي حث الولايات المتحدة على احتلال منابع النفط الخليجية بالتعاون مع إسرائيل إذا دعت الضرورة ذلك[7].

وكانت هذه التهديدات الأمريكية بعد قيام الدول المنتجة للنفط في اجتماعها في الكويت في 16 تشرين الأول- أكتوبر 1973م، وهي: السعودية، والكويت، وقطر، والإمارات، والعراق، وإيران، عندما قررت رفع سعر النفط وأيضًا هدفت من هذا الاجتماع تحقيق الهدف الاستراتيجي وكان سلاح النفط هو قوة الضغط على الولايات المتحدة

---

(1) لمزيد من المعلومات انظر: كشك، تطور الأمن الإقليمي الخليجي، ص60-250.

(2) آغا، حسين، وآخرون، قضايا الخليج العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982م، ص98.

(3) رمضاني، الخليج العربي ومضيق هرمز، مطبعة جامعة البصرة، ص112.

(4) العبيدي، خليفات الغزو العسكري الأمريكي لمنطقة الخليج العربي، ص37؛ نقلًا عن مجلة تايم الأمريكية، تاريخ 1975/2/10م.

(5) لمزيد من المعلومات عن تهديد فورد كيسنجر لمنطقة الخليج العربي انظر: بحيري، مروان، النقد العربي والتهديدات الأمريكية بالتدخل 1973-1977م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1980م، ص20-56.

(6) ناصيف، عايد طه، الاستراتيجية الدولية منطقة الخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، البصرة، 1982م، ص62-64.

(7) وانظر: حصو، توفيق يوسف، العلاقات الخليجية العربية الأمريكية: علاقات منتامية غير متكافئة، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1984م، ص6-23.

الأمريكية وأوروبا، لتضغط على إسرائيل من أجل انسحابها من الأراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران- يونيو 1967م[1].

وقد أدى حظر الدول الخليجية النفط على الولايات المتحدة الأمريكية أن تضيف بعد حرب تشرين الأول- أكتوبر 1973م، مبادئ جديدة إلى مبدأ الدعامتين الذين أقامهم نيكسون في الخليج، وبخاصة بعد حظر الدول الخليجية للنفط عن الولايات المتحدة الأمريكية، فكانت تسعى إلى سهولة الوصول إلى منابع النفط وبقاء الأسعار معتدلة ووصوله إلى كميات وافية، ثم توظيف عائداتها ضمن الاقتصاد الغربي[2].

وقد عجلت بسقوط مبدأ نيكسون رفض السعودية أن تلعب دور الشرطي في المنطقة مع إيران، ثم سقوط نظام الشاه في إيران عام 1979م والذي أدى نهاية عقد من جهود نيكسون وكيسنجر تجاه أمن الخليج العربي[3].

جـ- مبدأ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر عام 1977-1981م:

كان عام 1979م مليء بالأحداث التي سببت القلق لمنطقة الخليج العربي، فكان الاجتياح السوفييتي لأفغانستان أحد أهم هذه الأحداث، وبالتالي يمكن للاتحاد السوفييتي بعد اجتياحها أفغانستان فرض سيرته ونفوذه على دول الخليج العربي، الذي أصبحت قريبة منها. الأمر الذي دفع بالإدارة الأمريكية لوضع حد للتهديدات السوفييتية في مناطق النفوذ الأمريكي[4].

إذ أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية ما يعرف بمبدأ كارتر، وذلك في 23 كانون الثاني- يناير عام 1980م، إذ قال الرئيس الأمريكي جيمي كارتر: " تعد الولايات المتحدة الأمريكية أن أي محاولة من قبل قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج سوف تعد اعتداء على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية، وسوف يقاوم مثل هذا الاعتداء بكل الوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية"[5]. وقد عرف لاحقًا بمبدأ كارتر (Carter Doctrine)، ليبرز منطق استخدام القوة العسكرية في السياسة الأمريكية[1].

---

(1) العجمي، العجمي، ظافر محمد، أمن الخليج العربي: تطوره وإشكالياته من منظور العلاقات الإقليمية والدولية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006م، ص 375-376.

(2) العجمي، أمن الخليج العربي، ص 382.

(3) العجمي، ظافر محمد، أمن الخليج العربي: تطوره وإشكالياته من منظور العلاقات الإقليمية والدولية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006م، ص309. الحسني، سليم، مبادئ الرؤساء الأمريكان، المركز الإسلامي للأبحاث السياسية، بيروت، 1987م، ص20.

(4) الأشعل، عبدالله، الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، الرياض، 1983م، ص77-79.

(5) بيل، جيمس، " الشكل الهندسي لحالة عدم الاستقرار في الخليج: مستطيل التوتر"، في: السويدي، جمال سند (محرر)، إيران والخليج: البحث عن الاستقرار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، 2014م، ص 152؛ شكر، زهير، السياسة الأمريكية في الخليج العربي: مبدأ كارتر، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982م، ص96؛ وعن مبدأ كارتر انظر:

وقد عمل الرئيس الأمريكي على تشكيل قوة التدخل السريع في آذار- مارس 1980م، وذلك حتى تكون مظلة أمنية لحماية أمن الخليج، والواقع أن تشكيل قوة التدخل السريع لم يكن أمرًا جديدًا مفاجئًا، وقد دعا إلى ذلك عدد من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية.

ونلحظ أنه بعد مجيء كارتر إلى رئاسة الولايات المتحدة، وطرح مشروعًا نوقش في وكالة الأمن الداخلي عام 1979م، وكانت غايته زيادة الوجود البحري في المنطقة، والقدرة الكبيرة على إدخال القوات إلى الخليج العربي، ومدخل للتسهيلات في المنقطة، ومساندة التوسع في الوجود الأمريكي، وإطلاق قدرات الطوارئ[2]. وحدث توسيع لهذا الإطار العام بعد التوضيح الذي ألقاه كارتر أمام مجلس اتحاد الولايات في 23 كانون الثاني- يناير 1980م وأعلن عن تشكيل قوات الانتشار السريع، التي يطلق عليها البعض قوات التدخل السريع[3].

وفي عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان ما بين عامي 1981-1989م، فقد زاد الاهتمام من قبل أمريكا في منطقة الخليج العربي نتيجة للحرب العراقية الإيرانية ما بين عامي 19801-1988م، ولم يبتدع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان مبدًا جديدًا للسياسة الخارجية الأمريكية، لكنه انطلق من مبدأ جيمي كارتر وسعى إلى تطويره لمواجهة الاتحاد السوفييتي وأي مصادر تهدد أمن الخليج العربي[4].

وفي عهد ريغان سعت الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية لخدمة الوجود العسكري الأمريكي في مياه الخليج، كما شجعت الولايات المتحدة الأمريكية على وجود نظام إقليمي خليجي في

Amitav, Acharya, U.S. Military Strategy in The Gulf, London, Rutledge, 1989

البزاز، حسن، "قوة الانتشار السريع الأمريكية في الخليج العربي استراتيجية دفاع أم سياسة هجوم"، مجلة الشؤون الخارجية، معهد الخدمة الخارجية، بغداد، المجلد الأول، العدد الأول، 1982م، ص41-51؛ ريكورد، جيفري، قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي في الخليج، ترجمة عبد الهادي ناصيف، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983م، ص13.

(1) تادرس، نهى، "السياسة الخارجية الأمريكية بين التدخل العسكري والهيمنة الاقتصادية"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد (102)، بيروت، 1980م، ص60؛ محمد، محمد جاسم، من يهدد أمن الخليج العربي؟ محاولة لدراسة المصادر الحقيقية التي تهدد الأمن في الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1982م، ص64-67.

(2) ستيوارت، فيليب، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي وأبعادها المستقبلية، الندوة العلمية الخامسة، القاهرة، (د.ت)، ص77.

(3) العبيدي، "خلفيات الغزو العسكري الأمريكي لمنطقة الخليج العربي"، ص38.

(4) إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص328.

علاقة وثيقة بخططها الأمنية، والدفاعية، وسعت الولايات المتحدة الأمريكية للحصول على تسهيلات من قطر، والكويت، وعُمان، والبحرين، والسعودية، والإمارات[1].

وقد وعد ريغان ناخبيه أن الولايات المتحدة ستعود إلى أسلوبها القديم بالتدخل العسكري إذا دعت الضرورة في مناطق مختلفة من العالم. وهكذا أيد ريغان سياسة القوة قبل أن يصل إلى البيت الأبيض. وقام مستشاره بإطلاق تصريحات تقول: "أنه لا توجد منطقة في العالم بعيدة عن مجال المصلحة الأمريكية. ويجب أن تكون لدى أميركا القدرة العسكرية الكافية لمعالجة أي مستوى من العنف في مختلف أنحاء العالم"[2].

واتجه سياسة ريغان إلى التأكيد على تأثير القوة العسكرية في الأحداث السياسية. وقد أدى ذلك إلى الاعتماد الكبير على بيع السلاح، والتدخل العسكري، وأحيانًا على المعونة الاقتصادية، مع إخضاع كل ذلك للسياسة المقررة[3]. وكانت سياسة ريغان تجاه الخليج العربي العمل على بناء (وفاق استراتيجي) بين الدول التي تقع بين باكستان والسعودية، ومصر و (إسرائيل) وتركيا. وإذا تم إيجاد (كيان استراتيجي) بين هذه الدول، فإن بعض دول المنطقة يمكن إقناعها بقبول قوات أمريكية على أراضيها. وبما أن الخليج يشكل بالنسبة لأميركا أهمية اقتصادية واستراتيجية بالغة، فقد فكر ريغان في أن يكون الخليج مركز (الوفاق الاستراتيجي)[4]. لذلك أكدت أميركا على تعزيز طاقتها العسكرية في الخليج، وأنها لن تسمح بتغيير وضع الخليج وصرح الكسندر هيغ وزير الخارجية الأمريكي في آذار-مارس 1981م: " أن الولايات المتحدة سترد بكل قواتها العسكرية ضد أي تغيير في الوضع الراهن في الخليج"[5].

وهكذا يتضح أن رؤساء الولايات المتحدة، نيكسون، فورد وكارتر وريغان، اعتمدوا القوة العسكرية لضمان مصالحهم في المنطقة، فقد أعلن كارتر عن تشكيل قوات الانتشار السريع، التي هي توسيع لقوات المارنيز التي شُكلت في عهد فورد. وجاء ريغان ليزيد من نشاط وحجم هذه القوات، وهذا يقودنا إلى إعطاء نبذة عن هذه القوات.

عجلت الأحداث التي شهدتها المنطقة في أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات في تشكيل قوات أمريكية لاستخدامها خصيصًا في منطقة الخليج العربي. وقد سبق الإعلان عن تشكيل هذه القوات وتصعيد أمريكي في تسليح بعض الدول العربية الصديقة لأميركا والقيام بتحركات عسكرية في الخليج حسب ما جاء في التقرير السري الذي

---

(1) جريدة الخليج، الشارقة، تاريخ 1984/9/20م.

(2) كلير، مايك، اتجاهات التدخل الأمريكي في الثمانينيات، ترجمة عمر محجوب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1982م، ص108.

(3) ستيوارت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي وأبعادها المستقبلية، ص59.

(4) حصو، العلاقات الخليجية العربية الأمريكية، ص 328.

(5) العبيدي، "خلفيات الغزو العسكري الأمريكي لمنطقة الخليج العربي"، ص38.

كشفت عنه مؤخرًا، والذي أعدته وزارة الدفاع الأمريكية في عام 1979م، وجاء في هذا التقرير أيضًا إذا حدثت أحداث داخلية في منطقة الخليج، فإن الإدارة الأمريكية ترى أنه من الأنسب استخدام قوات سعودية، وبريطانية، وفرنسية. وتشارك معها قوات مصرية مستقبلًا. وقد وصف وزير الدفاع الأمريكي آنذاك، هارولد براون، هذه القوات كأحد أربع دعامات للقوة العسكرية الأمريكية إلى جانب الأسلحة النووية والناتو والبحرية الأمريكية[1].

وحددت أهداف تشكيل هذه القوات بالدفاع عن أبار النفط في الخليج، إذ ما استدعت الضرورة ذلك، والإبقاء على الوضع القائم في المنطقة، وضرورة مد القوة الأمريكية إلى الأطراف، وتنطبق هذه الأهداف إلى حد كبير مع أهداف الدول الخليجية[2].

وأعلنت وزارة الدفاع الأمريكية عن إنشاء قيادة قوة الانتشار السريع – القيادة المركزية في بحر العرب ومقرها إحدى السفن الحربية الأمريكية العائمة فيه، ويطلق عليها اسم " قوة الشرق الأوسط". وهذه القوة التي تتألف من ربع مليون جندي تقريبًا مهمتها حماية المصالح الأمريكية في الخليج العربي والمحط الهندي، وستكون مهمة هذه القيادة الاتصال بالحكومات الصديقة في المنطقة، والمساعدة في إدارة المناورات العسكرية بينها وبين هذه الدول وفعلًا اشتركت الطائرات الحربية الأمريكية مع الطائرات المصرية مناورات جوية في تموز- يوليو 1980م أطلق عليها (Proud Phantom)، أي الشيخ الفخور، إلى جانب عدد من المناورات مع القوات العسكرية التابعة لإمارات الخليج العربي[3].

وحصلت الولايات المتحدة على تسهيلات لقوة الانتشار السريع في عدد من الدول الخليجية والدول القريبة منها. ووجدت أميركا تشجيعًا لوجود قواتها قريبة من منطقة الخليج العربي. وفي هذا الصدد يقول هارولد براون، وزير الدفاع الأمريكي: " إن دول الخليج أصبحت أكثر تقبلًا للوجود العسكري من أي وقت مضى". وهكذا اختلط شعار حماية المصالح الحيوية لدول حلف الناتو المستمد من (مبدأ كارتر) عمليًا بشعار (الدفاع) عن دول منطقة الخليج العربي ضد التهديدات الخارجية[4].

وتبنّت إدارة ريغان استراتيجية تجاه المنطقة على أساس مبدأ التركيز المسبق الدائم لقوات الانتشار السريع. بدلًا من اتباع مبدأ إرسال تلك القوات بسرعة عند بروز الحاجة إليها من قواعد تمركزها في أمريكا. وقد شرح هذا الموقف واينبرغر، وزير الدفاع في عهد ريغان، حينما قال في آذار- مارس 1981م. " إن الحاجة باتت ملحة لاحتفاظ

---

(1) حصو، العلاقات الخليجية العربية الأمريكية، ص 45.

(2) حصو، العلاقات الخليجية العربية الأمريكية، ص 45.

(3) جريدة الاتحاد، أبو ظبي، تاريخ 1983/12/1م.

(4) آغا، حسين، وآخرون، قضايا الخليج العربي، ص133.

الولايات المتحدة بوجود دائم لقواتها في مناطق النفط وصون طرق مواصلاته، فعلينا أن نكون موجودين بشكل مصداقي وفعال. وهذا الوجود الفعال لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق استخدام قواعد وتسهيلات تقدمها لنا دول المنطقة الصديقة تعبيرًا عن مصالحنا المشتركة[1].

في عهد الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، بدأت الولايات المتحدة في وضع استراتيجية عسكرية في منطقة الخليج العربي، وقد جاءت معالم هذه الاستراتيجية بالرسالة الأمريكية الجديدة في منطقة الخليج العربي في الرسالة التي بعث بها الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى مؤتمر القمة العربية في بغداد الذي انعقد في شهر أيار- مايو 1990م، إذ تضمنت تلك الرسالة نظرة الرئيس الأمريكي بوش ونشرته جريدة القبس الكويتية بتاريخ 27 أيار- مايو 1990م، وتتضمن الآتي[2]:

1- أن الولايات المتحدة الأمريكية تلتزم بالمحافظة على حرية الملاحة في المياه الدولية، بما في ذلك مياه الخليج العربي.
2- تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على تأمين حرية تدفق النفط عبر مضيق هرمز، وتأمين استقرار وأمن الدول الصديقة في الخليج العربي.
3- تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بوجود عسكري بحري في الخليج، وهذا الوجود العسكري الأمريكي يلقي المساندة من الدول الصديقة في منطقة الخليج.
4- وجود القوات العسكرية الأمريكية في الخليج لا يشكل تهديدًا لأي دولة من الدول، ويجب أن تنظر دول الخليج إلى هذا الوجود ويجب أن لا تنظر دول الخليج العربي أن هذا الوجود مصدر تهديد لأي منها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العراق قامت في 2 آب- أغسطس 1990م بغزو الكويت، وترتب على هذا الغزو فرض الولايات المتحدة الأمريكية نفوذها في منطقة الخليج العربي، وقد اشتركت القوات الأمريكية المتواجدة في الخليج العربي بالمشاركة في إخراج العراق من الكويت، واستطاعت الولايات المتحدة الأمريكية نقل ما يقارب نصف مليون جندي أمريكي في الحرب ضد العراق ما بين عامي 1990-1991م، وعلى الرغم من التكاليف الباهظة التي سببها الغزو العراقي للكويت فقد أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية أنها سوف تتدخل في منطقة الخليج العربي عندما تتعرض مصالحها الحيوية للتهديد[3].

([1]) آغا، حسين، وآخرون، الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط، بيروت، 1982م، ص 135-136.

([2]) جريدة القبس، الكويت، تاريخ 1990/5/27م؛ جريدة الرأي العام، الكويت، تاريخ 1990/5/27م.

([3]) انظر: بيل، جيمس، " الشكل الهندسي لحالة عدم الاستقرار في الخليج: مستطيل التوتر"، ص153-154.

ويعني "استمرار الإمدادات من مصادر موثوقة بأسعار معقولة بشكل مقبول بيئيًا"[1]. وهذا يوضح أهمية النفط الخليجي بالنسبة إلى الولايات المتحدة من خلال تأكيده أن هذه الأخيرة نحرص على استقرار إمدادات الطاقة من منطقة الخليج، وتعد ذلك من مصالحها الاستراتيجية؛ بل لا تتردد في استخدام جميع الوسائل المتاحة لديها لضمان استمرارية تدفق النفط. وقد تم التعبير عن ذلك من خلال مبدأ كارتر عام 1980م. وتطبيقًا لهذا المبدأ استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية ما بين 1987-1988م لحماية حاويات النفط الكويتية من الصواريخ الإيرانية[2].

وقد شهدت استراتيجية حماية منابع النفط تطبيقات عملية لها، تمثلت في التدخل الأمريكي عام 1991م لإخراج القوات العراقية من الكويت.

ولضمان استمرار الإمدادات من النفط أو الغاز حال حدوث أزمة فعلية، ومن ذلك عملية "الإرادة الجادّة" (Earnest Will) التي تم تنفيذها خلال عامي 1987-1988م من أجل حماية ناقلات النفط الكويتية إبان الحرب العراقية – الإيرانية. وتندرج تلك العمليات تحت مفهوم الردع الذي يتطلب وجود تخطيط عملي متقن للتعامل مع أي سيناريوهات متوقعة، كما يتطلب وجود حملة مشتركة تشاك فيها جميع القدرات الجوية والبحرية والبرية. ومجمل القول إن أي تطوير لدور الحلف في أمن الطاقة يستدعي جوانب سياسية مهمة مثل: تطوير العلاقات مع المنظمات الأخرى والشركاء الآخرين، بالإضافة إلى تطوير الخيارات العسكرية، بما يعني صوغ مفهوم سياسي – عسكري بشأن أمن الطاقة[3].

وفي نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، أصبحت منطقة الخليج العربي محلًا للاهتمام الأمريكي على نحو كبير، فكانت قضية الخليج إحدى القضايا الرئيسية التي تفرض على المرشحين للرئاسة الأمريكية إيضاح موقفهم منها، كأحد المعايير التي يمكن بها الحكم على صلاحية أي منهم لتولي الرئاسة.

---

(1) كشك، تطور الأمن الإقليمي الخليجي، ص242.

(2) Michael Klare, " Bush-Cheney Energy Strategy: Procuring the Rest of the World's Oil,". Foreign Policy in Focus (January 2004), http://www.nogw.com/download/2005be_energy_steal_oilpdf.

(3) شيا، جيمي، "الدور المحتمل لحلف شمال الأطلسي في أمن الطاقة"، ناتو ريفيو، 2006م، ص114. http://nato.int/docu/review/2006/issue3arabic>.

5- التهديد السوفييتي:

اتفقت دول الخليج العربية بكاملها بما فيها الكويت وقطر على أن الاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية هما أخطر مصدر تهديد للأمن والاستقرار في منطقة الخليج العربي، وترى دول الخليج أن خطورة الاتحاد السوفييتي لا تقتصر فقط على الخطر الأيديولوجي بل تهدد أمن الخليج العربي، وعبرت الكويت وقطر عن مخاوفها من تهديد الاتحاد السوفييتي للأمن في الخليج العربي[1].

ويعد الاتحاد السوفييتي والحركة الشيوعية من أخطر مصادر تهديد الأمن والاستقرار في الخليج العربي، وتعد الحركة الشيوعية الخطر الدائم، وترى دول الخليج الست أن خطورة الاتحاد السوفييتي لا تقتصر على الخطر الأيديولوجي، ولكن أيضًا هناك خطر للوجود العسكري السوفييتي المكلف في عدن، وقد عبرت الإمارات وقطر والبحرين عن مخاوفها بصفة عامة من تهديد الاتحاد السوفييتي للأمن في الخليج، أما الكويت فحرصت على أن تحتفظ بعلاقة صداقة مع الاتحاد السوفييتي[2].

وسعى الاتحاد السوفييتي إلى الزيادة من نفوذه في المناطق القريبة من الخليج في اليمن الجنوبية وأثيوبيا، والتدخل المباشر في أفغانستان[3].

([1]) هيكل، محمد حسنين، مدافع آية الله: قصة إيران والثورة، دار الشروق، بيروت، 1982م، ص137-143؛ وانظر: فرج الله، " الرؤية الكويتية لأمن الخليج"، ص114.

([2]) هيكل، مدافع آية الله، ص 137-142؛ نوار، إبراهيم، " السياسة الخارجية العُمانية من العزلة إلى دبلوماسية الوساطة"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، سنة 28، العدد (110)، (تشرين أول/ أكتوبر 1992م)، ص43-44؛ فرج الله، الرؤية الكويتية لأمن الخليج، ص114-115.

([3]) السعيد، محمد السيد، مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج، سلسلة عالم المعرفة، رقم (58)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ص 107.

ومن المبادئ التي حكمت سياسة الاتحاد السوفييتي في الخليج العربي المبادئ الآتية[1]:

1. خطة شبيلو:

وتهدف هذه الخطة إلى مجابهة الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي أيزنهاور، إلا أن المبادئ التي تظمنتها هذه الخطة بقيت تحكم السياسة السوفييتية في الخليج العربي حتى أواخر السبعينيات، وقد تضمنت هذه الخطة مقترحات سوفييتية في كيفية التعامل مع منطقة الخليج العربي:

1) الاتفاق على عدم تقديم السلاح لدول المنطقة.
2) حل المشاكل الإقليمية بالطرق السلمية.
3) تصفية القواعد الأجنبية وإنهاء الوجود العسكري البريطاني الأمريكي في المنطقة.
4) فتح المجال للتدخل السوفييتي في المنطقة من خلال دعوة حل المشكلات الإقليمية بالطرق السلمية.

أ- مبدأ بريجنيف:

كان عام 1979م مليء بالأحداث التي سببت القلق لمنطقة الخليج العربي، فكان الاجتياح السوفييتي لأفغانستان وبالتالي يمكن للاتحاد السوفييتي التدخل وفرض نفوذه على دول الخليج التي أصبح قريبًا منها، الأمر الذي دفع الإدارة الأمريكية بالتحرك لوضع حد للتهديدات السوفييتية في مناطق النفوذ الأمريكي، فأصدرت الولايات المتحدة ما يعرف بمبدأ كارتر في 23 كانون الثاني- يناير 1980م.

ويبدو أن الصراع بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية أخذ يتسع، وأصبح تدخلهما في الخليج العربي وشيكًا، وبخاصة بعد الرد السوفييتي على مبدأ كارتر، حيث طرح الرئيس السوفييتي ليونيد بريجنيف في 10 كانون الأول- ديسمبر 1980م من جانبه مشروعًا ألقاه أمام البرلمان الهندي أسماه الحفاظ على أمن الخليج العربي أو مبدأ بريجنيف، وحول هذا التوجه قال بريجنيف: " إن منطقة الخليج (الفارسي) والمحيط الهندي تتزايد مخاطرها كقلب للتوتر العالمي، بمزاعم مصطنعة حول حماية المصالح الأساسية. نجد قوى تبعد آلاف الكيلومترات عن تلك المنطقة وقد مركزت أساطيلها العسكرية في تلك المنطقة، وهي ساعية في بناء قواعد عسكرية، ومخضعة هذه الدول الصغيرة لضغط وتهديد لا قبل لها بمواجهته"[2].

---

(1) البزاز، حسن، " قوات الانتشار السريع الأمريكية في الخليج العربي"، مجلة الشؤون الخارجية، بغداد، المجلد الأول، العدد الأول، 1982م، ص40-51.

(2) انظر: ربيع، حامد، نظرية الأمن القومي العربي والتطور المعاصر للتعامل في منطقة الشرق الأوسط، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984م، ص444.

وقد رسم مبدأ بريجنيف معالم الاستراتيجية السوفييتية في الخليج، وحدد ثلاثة أهداف للسياسة السوفيتية في المنطقة، هي[1]:

1) العمل على الحد من النفوذ الغربي ومنع استمرار السيطرة الكاملة للغرب، وبخاصة الولايات المتحدة في الخليج العربي.
2) كسر الاحتكار الأمريكي للمنطقة وتمكين الاتحاد السوفييتي من الدخول كطرف شريك. فالدعوة إلى الامتناع عن التهديد باستعمال القوة العسكرية ضد دول المنطقة وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.
3) وضع أسس جديدة لمعادلة الأمن الإقليمي الخليجي بديلة للأسس التي ارتكز عليها المفهوم الأمريكي لأمن الخليج العربي.

وقد رحب الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر بالمبادرة السوفييتية، وأكد على فكرة التعاون المشترك القائم على الاحترام المتبادل بين دول المنطقة لغرض مواجهة الأخطار الخارجية[2]. ولكن موقف قطر تغير من هذه المبادرة بعد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، وأعلنت الحكومة القطرية بأن هذا الاحتلال يمثل تهديدًا لمنابع النفط وطرق نقله عبر مضيق هرمز، وقد شاركت قطر والكويت في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عُقد في إسلام أباد في 27 كانون الثاني- يناير 1980م، إذ شجب المؤتمر الاحتلال السوفييتي لأفغانستان، ودعا إلى الانسحاب الكامل والفوري للقوات السوفييتية. كما شاركت قطر والكويت في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي شجب الغزو السوفييتي لأفغانستان[3].

([1]) إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص 346-348.
([2]) العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص399.
([3]) العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص 398-399.

وقد رفضت الكويت هذا المشروع وأعلن وزير الخارجية الكويتي: " أن مبادرة بريجنيف كان كشفًا واضحًا لنيات السوفييت التي تتضمن فحواها حق المشاركة في ثروات الخليج، وتقاسم النفوذ الاقتصادي والسياسي على قدم المساواة مع الغرب"[1].

وقد أعلنت الحكومة الكويتية في 22 كانون الأول- ديسمبر 1980م، أن على الاتحاد السوفييتي إذا أراد أن يرى مبادرة بريجنيف قابلة للتطبيق، القيام أولًا بحسب المستشارين السوفييت من اليمن، كما عليه أن يفك الحصار عن المنطقة من خلال الانسحاب من أفغانستان وتفكيك قواعده في أثيوبيا[2].

ب- مبدأ غورباتشوف:

ظهر هذا المبدأ في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، بعد تطورات مهمة في السياسة السوفييتية في الخليج، فقد برزت هذه التطورات في الاقتراحات التي أعلنها غورباتشوف في شباط- فبراير 1986م أثناء زيارته للهند وربط فيها مسألة الأمن في الخليج في المحيط الهندي، وعرفت هذه الاقتراحات باسم (مبدأ غورباتشوف)، وتضمنت[3]:

1- تخفيض الحظر العسكري في المحيط الهندي والمناطق المتاخمة.
2- عقد اتفاقات متعددة الأطراف لضمان أمن الطرق البحرية والجوية حول المحيط الهادي.
3- إقامة مفاوضات متعددة الأطراف بين كل البلدان التي تستخدم المحيط الهندي.
4- ضمان سيادة المنطقة على ثرواتها الطبيعية.

وفي مقابل هذا التوجه كان التركيز السوفييتي على العلاقات الثنائية مع الدول الخليجية. ومن ثم كانت عُمان أول الدول الخليجية تقبل على إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي في 26 أيلول- سبتمبر 1985م. وتبعتها دولة الإمارات في 13 تشرين الثاني- نوفمبر 1985م، وثلثها البحرين ثم قطر في وقت لاحق[4].

---

(1) الشاهين، سليمان، الأمن ودول مجلس التعاون الخليجي، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، 1997م، ص32.
(2) العجمي، أمن الخليج العربي، ص 409.
(3) العلكيم، حسن، "السياسة السوفييتية تجاه الخليج في عهد غورباتشوف"، مجلة المستقبل العربي، السنة 12، العدد (125)، (تموز- يوليو 1989م)، ص34.
(4) إدريس، النظام الإقليمي للخليج العربي، ص 350.

ثم جاءت الدعوة الكويتية لرفع العلم السوفياتي على ناقلات النفط الكويتية والقبول السوفياتي الفوري بالعرض لتفتح عهدًا جديدًا في العلاقات السوفياتية – الخليجية، ولتبرر شرعية للوجود العسكري السوفياتي في الخليج بجانب الوجود العسكري الأمريكي[1].

ثالثًا: رؤية الكويت لأمن الخليج:

كانت رؤية الكويت للأمن في الخليج العربي قائمة على أساس التنسيق مع دول الخليج العربي ورفض إقامة الأحلاف العربية في المنطقة، كما أنها كانت تعمل من أجل المحافظة على الوضع القائم وبقاء الأنظمة السياسية على حالها[2]. وهي بذلك لا تريد تفوقًا لأي من القوى الإقليمية على حساب الأخرى كونها محاطة بدول كبيرة مثل العراق والسعودية وإيران التي لا تتوازن معها في مجال القدرات العسكرية[3].

وفي تصريح لوزير الخارجية الكويتي لصحيفة القبس الكويتية تحدث بقوله: "نحن لا نؤمن بقيام أحلاف، وهذا الاتجاه يشاطرنا فيه الإخوان في السعودية والعراق والدول الخليجية الأخرى، والأمن الخليجي يمكن أن يكون بصورة تعاون اقتصادي وثقافي، وتبادل المعلومات الأمنية، إما صورة معينة للتعاون الأمني على شكل أسطول موحد أو حلف، فهذا غير وارد الآن وليس مجديًا، نحن نتبادل المعلومات الأمنية والمهم أن لا نسمح بتواجد أجنبي في الخليج العربي"[4].

وقد حرصت الكويت على وضع اتفاق مشترك يمنع احتلال دولة من قبل دول أخرى، وتقصد الكويت من وراء ذلك حماية الأنظمة التقليدية في المنطقة، وخوفًا على مصالحها وأنظمتها، وبدعوتها إلى وضع ميثاق مشترك تريد من خلاله أن تتعاون الأنظمة الخليجية فيه على حماية بعضها بعضًا. ومن المفاهيم الأخرى للنظرية الكويتية للأمن، هي مواجهة التهديدات الأمريكية الخاصة باحتلال منابع النفط، وكانت تصريحات المسؤولين الكويتيين عنيفة في هذا

---

(1) أسيري، أسيري، عبد الرضا علي، الكويت في السياسة الدولية المعاصرة: إنجازات.. إخفاقات... وتحديات، ط2، مطابع القبس التجارية، الكويت، 1993م، ص 256-259.

(2) يورك، فاليري، أفاق الخليج في الثمانينيات، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1982م، ص 67-68.

(3) آغا، حسين عمر، وآخرون، قضايا الخليج العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لندن، 1982م، ص47.

(4) مركز الخليج للدراسات العربية، التقرير السياسي، مركز الخليج للدراسات العربية، الشارقة، العدد (7)، 1981م، ص6.

الجانب، حيث صرح وزير خارجيتها " بأنه إذا نفذت أمريكا تهديداتها بالتدخل العسكري لاحتلال منابع النفط، فلن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا التدخل"[1].

ولا بد من الإشارة التالي أن موقف الكويت من أمن الخليج العربي يأتي من التعقل والتأني عربيًا ودوليًا، وهذا ما أشار إليه راشد الراشد وكيل وزارة الخارجية الكويتي بقوله: " إن الكويت تعارض تدخل القوى الخارجية بشؤون منطقة الخليج العربي، ورفض الأحلاف العسكرية وإخضاع المنطقة لنفوذ الدول الكبرى، وأكدت على أن مسؤولية حفظ الأمن والاستقلال في الخليج هو من مسؤولية دولها"[2].

وقد نظرت الكويت إلى أمن الخليج العربي بأنه ليس فقط حماية الملاحة فيه وحماية مياهه وممراته بقدر ما هو حماية دول المنطقة من العبث بأمنها واستقرارها وحماية الأنظمة القائمة في هذه الدول من التدخل الأجنبي فيها مهما كان مصدره وأسلوبه[3].

وقد صرح وزير الخارجية الكويتي في 30 تشرين الثاني- نوفمبر 1978م، "إن الكويت مدت يدها إلى جميع دول الخليج لمساعدتها على تحمل مسؤولياتها، بحيث تطور منطقتها بسلام واستقرار دون أي تدخل خارجي"[4].

لا بد من الإشارة أنه عندما تعرضت ناقلات النفط الكويتية لاعتداءات إيرانية خلال الحرب العراقية – الإيرانية 1980-1988م، استعانت الكويت بكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في حماية أسطولها التجاري، بحجة أن مسؤولية ضمان حرية الملاحة في الخليج باعتباره مياهًا دولية، إنما تقع على عاتق الدول الكبرى[5]. وقد وقعت الكويت عدة اتفاقيات ثنائية أمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا للتعاون العسكري[6].

ويرى بعض المسؤولين في دولة الكويت رغم أن التواجد السوفييتي كان لا يشكل خطر على الخليج، بقدر ما كانت تحاول الولايات المتحدة الأمريكية ابتزاز دول الخليج العربي عن طريق الخطر السوفييتي، حتى تحصل على مكاسب خاصة لها في مختلف المجالات، ولكننا لا ننكر بأن الاحتلال السوفييتي لأفغانستان يشكل خطر على أفغانستان وعلى العالم الإسلامي. وإن السوفييت لا يتطلعون إلى منابع النفط وليس لهم أطماع في الخليج على عكس

---

(1) الموسوى، العلاقات البحرينية الخليجية، ص102.
(2) مجلة النهضة، الكويت، العدد (579)، تاريخ 1978/12/2م.
(3) انظر: جريدة الرأي العام، الكويت، تاريخ 1979/10/10م
(4) جريدة السياسة، الكويت، تاريخ 1978/11/30م.
(5) أسيري، الكويت في السياسة الدولية، ص201-202.
(6) فرج الله، " رؤية الكويتية لأمن الخليج "، ص 111.

التطلع الأمريكي، ومعظم حكام الخليج أدركوا هذه الحقيقة، وكذلك الدوافع الأمريكية وراء تحركاتها العسكرية في الخليج العربي.

قد صرح الشيخ صباح الأحمد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي الممثل وكالة الأسوشييتد بريس الأمريكية (*Associated Press*) في شباط- فبراير عام 1980م: " بأنه لا يرى مبرر للضغط الذي تحاول الولايات المتحدة ممارسته على العرب، على أساس تنشر الولايات المتحدة قواتها في منطقة الخليج، وممن تريد إنقاذه؟ ثم استطرد قائلًا: إن السياسة الأمريكية تسبب لنا الانزعاج. إن أحداث أفغانستان ليست لها أية صلة بمنطقة الخليج. وليس لدينا أي قلق فيما يتعلق بنوايا الاتحاد السوفييتي تجاه الخليج. إننا واثقون من هذه مائة بالمائة. وأنا لا أعبر بهذا عن رأي الكويت وحدها بل إن هذا هو رأى كل دول المنطقة"[1]، وأضاف نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي إلى الوكالة إلى: "أن الولايات المتحدة تحت ستار من نظرية الخطر السوفييتي المفتعلة، تمارس الضغط على العرب حتى لا يرفعوا سعر النفط ويوافقوا على منح قواعد وتسهيلات عسكرية للقوات الولايات المتحدة الجوية والبحرية"[2].

رابعًا: رؤية قطر لأمن الخليج:

بعد انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي عام 1971م، بدأت هنالك الحاجة الملحّة من قبل الدول الخليجية المُستقلة إلى البحث عن منظومة الأمن الجماعي لهذه الدول؛ لأنها شعرت بأنها بأمسّ الحاجة إلى حماية جماعية سيّما وإنها دول صغيرة من الناحية العسكرية، ومحاطة بالعديد من الدول الكبرى، التي تشكل خطرًا حقيقيًا على أمنها ومستقبلها، وظهرت هذه الدعوة بشكل ملحّ بعد أن شعرت هذه الدول، أن الانسحاب البريطاني سوف يؤدّي إلى فراغ سياسي وعسكري، يجعل هذه المنطقة عرضة لصراعات وتكالب القوى الكبرى عليها، سيّما وهي تمتلك أكبر احتياطي نفطي في العالم، وأكّدت الحكومة القطرية على ضرورة وجود صيغة أمنية موحّدة لحماية المنطقة، لأن الثقل الاستراتيجي والاقتصادي لمنطقة الخلي العربي يزداد يومًا بعد يوم، ومن المفيد أن تتفق دول المنطقة على صيغة تعاون ونظام أمني لتعزيز الاستقرار والأمن في المنطقة[3].

([1]) أندونيسيان، روين، النفط والأمن في الخليج العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ص153.

([2]) المرجع السابق نفسه، ص 153.

([3]) عبيدان، يوسف محمد، المؤسسات السياسية في دولة قطر، وزارة الإعلام القطرية، الدوحة، 1979م، ص335، مركز دراسات الخليج العربي، قوة الانتشار السريع وأمن الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1981م، ص12.

وقد أوضح الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أهمية هذا الأمر بالنسبة للمنطقة. وأكّد على ضرورة الحفاظ على أمن الخليج وازدهاره، وجعله بعيدًا عن الصراعات، وأن يكون هناك وسائل للتعاون والتنسيق بين دول المنطقة بعيدًا عن الأحلاف والارتباطات العسكرية[1]، عندما قال: " إن أمن الخليج قضية مطروحة، وليس موجّهًا ضد أحد بالذات، ولكنه ضد من يحاول المساس بأمن الخليج، لقد شاء الله أن يهبنا الثروة الكبيرة، ونحن دول صغيرة متفرقة. وإذا استمر حالنا على هذه الصورة، فإن مصادرنا ستصبح معرّضة للعبث بها، وفي الحقيقة نحن أمام واحد من الخيارين، فنحن إما أن نقبل بما هو قائم ونستمر في هذا الطريق دون أن نحاول أن نستثير شهية الدول الطامعة فينا وفي ثروتنا، وإما أن نفرض وجودنا عن طريق تقوية أنفسنا وتوحيد جهودنا لخلق تيار موحد، يستطيع أن يواجه أية تحديات وأية استفزازات قد تتعرض لها في المستقبل"[2].

أخذت هذه القضية مجالًا واسعًا في السياسة القطرية؛ حيث طرحت الحكومة مجموعة من النقاط، تبين فيها التصور القطري لهذه الفكرة وموقف الدولة منها، والتي يمكن إيجازها على النحو الآتي[3]:

أولًا: إن أهمية المنطقة الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية تزداد باستمرار، مما يفرض على دول المنطقة الاتفاق على صيغة تعاون ونظام أمني، يكفلان تعزيز استقرارها.

ثانيًا: أصبحت منطقة الخليج العربي من المناطق الحساسة جدًا في العالم، وإذا تم لقاء أو مؤتمر بين زعمائها، فإنه سيعود بالنفع على هذه المنطقة والحفظ على ثرواتها، إذ إن تلك المؤتمرات تقوي الروابط بين بعضها البعض.

ثالثًا: إن الفكرة الأمنية المطروحة يجب أن تكون بعيدة عن أطماع الدول الطامعة بالمنطقة، ولن تكون كذلك إلا إذا تم تطوير الأجهزة وتعززت الإمكانيات لخلق جهاز قادر على مواجهة التحديات.

رابعًا: إن الهدف الأساسي لهذه الفكرة هو حماية هذه الثروة.

خامسًا: إن سبب الاهتمام بإقامة نظام أمن خليجي، يرجع إلى عودة العلاقات الطيبة بين دول المنطقة، وبالتالي فإن عودة هذه العلاقات الطيبة من جهة نظر قطر تؤدي إلى تقوية عوامل الاستقرار والأمن في الخليج.

---

(1) رمضاني، ر.ك، الأمن في الخليج، ترجمة كمال رفيق الجراح، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، البصرة، 1982م، ص16.

(2) وزارة الإعلام والثقافة القطرية، مجموعة الأحاديث الصحفية لحديث حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد، منشورات وزرة الإعلام والثقافة، الدوحة، 1990م، ص68.

(3) عبيدان، يوسف محمد، " توجهات السياسة الخارجية في دولة قطر"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد (92)، (نيسان- أبريل 1988م)، ص327-328.

سادسًا: إن قطر تؤمن بضرورة إجراء مشاورات تسبق الدعوة لعقد مؤتمر قمة خليجي يبحث هذه المسألة، لأن التحضير للمؤتمر يساعد على ضمان نجاحه قبل الدعوة إليه.

ومما تقدم يتبين لنا أن الدبلوماسية القطرية في هذا المجال اتجهت نحو إقامة منطقة مستقرة، يسودها الازدهار والاستقرار، وذلك من خلال قيام دول المنطقة بحماية ثرواتها من القوى الطامعة عن طريق التعاون المثمر البناء بينهما.

وقد شاركت قطر في المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب الذي عقد في مدينة الطائف في الفترة ما بين 26-28 آب- أغسطس 1980م، وطالب قطر في هذا المؤتمر إلى توحيد الصف العربي والوقوف في وجه التحديات الخارجية، ومنها الغزو السوفييتي لأفغانستان، والذي بات قريبًا من منطقة الخليج العربي[1].

(1) جريدة العرب، قطر، تاريخ 1980/8/29م؛ جريدة القبس، الكويت، تاريخ 1980/8/29م؛ جريدة الرأي العام، الكويت، تاريخ 1980/8/29م.

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية ISSN:2707-8183
العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

في حوليات الزياريين بجرجان وطبرستان
للمستشرق البريطاني كليفورد ادموند بوزورث

ترجمة وتعليق الأستاذ المساعد الدكتور
زهير يوسف عليوي حسين
جامعة القادسية / كلية التربية – قسم التاريخ

الملخص: تعد الدولة الزيارية واحدة من اهم الدول التي ظهرت في منطقة طبرستان وجرجان ، ومن الواضح ان هذه المناطق تعد من المدن الإيرانية القديمة ، وهي منذ القدم شكلت تاريخ من الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار الأمر الذي جعل حكام هذه المقاطعات البعيدة عن مركز الخلافة ان يعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية في بغداد ، واستفاد حكام الدولة الزيارية من اضطراب ألأوضاع السياسية لتلك المناطق وشكلوا دولة مستقلة لهم عرفت بالدولة الزيارية ، والشي المهم في تاريخ هذه الدولة هو على الرغم من الدور المهم الذي لعبته والمكانة التي أخذتها في التاريخ الإسلامي إلا ان التواريخ والحوليات الخاصة بها لا تزال مفقودة ولم يصلنا عنها إلا الشي القليل ، هذا البحث يهدف إلى الوقوف على التواريخ المغمورة والنصوص المختلفة عن ملوك وأمراء هذه الدولة .

الكلمات المفتاحية : طبرستان ، حوليات ، زياريون

ABSTRACT

On the Chronology of the Ziyarids in Gurgan and Tabaristan

Clifford Edmund Bosworth

Dr. Zuhair Yousif Oleiwi Hussain

University of Al-Qadisia / college of education

Department of History

The Ziyarids state is one of the most important states that appeared in the region of Tabaristan and Gurgan, and it is clear that these areas are among the ancient Iranian cities, and since ancient times they formed a history of political turmoil and instability, which made the rulers of these provinces far from the center of the Caliphate to declare their independence from the Caliphate The Abbasids in Baghdad, and the rulers of the Ziyarids state benefited from the turbulence of the political conditions of those regions and formed an independent state for them known as the Ziyarids state. The important thing in the history of this state is that despite the important role it played and the place it took in Islamic history, the dates and Chronology of this state are not It is still missing and we have only received a little from it. This research aims to identify the submerged dates and the various texts about the kings and princes of this state . Keywords : Tabaristan, Chronology , Ziyarids.

المقدمة : تعد هذه الدراسة من الدراسات الرائده التي تلقي الضوء على جانب مهم من جوانب تاريخ الدولة الزيارية في جرجان وطبرستان ، وتعالج الكثير من الأمور والمسائل التي لا تزال هي موضع تقدير واهتمام الباحثين المتخصصين في التاريخ السياسي لإيران خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، كتب البروفسور كليفورد ادموند بوزورث (وهو ومن المستشرقين البريطانيين المتخصصين في تاريخ إيران وتراثها الإسلامي) كتب هذا المقال ونشره في مجلة الإسلام الألمانية(Der Islam ,Band40,Heft1,Berlin ,Mai,1964)، ونظرا لأهمية هذا المقال ذلك لغزارة المعلومات المتوفره فية وكونه يشكل إضافة جديدة في حقل الدراسات التاريخية من حيث التحليل وطريقة المنهج وما توصل الباحث من نتائج عالجت إشكالية مهمة في جوانب تاريخ هذه الدولة ، من قراءتي وجدت ان البحث جدير بالترجمة ، ومن المفيد ان يصبح متيسرا باللغة العربية للباحثين العرب والمسلمين ، من هنا دفعتني رغبتي لترجمته والتعليق على بعض الآراء المطروحة من قبل هذا المستشرق.

اولا/التعريف بالمسترق كليفورد ادموند بوزورث

يعد بوزورث من كبار رجال مدرسة الاستشراق البريطاني ، ولد في مدينة شيفلد البريطانية وتعلم فيها حتى التحق بجامعة ادنبره وأكمل دراساته العليا ومن هذه ألجامعه حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي ، وتاريخ إيران خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، وقد كرس أبحاثه عن أحوال المشرق الإسلامي وتاريخ الدويلات التي ظهرت خلال العصور الإسلامية ، تشكل دراسات بوزورث حقلا مهما في ميدان الدراسات الأكاديمية ، وهي كانت وما تزالا مرجعا لجميع الباحثين في التاريخ الإسلامي من الشرق والغرب على حد سواء .

يأخذ بوزورث مكانه في المجال الأكاديمي كونه من القلائل الذين كرسوا جهودهم نحو الكتابات الموسوعية والتنوع قي مجال التخصص ، وهذا بدوره ساعد على سرعة شهرته ، اذ يعد كتابه الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي مرجعا أساسيا لطلبة العلم وما من باحث في مجال التاريخ الإسلامي الا وجعل هذا الكتاب معينا له في توفير المعلومة بأقصر الطرق ،كما ويعد عملة في تحرير وكتابة مقالات دائرة المعارف الإسلامية الإصدار الحديث ، إضافة الى دراساته المتخصصة عن إيران والمشرق الإسلامي التي شكلت إضافة نوعية في حقل الدراسات الإسلامية ،

ثانيا/في هذا المقال: يعد هذا المقال واحد من أهم الأعمال البحثية للمستشرق بوزورث يبرز فية جذور المعرفة العميقة بتواريخ الأسر الحاكمة في المشرق الإسلامي ، وقد حرص بوزورث على جمع النصوص التاريخية المتناثرة في الكتب والمصادر الإسلامية ومقارنتها بمنهج علمي يعتمد تحليل ونقد لأهم الاختلافات المتعلقة بتواريخ الأسرة الزيارية .

يتطرق بوزورث الى إشكاليات الغموض في تواريخ الأسرة الزيارية التي ظهرت في مقاطعات جرجان وطبرستان ، ان تواريخ هذه الأسرة لازال يكتنفها بعض الغموض فلم تظهر واضحة ماعدا كتاب قابوس نامه لكيكاوس بن اسكندر فهو التاريخ الوحيد الذي ظهر ليؤرخ تفاصيل أخبار الأسرة الزيارية وهو يعد بمثابة وثيقة خاصة بهذه الأسرة ، وهذا الكتاب احد الكتب الهامة للنثر الفارسي ويمثل كمال المهارة والمقام العالي للامير عنصر المعالي في الفضل والأدب والاطلاع وهو بحد ذاته يمثل أدب الوصايا ويأخذ في منهجه جانب القصص والحكايات والمواعظ في فن بالحكمة والبراعه ، غني بالحكايات والأمثلة ، يضاف الى انه كتاب لنظم الحكم والسياسة كتبه مؤلفه واستمد موضوعاته من تجاربه الكثيرة والناضجة وخبرته الطويلة الكاملة .

يشير بوزورث الى النقص الواضح في حوليات الزياريين ويدعوا الى اعتماد المسكوكات النقدية المضروبة في عصر الزياريين كبديل لسد لذلك النقص والتي بدورها تشير الى الأسماء المضروبة ألتابعه لأمراء الأسرة الزيارية ، وعلى الرغم من توفر بعض العملات النقدية الخاصة بهذه الأسرة الا انه يؤكد إنها قليلة لا توفي بالغرض وهي منفية

بالكامل عدا خمسة عملات عثر عليها بوزورث في المتاحف الاوربية تكاد تحمل بعض اسماء الزياريين ، ويعزو سبب ذلك ان تاريخ هذه الاسرة مر بمرحلة اظطراب سياسي تاثر بالمتغيرات السياسية التي حدث في المشرق الاسلامي وصراع الدويلات الاسلامية من القرن الرابع الهجري الى القرن الخامس الهجري

يوجه بوزورث نقده الى الدراسات المعاصره لهذه الاسرة ويرى ان دراسات المستشرقين امثال (كلمان هيوارث ، ادورد دينسون راوس ، زامباور) دراسات تعاني من النقص الواضح لتواريخ هذه الاسرة كما انها تعاملت بشكل سطحي مع امراء هذه الاسرة ، ولم يعتمد هؤلاء المستشرقين على المصادر القريبة من تاريخ هذه الاسرة كالمصادر الغزنوية منها البيهقي ، الكرديزي ، ابن اسفنديار وغيرها من المصادر المتخصص بالدول التي عاصرت هذه الدولة .

كما عمل على تحليل الروايات المتناقضة الواردة في هذه المصادر التي تخص أسماء وأمراء الأسرة الزيارية متخذا منهج النقد العلمي في تفسير أسباب اختلاف الروايات للشخصيات المهمة منها (اباكاليجار، انوشروان ، ودارا...الخ) ، ان هذا البحث نقد وتحليل للنصوص التاريخية المختلفة في تواريخ الأسرة الزيارية ، وتشخيص واضح لغياب المصادر عن هذه الأسرة (المترجم)

في حوليات الزياريين بجرجان وطبرستان

ان تواريخ وحوليات الزياريين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، هي تعطي العديد من الصعوبات ، وتختلف المصادر في دقة تعاقب الحكام :آخر تاريخ ثابت يتفقون علية جميعا هو موت قابوس بن وشكمير[1] في سنة (2012/304 أو 13) بالنسبة لقابوس كان العضو البارز في الأسرة الحاكمة ، مع شهرته كراعي للأدب ، وكأديب هو نفسه هو لا يعني انه موهوب.مع وفاته الزياريون قلّ تأثيرهم بشكل ملحوظ ، في القرن السابق ، كانت قوى النزاع(التنافس) مع السامانيون والبويهيون للسيطرة على الأجزاء الشمالية لبلاد فارس، ولكن بعد عهد منو شهر بن قابوس، السلالة الحاكمة سقطت تحت هيمنة الغزنويون، وعندما معركة داندقان في (431هـ/1029م) دمرت السلطة الغزنوية في خراسان، الزياريون كانوا قد اجبروا للاعتراف بالسلاجقة، مع وفاة منوشهر في (420هـ/1029م أو 421هـ/1030م) السلالة الحاكمة للزيارين فقدت الكثير من قوتها للعمل المستقل ضمن مقاطعة قزوين ولم تلعب مرة أخرى أي دور مهم في الشؤون الخارجية هناك.

وبالتالي عند هذه ألنقطه ، الملاحظات حول الزياريون في التواريخ العامة أصبحت قليلة جدا ، غالبا ما تكون النميات مكملة لنقص المصادر الأدبية، ولكن الكاتب الحالي المعاصر يجد خط التحقيق مخيبا للآمال،(بيبلوغرافيا

[1] قابوس بن وشمكير(403هـ/1012م)، هو رابع ملوك الاسرة الزيارية ، لقبتة الخلافة العباسية بشمس المعالي ، كان اكثر ملوك الزياريون شهرة وصيتا ، له رسائل في البلاغة باللغة العربية والفارسية ، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر ابن اسفنديار / تاريخ طبرستان (المترجم).

النميات(المسكوكات)الاسلامية)لماير(MAYER)[1]يسرد فيها العديد من ألاعمال التي ذكرت فيها عملات الزياريون، ولكن غالبيتها في اسكندافيا وروسيا وكذلك شرق أوربا الأصلي،العديد من المقالات و الإشارات في المجلات المحلية (الغامضه)المغمورة تسجل اكتشاف العملات ، وهذه لم تكن متاحة ، العملات الزيارية الأربعة الموجودة في كتلوج المتحف البريطاني ، ج3، (ص– 1 -12) تعود فقط لوشمكير و قابوس ، والدكتور جون والكر(John Walker) [(2)] كتب إلي في (62/5/30) ان المتحف ما كان عنده سجلات جديدة للزيارين منذ زمن ستالي لين بول (Lane_Poole,S) ، ولكن البرفسور فلاديمير منيورسكي(V.Minorsky)[3]كان قد صنف بما فيه الكفاية لقراءة مخطوطة هذه المقالة واقترح بعض الخطوط للتحقيق وبشكل خاص هو اقترح عدد من المدخلات النقدية للعملات في رقم صومعة المتحف في (لينغراد) معظمها كان رائعا جدا منذ أيام او زمن مايركهوف (MARKOV) انا وفقاً لذلك كتبت الى المراقب لقسم النميات آ.آ. بياكوف(A.A.BYKOV) الذي كان لطيفاً او عطوفاً في تعامله معي ،أرسل إلي بتاريخ 1962/5/24، المعلومات الكثيره المتعلقة بعملة الزياريون، يقول بانه ليس هنالك عملات زيارية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في الصومعة ،في السنوات 1960، 1979، ويدقق الى الأمام 64_ 66، اذ يشير الى درهم زياري واحد من آمل وخمسة من جرجان ، وكل هذه الأشكال تعود الى منتصف القرن الرابع الهجري ، العملة الاولى مجهولة ، اما العملات الأخرى تحمل فقط اسم الخليفة القادر (381هـ ـ 422هـ/991م ـ1031م)، كل الحالات او الإشارات هي ضعيفة وآخر تاريخ معروف هو(369هـ /979ـ980م) الأمين او الحافظ بياكوف يشير الى العملات الزيارية الأخيرة تلك التي تعود الى قابوس ، ويشكك من ان الأمراء التاليون كونهم أصدروا عملاتهم الخاصة ، أخيرا، فان إشارات البرفسور مينورسكي تؤكد ان هنالك أعداد كبيرة للعملات مازالت موجوده في القوقاز ، ولكن على الرغم

---

[1]- هو ليو أريه ماير(ت 1959 (Leo .Aryeh.Mayer)، من كبار المستشرقين المتخصصين في المسكوكات الاسلامية ، ينحدر من اصول يهودية ، درس وعاش في فينا حصل على الدكتوراه من جامعة فينا عن اطروحته تخطيط المدن في الاسلام ، وهو متخصص في فنون الشرق الاسلامي له من المؤلفات ، بيبيلوغرافيا المسكوكات الإسلامية ، والمسكوكات الهندية(المترجم)

[2]- جون والكر ، (John Walkerً)مستشرق متخصص في علم النميات ، تخرج من جامعة جلاسيجو ، وعمل في المتحف البريطاني 1931، ثم عين محافظا للنقود 1956، من اثاره فهرست اثري للنقود العربية ، نقود الجزيرة العربية (نشر في مجلة الثقافة الاسلامية)، ونقود امراء كريت في تاريخ النميات ، لمزيد من التفاصيل ينظر: يحيى مراد معجم اسماء المستشرقين، ص1118.(المترجم)

[3]- هو مستشرق روسي متخصص في الدراسات الايرانية والكردية وتحقيق النصوص التاريخية عمل في جامعة لندن مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية لمزيد من التفاصيل عنه ينظر : العقيقي ، المستشرقون ، ج2، ص537(المترجم)

من إشارات (أي . آ.بيكوموف)(E.A.Pakhomov[1]) من باكو ، لوجود عملات زيارية في الكتلوجات الي وضعها ،هو لم يعطي أي تفاصيل فردية عن ذلك.

وبالتالي فان دليل النميات عن الزياريين المتأخرين منفية كلياً،ان ازدهار الحالة ألاقتصاديه في شرق العالم الإسلامي في فترة ما قبل السلاجقة بقرن كما ذكرها ادم متز في كتابه نهضة الإسلام[2] ، شملت بلا شك عملات الحكام الزياريون الأوائل، على طول الطرق التجارية لروسيا والبلطيق ، صحيح انه في العقود الوسطى واللاحقة للقرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي جرجان وطبرستان تمتعا بالتنوير الثقافي الفعلي: كتاب قابوس نامه ينبثق من ذلك ويبدو إن أجزاء الإقليم لعبت دوراً في تطوير ونشر نوع الخط(المخطوط) العربي الغريب في شرق العالم الإيراني)[3] ، من الناحية الأخرى، الحقبة من الربع الثاني من القرن (11) فصاعدا كانت فترة عدم الاستقرار السياسي وتعطل (اضطراب) الحياة ألاقتصاديه والحياة التجارية ، السلطة السياسية للزياريين تقلصت وتم تخفيضها الى وضع او حالة زعماء الجبال (انظر أسفل 360-361) يبدو للكاتب الحالي ان هذه الحقائق تفسر بوضوح النقص الواضح في العملات الخاصة بالحكام المتأخرين.

السلالة بشكل كامل تم التعامل معها من قبل كلمان هيوارث(cl.Huart) في دراسته (الزياريون) مذكرات أكاديمية للنقوش والرسائل ، 1922، صص 357- 436[(4)]، وكذلك في مقالته بدائرة المعارف الإسلامية هو أيضا يعتمد ، على

---

[1]- هو من كبار علماء النميات في روسيا وجورجان واذربيجان ، والمعروف بعالم النميات في القوقاز، ولد في سترابول روسيا سنة 1880،و توفي سنة 1965، تخصص في النميات والاثار ، عمل في جامعة باكو عن حياته واعماله ينظر Wikipedia..org.YevgeniPakhomv(المترجم)

[2]- ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية بعنوان (الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام) في جزائين من قبل محمد عبد الهادي بو ريدة ، بيروت دار الكتاب العربي (المترجم)

[3]- قارن فراي ، ريتشارد نلسن ، مخطوطه عربية مبكره في شرق ايران ، في (Orienatalia suecrana,III,1954)، صص74.67، (النسخه الاصلية لهذا المقال نشرت في DonumNatalicumH.S.Nyberg Oblatum.Uppsala,1955)

[4]-كلمان هيوارث (Clement Huart)(1854ـ 1927) مستشرق فرنسي ، ولد في باريس وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا وعين مترجما في قنصلية باريس بدمشق كان عضوا في المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي الفرنسي والجمعية الآسيوية ، كان يجيد اللغات العربية والتركية والفارسية ، توفي سنة 1926، من اعماله: مذكرات (وثائق) عن نهاية السلالة الايلخانية ،نشر في المجلة الاسيوية ، القواعد النحوية للغة الفارسية ،ايضا في المجلة الاسيوية ، تاريخ العرب مجلدين ، باريس ، تاريخ بغداد في العصر الحديث ، باريس ، دراويش اسيا الصغرى ، والزياريون في مذكرات اكاديمية للنقوش والرسائل Belles Letters XLII، 1922، لمزيد من التفاصيل ينظر : العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، مصر دار المعارف ، 1964، ج 1،صص 230ـ 232، يحي مراد معجم اسماء المستشرقين ، صص 1092ـ1096(المترجم)

انعكاس كمية المادة في المصادر ،يتم التعامل مع الحكام بما فيهم قابوس بإسهاب، لكن خلفائه يحظون باهتمام ضئيل، معالجة هيوارث كانت مجرد سرد للرواية. مع لمحات في الادب والتاريخ الثقافي ، وفي سطحيته (مسحه) هو غير مناسب لعصرنا الحاضر ، علاوة على ذلك ، كما سنرى، هيوارث اعتمد بشكل أساسي على المصادر الغير معاصرة لأبن اسفنديار ،ابن الاثير وظهير الدين المرعشي[1] ويهمل المصادر المعاصرة التي سوف توضح تاريخ الزياريون المتأخرين .(تفسيرات) تعليقات السير ادورد دينيسون راوس(E.D. Ross)[2] على الزياريين في عمله (ثلاثة سلالات محمدية إسلامية حاكمة في شمال فارس في القرنين العاشر والحادي عشر المنشوره في مجلة Asia(Major,II(1925)،صص(209-11-221)لا تذهب كثيرا ابعد من عمل هيوارث، فهو يستعمل نفس الخطوط (أو سلسلة) المصادر بصفة خاصة قابوس نامه، ابن اسفنديار وابن الأثير. ولا رابون (H.L. Rabino)[3] في أعماله الثمينة الغالية عن الاسر الحاكمة لمقاطعة قزوين .كرس الكثير من انتباهه الى الزياريين ولم يجلب أي شي جديد عنهم.[4]

من الغريب إن أيا من هؤلاء الكتاب لم يستخدم المصادر الغزنوية المعاصرة كالكرديزي والبيهقي ليؤكد تفاصيل المعلومات في أقاليم داهستان، جرجان، طبرستان في العشر سنوات(العقد) (1030-1040م) ، رواياتهم عن حملات مسعود الغزنوي الى تلك المناطق (1030م) تعطي معلومات طبوغرافية غنية، تلقي الضوء على تواريخ الاسرة الزيارية لهذا الزمن .

صحيح ان الجزء المتعلق بذلك عند الكرديزي (زين الأخبار) لم يطبع حتى 1928، بالرغم من ان بارتولد قد لفت الانتباه قبل ذلك بوقت طويل إلى قيمة هذا العمل فيتاريخ خراسان ؛ ولكن كتاب البيهقي (التاريخ المسعودي) كان متيسراً في المتناول منذ طبعة (مورلايز) سنة 1862 والنسخة الخاصة المتعلقة بمقاطعات قزوين كانت بالطبع

---

[1]- ظهير الدين ابن نصير الدين المرعشي(ت 892هـ) مؤلف كتاب تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، تحقيق محمد حسين تسبيحي ، مؤسسة مطبوعاتي شرق ، 1966وهو من المصادر المهمة و المتخصصة بتاريخ طبرستان (المترجم)

[2]- ادوارد دنيسون راوس(E.D.Ross): من كبار المستشرقين البريطانيين هو مستشرق ولغوي متخصص في لغات الشرق للأقصى ، كان مدير مكتب المعلومات البريطانية للشرق الادني ، وهو اول مدير لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن للفترة (1916.1937) ينظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق ، الدراسات العربية والاسلاميات في اوربا حتى بداية القرن العشرين ، ترجمة عمر لطفي العالم بيروت ، دار المدار الاسلامي ، ط2، 2001، صص256 العقيقي ، المستشرقون، ج2، ص ص 520ـ 521 (المترجم)

[3]. هو (Hyacinth Louis Rabino) من علماء النميات في فرنسا ولد في باريس 27يوليو 1877م وتوفي 26/سبتمبر 1950، في مدينة باريس من أعماله : مازندرانواستراباد(المترجم)

[4]- هنالك عبارات لها صله في أعماله مازندرانواستراباد (GMS) لندن 1928، ص141، وتاريخ مازندران (JA)ccxxxiv (1943-5 194)(33-229)

متيسره قبل ذلك الحين في عمل دورن(Dorn)[1] مصادر محلية (إسلامية)حول تاريخ البلدان الساحلية الجنوبية لبحر قزوين(سان بطرسبورغ،1858) شكوى بارتولد من ان البيهقي استعمل بشكل غير كاف من قبل العلماء(تركستان حتى الغزر المغولي(ص ص 23- 24)، هو كان بالتأكيد يذكر حقائق صحيحة عن تاريخ إقليم قزوين .

منو شهر ابن قابوس توفي في الحقبة بين غزو محمود الغزنوي الى الري والجبل في (420هـ/1029م)، والملك السلطان توفي في ربيع الثاني (421هـ/ابريل 1030م): بعد وفاته مباشرة محمود ثبت ابن منو شهر انوشروان في مقاطعاته في التقدير (الاحترام). سابقاً، منوشهر كان بحذراً يدعم مسعود، القوة والإمكانيات الواسعة لأبناء مسعود الاثنين: لعدة سنوات هو كون علاقات سرية معهم، وعندما محمود توفي (نحن يجب ان نفترض ان منوشهر نفسه توفي فجأة بعد هذه المسالة) هو كان قد حصل على وثيقة تقليد منصب من مسعود على أن يكون السلطان الوريث الأكثر احتمالاً . بسبب هذه الصلة، الغزنوي وافق وراثة انوشروان وبثقته كان مطمئننا : ولكن في بداية حكمه، مسعود تظاهر بان يكون قلق بسبب الشاب انوشروان بأنه كان غير ناضج تماماً ويعوزه صفات ضرورية للحكم[2](ان كودك بسر ـ منوشهر نيامد هاست جونكه بابدفيدار سراش حمت ـانا ملك نيست[3]جورجا نوداهستان)، وهذا الاخير معروف برباطه ، كان رئيس الإقليم والثغر، في الدفاع عن شمال ايران في ذلك الوقت ضد ما يدعى بالعراق التركماني،بالقرب من جبال بلخان كوه(Balkhankuh)[4] هو منذ السنوات الأخيرة لحكم محمود، كان يهاجم على الحدود الشمالية لغزنوي خراسان.

---

[1]- هو بوريس اندرفيتش دورن(Boris Andreevich Dorn) (1805.1881م) مستشرق روسي من اصل الماني، ولد في شونفيلد بالمانيا في 29/ابريل /1808/وتوفي في 19/ مايو /1881م/في سان بطرسبرغ في روسيا ، تخرج باللغات الشرقية ودرسها في ليبزج ثم استدعاه القيصر للتدريس في جامعة خاركوف(1829ـ1836) ثم في جامعة بطرسبرج وولاة الاشراف على المكتبة ألآسيوية والتحف الامبراطوري ، ولكي يحسن القيام بوظيفته قصد هامبورغ واقام فيها ثمانية اشهر ، ثم لندن فقضى فيها سنتين ثم اكسفورد ، ثم باريس متخصص في فقه اللغة الايرانية والسامية وتاريخ شعوب الافغان منطقة ساحل بحر قزوين، ينظر العقيقي ، نجيب ، المستشرقون ، مصر ، دار المعارف ، 1965، ج3، ص937.(المترجم)

[2]- البيهقي ، التاريخ المسعودي ، تحقيق ،جيبانوفييباد (طهران 1945/1324)، صص 8.135، (نقلا عن الخواجه ابوسعد عبد الغافر)204، ابن الاثير ، تحقيق تورنبرغ، ix، 262 ،5.284.

[3]والترجمة العربية لهذا النص الفارسي ما معناه (هذا الطفل ابن منوشهر ، لايصلح ، لانه لا يملك همة الحكم) ينظر : البيهقي ، تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ص359، (المترجم)-

[4]- وهي سلسلة جبال بين ايران وتركستان تعرف بهذا الاسم الى اليوم ، عنها ينظر البيهقي ، تاريخ البيهقي، صصص 395،68، 421، 369،323، 475، (المترجم)

من ناحية اخرى، الرسالة وصلت الى غزنه في (ربيع الثاني 433هـ/مارس ابريل 1032م) تقرر ان انوشروان كان قد سم عن طريق خاله ابو الكاليجار و القائد في رئاسة جيش منوشهر ، ولكي لاسليل رجل من سلالة بيت مرداويج و وشمكير بقى يذكر، الأخبار جعلت مسعود غير قلق، هو ثبت ابو كاليجار كحاكم تابع للحكم في جرجان وطبرستان ،وإمكانية الحكم القوي في ألمقاطعه كان من المتحمل مرحبا به، في السنة التالية، (في رجب 424هـ/1533م) تزوج مسعود في نيسابور إحدى بنات ابو كاليجار وبالتحالف الذي انسجم الى حكم الملك السابق، وعندما أحدى بنات السلطان محمود تزوجت منوشهر)[1] في الحقيقة انوشروان لم يكن ميتاً ،كما يبدو مؤخرا من البيهقي وابن الأثير، ولكن اباكاليجار كان في الحقيقة الحاكم الفعال (المؤثر) في مقاطعات قزوين لبقية العقد (العشر سنوات)، مع انوشروان جرد من القوة الفعلية ، ابن اسفنديار ، ويتبعه ظهر الدين ، لا يذكروا انوشروان مطلقا، ولكنهم يجعلوا ابو كاليجار ابن منوشهر الذي خلف اباه في وفاته الأخيرة في سنة(424هـ/1033م):هم هكذا يربطون ابو كاليجار بالسلالة الزيارية[2] .

من كان بالضبط ابا كاليجار؟ لبعض الافكار (الاشارات) المحتملة، نحن يجب ان ننظر سريعاً الى الحقبة اللاحقة من مهنته ، كتابع للغزنويين، سلوكه أثبت انه غير مرضي، في شهر صفر يناير/ كانون الثاني (426هـ/1035م) جهز مسعود حملة الى ساحل قزوين يأمل ان يحصل فيها على الطعام والعلف،ذلك للصعوبات التي يمر بها الجيش الخراساني ، وان ينتزع الثقل المالي من مدينة آمل[3] وان يسترد السنتان المتأخرتان من الجزية وان يسحب الديون المتبقية على ابا كاليجار، ان تفاصيل هذه الحملة الربيعية توثق مباشرة من قبل البيهقي . وبدرجة اقل من قبل الكرديزي، جيش السلطان اخترق بصعوبات خلال المستنقعات والأدغال للسهول الساحلية،في اقصى غرب ناتل ورويان ، الآن انوشروان يظهر مرة أخرى: ابا كاليجار تراجع خاسراً من قبل الغزنوين، برفقة انوشروان

[1]- العتبي التاريخ اليميني مع حاشية المنيني ، (القاهرة 1869/1286)ج2، 181،قارن ، البيهقي ،صص9.208، 387، 5.394، حمزه بن يوسف السهي ، تاريخ جرجان (حيدر اباد، ص1369، 1950)411، مجمل التواريخ والقصص، تحقيق بهار (طهران1381/ 1939)ص402، ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان ،باختصار و ترجمة ادورد براون، (لندن 1905)ص4.233، ظهير الدين المرعشي ، تاريخ طبرستان ورويان ومازندران تحقيق shayan(طهران 1954/1333)ص142.

[2]- ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان ص235، ظهير الدين،ص143.

[3]- مدينة امل : وهي من اهم مدن طبرستان ، مدينة مشهورة ينظر : ابن اسفيندیار ، تاريخ طبرستان ، ترجمة احمد محمد نادي ، القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافة ، 2004، 78القزريني ، زكريا بن محمد بن محمود ، اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت دار صادر ، ص286 (المترجم)

وبعض الحكام المحليين ، ضمنهم مرداويج الاول وامير استراباد، شهراكيم بن سوريل او(شوريزال)[1]، كان نصر مسعود في نهاية المطاف انتصارا باهض الثمن تجاوزات جيشه أبعدت السكان المحليين[2] ، وبعد رحيله موقف ابو الكاليجار اصبح قوي اكثر من أي وقت مضى،قدم الاخير للسلطان ، ووعد بارسال ابن اخر الى البلاط الغزنوي كرهينة، وبموجب الكرديزي نجل شقيقه شهرو بن سرخاب تم إرساله ايضا كرهينة)[3]من الإشارات المتناثرة عند البيهقي ، نحن نعلم ان ابا كاليجار، استمر في حكم جرجان وطبرستان في ظل السيادة الغزنوية ، السلطان ، مهدد كما كان من قبل السلاجقة ، شعر انه مضطر للتصالح معه ، ابا كاليجار من جهته ، ارسل الهدايا ، وفي صيف عام 429هـ/1038م، احتمى في استرا باد لاجئنا (هاربا) من الحاكم المدني الغزنوي للري وخراسان ابو سهل الحمدوني[4]، وابو الفضل سوري ، الذين فروا هربا أمام السلاجقة ، تم ذكره آخر مره في هذا المصدر في جمادي الثاني 431 هـ/ مارس 1040م ، عندما أرسل له مسعود كسوة الشرف (رداء الشرف) مقابل خدماته [5].

وفي الوقت نفسه نحن لم نسمع الشئ الكثير عن انوشروان عدا إشارات ابن الأثير في سنة 433هـ/1041م ـ2، احتلال طغرلبك السلجوقي لجرجان وطبرستان لتلك السنة، روايات ابن الأثير[6]تنص على ان

---

[1]-نص الكرديزي ، تحقيق محمد ناظم (برلين، 1928)، عنده سوريللشوزيل =شورزيل(قلب الاسد)، حيث ، طبقا الى جوستى(jusit) الأسماء الإيرانية ،ص277، الديلم من الديل ؛ طبقا لحمزة الاصفهاني البويهونجاؤا من قبيلة الديلم شيرزيل (قارن موركهارت

[2]- يذكر الكرديزي ان السلطان مسعود استولى على المدينة واغار حنوده على المدينة وقدم الناس الية ضارعين متالمين يشكون ظلم جيشه فامر السلطان بكف يد الجيش عن النهب والسلب وضرب خيمة بباب آمل وارسل الرسل الى اباكاليجار وتوسط الناس حتى تم الصلح على ان يدفع الاخير في الحال ثلاثمائة الف دينار ، ويعطي الخراج كل عام وان يجعل الخطبة في جميع انحاء طبرستان للامير مسعود ويسلم الرهائن ، فارسل ابا كليجار الاموال الى الامير وارسل ابنه وابن اخية شهرو بن سرخاب مع الرهائن ، ينظر الكرديزي ، ابو سعيد عبد الحي ، زين الاخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، القاهرة الهيئة العامة لمطابع الشؤن الاميرية ، المجلس الاعلى للثقافة ، 2006، ص279.(المترجم)

[3]- البيهقي ،صص ،444، 64.451، 69.468، الكرديزي ، 100.99، الاشارات القصيرة للحملة او البعثه تجدها عند ابن اسفنديار وظهير الدين

[4]- ابو سهل الحمدوني واحيانا الحمدوي، كان من ابرز المشرفين في الدولة الغزنوية وقد شغل منصب الوزير في عهد السلطان محمد ابن السلطان محمود ، ولما ولي السلطان مسعود بن محمود عزله عن الوزارة واسند الية منصب المشرف على المملكة ، ينظر البيهقي ، التاريخ البيهقي ، ص ص،169،159،96، الفقي، عصام الدين عبد الرؤف ، تاريخ الاسلام في جنوب غرب اسيا في العصر التركي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1975،ص154.(المترجم)

[5]- البيهقي ، صص، 548،502ـ589،50.610،90

[6]- ينظر نص الرواية : (في هذه السنة ملك طغرلبك جرجان وطبرستان ، وسبب ذلك ان انوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير صاحبها قبض على ابا كاليجار بن ويهان القوهي صاحب جيشه وزوج امه بمساعدة امه علية فعلم حينئذ طغرلبك ان البلاد لاما مانع

انوشروان اعتقل قائده العسكري ابو كاليجار ابن ويهان القوهي، وعلى نصيحة امه الملكة، تزوج ام أبو كالجيار، طغرل اعتبر ان البلاد او المنطقة يجب ان تكون محمية أو منعزلة وجاء مع مرداويج ابن بشو اوبسو[1] القائد السابق للغزنوين واستولى عليها ، مرادويج تزوج ام انوشروان ومن الآن فصاعداً انوشروان حاكم تحت مراقبة مرداويج وكان لم يعارضه بأي شيء ابداً)[2]، معلوماتنا عن تاريخ وفاة انوشروان غير مؤكدة، التاريخ المؤكد يظهر واضحاً عند ياقوت هو يقول ان انوشروان توفى في سنة(435هـ/132م) ثم خلفه ابن انوشروان : الاخير توفي في سنة (435هـ/1043م ــ1044م)وورثه ابنه حسن[3]،ولكن وجود حسن هذا لم يثبت خلاف ذلك، احياناً ومن المحتمل ان انوشروان حكم حتى 441هـ/1049م او 1050م) طبقا لابن اسفنديار، ابن عمه كيكاوس ابن اسكندر وصل الى السلطة في الأقسام الجبلية للمنطقة[4]، من الناحية الأخرى في فصله بكتاب قابوس نامه، في تربية الولد كيكاوس يتحدث عن والده[(5)] باعتباره يمارس صلاحيات الحكم المستقل مثل منح رداءات الشرف ، وهو الذي ربى ابنه على

له عنها فسار اليها وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نازلها فتح له المقيم بها فدخلها وقرر على أهلها مائة الف دينار صلحا وسلما الى مرداويج بن بسو وقرر علية خمسين الف دينار كل سنة عن جميع الأعمال وعاد الى نيسابور وقصد مرداويج بسارية ، وكان بها فاصطلحا على ان ضمن انوشروان له ثلاثين الف دينار وأقيمت الخطبة لطغرلبك في البلاد كلها وتزوج مرداويج بوالدة انوشروان وبقي انوشروان يتصرف بامرمرداويجلايخالفه في شي البته)ابن الاثير ابي الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ) ، الكامل في التاريخ تحقيق محمد يوسف الدقاق ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط4، 2003 ج8، ص250.(المترجم)

[1]- من كبار القادة والأمراء عند السلطان مسعود الغزنوي كان سباشي وقاد حملة جهزها السلطان مسعود نحو مرو وأغار عليها ضد السلاجقة فأصاب جيوشه ودوابه التعب فانهزم أمام جيوش السلاجقة كما شارك في حملات السلطان مسعود لطبرستان وجرجان يصفه ابن الاثير بانه جبانا، يرد اسمه أحيانابشووأحيانابسو ينظر ، ابن الاثير (محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ) الكامل في التاريخ ، مراجعة وتصحيح ، محمد يوسف الدقاق ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج8، صص 257،240_258، (المترجم)

[2]- ابن الاثير ، جIX ، 340، هيوارث، الزياريون، 418ـ419.

[3]- ارشاد، ج6،ص 145، في ترجمته لقابوس بن وشمكير من المحتمل ان ياقوت استمد معلوماته من الوزير البويهي زين الكفات ابو سعد منصور بن الحسين الآبي، الذي يستشهد به ليس فقط في هذه الترجمة ، بل في مواضع أخرى في الارشاد وفي معجم البلدان ، الآبي توفي احيانا تعطي في سنة 421هـ/1030م(مثال الصفحات ج،1، 429ـ30، وفي بارتولد تركستان ص8)، ولكن هو احيانا يظهر انه حيا بعد ذلك ، وعند الثعالبي في تتمة اليتيمة يكتب بعض الأحيان بين سنة 424هـ/1033م، وكذلك 1038/429، كشخص حي وقوي، قد يكون التقييم متصل بمعلومات الآبي عن شؤون الزياريين من ملاحظات اخية ابو منصور محمد وزير ملوك طبرستان (ياقوت ، البلدان ، تحقيق ونستفيلد، ج1، ص 57، تحت عنوان ابو)

[4]- ابن اسفنديار ، صص،235ـ236

[5]- ينظر : عنصر المعالي كيكاوس بن اسكندر ، قابوس نامه ، تعريب محمد صادق نشاة ، امين عبد المجيد بدوي ، القاهرة ، مكتبة الا نجلو مصرية ،ط1958،1، صص 142ـ44، (المترجم)

التقاليد الملكية ، الانقسام والتجزؤ في السلطة في مقاطعة قزوين أثناء العقد الخامس للقرن الحادي عشر قد يساعد في تفسير هذا الارتباط الواضح في الأراضي الساحلية المنخفضة كان هناك مرشحين السلاجقة للمناصب كحكام، من المحتمل مع استمرار انوشروان كملك اسمي : في مناطق الجبال الداخلية ، اسكندر بن منوشهر نجح في إضفاء الطابع الشرقي على نفسه ، على الرغم من عدم وجود معلومات محدده ، هذا يمكن تخمينه فقط مما يقوله في قابوس نامه نفسه ، قضى الكثير من حياته بعيدا عن المقاطعه في خدمة مودود ابن مسعود الغزنوي (433هـ ـ1041/444م ـ 1050م)والشدادي ابو الأساور شاور بن الفضل[1](413هـ-49هـ) (1022م-67م).[2]

الكرديزي وابن الاثير كلاهما يعطينا اثنان من صلاة القرابة عن ابالكاليجار واحده لسرخاب والاخرى (لويهان) ، ومن معلومات البيهقي انه كانت ام انوشروان (عمت او خالت امه)واستنتج ان أخته كانت ايضا زوجة انوشروان بن قابوس ، انا غير قادر على توضيح اسم (ويهان) (waihan) ولكن يجب على اية حال الاعتماد في بعض الاشارات على الكرديزي الذي كان غالبا مرافقا للجيش الغزنوي ، والذي ربما كان حاضرا كما في البيهقي بشكل مؤكد ، في حملة مسعود لقزوين لتحقيق السلطة والطاعة في المقاطعه، لابد ان ابالكاليجار كان لدية السلطة وبعض المكانة المحلية ، الآن اسم والده سرخاب(سهراب(Suhrab) يمتلك صبغة حمراء؛ جستي(Just)[(3)]صص312ـ13)يذكر انه جداً مألوف بين الباونديين، اصبهذات الباونديون كان جيران الزياريون، الخط الاول للسلالة ذلك هو كيوس[4](kausiyy) حكم من فريم(Firrim) وشيراركوش(shariyar) في الجبال الجنوبية الغربية من مدينة سارية Sari () بين القرن السابع واوائل القرن الحادي عشر، نسب ابن الاثير لابي كاليجار الكوهي، يشير الى الاتصال مع المناطق

---

[1]- هو ابو الاسوار او الاساور او ابو السوار الشدادي بن فضلون ، احد ملوك اران وزامنستان في القرن الخامس الهجري ، وكان مقره مدينة كنجه وله حروب كثيرة مع الارمن والروم توفي سنة 459هـ ، ينظر كتاب قابوس نامه ، ص72(المترجم)

[2]- قابوس نامه ، تحقيق ليفي(Levy)، (لندن ،1951)صص24_25، 135_ 7،ترجمة ليفي في مرايا الامراء (لندن 1951،صص35_120،37_1، 234_5، قارن ميورنسكي، دراسات في تاريخ القوقاز (لندن 1953،) صص، 64،56،و بالفارسية ، قابوس نامه ،تحقيق (Badavi) (طهران 1985/1335)ص29-81

[3]- هو فرديناندجستي(Ferdinand Justi)، مستشرق الماني ، ولد في 2يونيو 1837، في مدينة ماربورغ ، وتوفي في 17/فبراير ،1907، كان لغويا بارعا ومستشرق انهى دراسته في علم اللغه من جامعة ماربورغ ، وجامعة غونتغن في عام 1869اصبح استاذا متفرغا لعلم اللغة المقارن وعلم اللغة الجرماني ، من اعماله :القاموس الكردي ـ الفرنسي بطرسبورغ ،1879م، تاريخ بلاد فارس القديمه ، برلين 1879،قواعد اللغة الكردية ، سانت يطرسبوغ 1880، تاريخ الشعوب الشرقية في العصور القديمة، برلين 1884، الاسماء الايرانية ، ماربورغ ،1884 (المترجم)

[4]- كيوس كان على رأس سلالة ال باوند في طبرستان ، وكان رجلا ذا صلابة وشجاعة وبسالة وسماحه وآن له اهل الولاية فطهر بمعاونتهم كل خراسان من الاتراك ، ينظر ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان،ص158، (المترجم)

الجبليه الداخلية و ليس مع الأراضي الساحلية المنخفضة[1] ، الباونديون والزياريون كانت لديهم علاقات وثيقه في اوائل النصف من القرن الحادي عشر ، الاصبهذ شهريار ابن بن شروين بن رستم[2] كان عم او خال قابوس ابن شمكير، كما في البيروني يربطها بفخر او علا نحو مبتكر بالعلاقة وكان هو قادر على ربط راعية قابوس بنسب الساسانين ، التالي ،شهريا ابن دارا (Dara) (ت397هـ-1006 أو 1007م) كان حليفا لقابوس ورافقه في منفاه الخراساني حوالي (371هـ-981/88م-982م) الى سنة 998م، كان لدية ولدان رستم وسرخاب، والاول كان ملازما لوالده ، في مقاطعة فاريم (Firrim) و(شهريار كوه)، انا اقترح ان ابوكالجيار واخوه شهرو(Shahurai) كانوا اثنان من ابناء كيوس الباوندين، ابناء سرخاب هذا، بالرغم من ان ابن اسفنديار وظهير الدين لم يشيروا لهؤلاء ، سموا فقط سرخاب ابن قارن ، الذي كان له سلطة في الجبال خلال حكم الب ارسلان[3]، زواج اختهم من منوشهر ابن قابوس سوف يشكل تحالف طبيعي بين البيتين الباوندي والزياري، عضوية الاسرة الباوندية القديمة كانت تدعي ان اصولها من الاسرة الساسانية المالكة ، هذا من شانه ان يوضح تمسك (احتفاظ) ابوكالجيار على سكان جورجان وطبرستان ذلك التمسك الذي يمكن تمييزه(ملاحظته) بشكل تخطيطي من صفحات البيهقي، من جانبهم الزياريون كانوا ديالمه اثرياء ومغامرين جدد .

اما بالنسبة الى تحالف ابي كاليجار وشهركام، من المحتمل ان النقطة الوحيدة ذات العلاقة لتعين ذلك الاسم الشائع بين ال باودسباون،[4]هو الحكم في غرب طبرستان في مناطق رويان، رستمدار، نور،وكجور ،جستي(JusTi)إشاراته إلى ثلاثة أسماء من آل باودسباوندين (Baduspanids) مع هذا الاسم[(5)].

التعقيد(التركيب) النهائي المتبقي، ذلك الذي يتعلق بالابن الآخر لقابوس، دارا(Dara) ، دارا ، قاتل في الحروب في خراسان بين السامانيون المتأخرين،قائدهم المتمرد ومحمود الغزنوي ، أثناء حكم أخيه منوشهر، هو

---

[1]- راوس ، ثلاث سلالات محدية ، ،ص 210، 2، يأخذ هذا نسبة الى شخص كردي اعتمادا على إشارته الى الأكراد القوهية عند ابن الاثير ج,IX، ولكن بالتاكيد قوهي في كلا الحالات هو هنا مصطلح عام يشير الى ساكن الجبل وليس لاسم قبيلة

[2]- الاصبهذ شهريار بن شروين ابن رستم (المترجم)

[3]- البيروني ، كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ترجمة ساخو لندن ، 1879، ص47، ابن اسفنديار ، ص 238. 239، كازنوفا، الاصبهبذفاريم مقال الى ادوردجرونفيل براون (كامبريدج، 1922)صص 117. 126، رابون (Rabino)، سلالات مازندران ، المجلة الآسيويه (J.A)1936 / OOXXVIII، صص 416. 421.

[4]ال بادوسبان ، سلالة حكمت عبر فترات في رستمدار (رويان ، ونور، وكجور، في طبرستان هم بادوسبان او بنو بادوسبان او احيانا البادوسبانيون ، يظر : زامباور ، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة ، زكي محمد حسن بك ، وحسن احمد محمود ، بيروت ، دار الرائد ، صص290.292، (المترجم)

[5]-جستي، الاسماء الايرانية ، ص276، قارن رابون،Rabino، في المجلة الآسيويهjA، (1936،صص 455.461

كان محمي من قبل السلطان الغزنوي، الذي احتفظ كحارس ليطلق العنان له إذ اثبت منوشهر متمرد، وفي سنة (407هـ/1018) هو كان في بلاط محمود في بست[1]، ولكن الكرديزي والبيهقي لم يذكروا دارا (Dara) في حكم مسعود بمعنى اخر، بعد (1030م). ويخرج عند ابن الأثير تحت سنة 426هـ/1035م، هو يذكر هنالك ان مسعود قام بتثبيت دارا (Dara) كحاكم في جرجان وطبرستان و دارا (Dara) كان قد تزوج ابنة ابوكالجار، قادة الجيش اثنان منهم تحالفوا مع علاء الدولة كاكويه(kakuyid) حاكم أصفهان. ومع فرهاذ بن مرداويج الديلمي حاكم بروجرد، ومن المحتمل سليل الزياريون وتمردوا ، وكان هذا سببا في قيام حملة مسعود في سنة 1035م، بعد حملته، السلطان ثبت دارا (Dara) وابو كالجيار في الحكم مرة اخرى[2].

هيوارث في بحثه الزياريون لا يحاول مطابقة القصة مع المعلومات المعطاة في مكان آخر حول انوشروان وابوكالجيار، راوس(E.D.Ross) في كتابه ثلاثة سلالات محمدية ، يفترض ان دارا Dara الاسم البديل لكلاهما انوشروان والاسكندر ابن قابوس، التحديد الاول مستحل لأننا نعلم ان دارا (Dara) قاتل الساماني نوح ابن منصور (ت387هـ/579م) و انوشروان كان مجرد طفل في عام 1030م(انظر فوق ص358) . التحديد الثاني محتمل ولكن مشكوك فيه ،لحياة ابن اسكندر كيكاوس. كما يشير راوسRoss ، على الأقل حتى سنة(475هـ/1082م)، التاريخ الذي بدأ كتابة قابوس نامة، في ذلك الوقت هو كان عمره 63 سنة هذا التحديد سوف يعطي الفترة الطويلة المشتركة لحياة الوالد والولد، في شرح هذه المعلومات عند ابن اسفنديار وعند(ظهير الدين) ان منوشهر كان قد خلفه ابنه ابو كالجيار ، (انظر فوق ،ص 359) يقترح راوس(Ross) من ان أبو كالجيار وانوشروان كانوا شخصا واحد،على ما يبدو انه تتبع جدول جستي(Justi)، ص441 ، ولكن هذا واضحاً من البيهقي ذلك إنهما كان شخصيتان منفصلتان . أنا أود أن اقترح إن راوس (وزامباور في معجمه ص210-211) كانوا غير صائبين في الاعتماد على ابن الأثير، معلوماته عن حوادث سنة (1035م) هي غير مؤكدة او غير موثقة وصعبة التصديق .

[1]- العتبي ، اليميني ،ج 2، صص 187ـ192، ابن اسفنديار ، صص، 234ـ235، ابن الاثير ، جIX، ص207، قارن هيوارث ، الزياريون ، صص 420ـ421، ومحمد ناظم حياة وعصر السلطان محمود الغزنوي (كامبريدج، 1931)ص 78

[2]- ابن الأثير ، IX ، ص301، هيوارث ، الزياريون صص424_ 7، يفترض فرهاديالزياري بسبب هو كان ابن مرداويج لكن هذا كان اسم شائع بما فية الكفاية عند الديالمه بشكل عام

شمس المعالي قابوس بن وشمكير
ت(403هـ/1012-1013م)

شهريار بن دارا
ت(397هـ/1006-1007م)

رستم

سرخاب

اسكندر حكم في الجبال دارا فلانه بنت محمود الغزنوي فلك المعالي منوشهر = فلانه ابوكاليجار شهرور كران

ت(420هـ/1029)
أو (421هـ/1030م)

عنصر المعالي
قابوس
حكم سنة 443هـ/1049-1050م
كتب كتابه قابوس نابه سنة 475هـ
1082-1083م

أنوشروان (ت443/1049م)
حكم حتى سنة 433هـ/1041م
الى 1042م في ظل أبو كاليجار
وفي ظل السيادة السلجوقية

فلان
في ظل حكم مسعود بن محمود الغزنوي

حسن طبقاً لياقوت*
حكم في سنة 435هـ/1043-1044م

جلان شاه
حكم خلال إسماعيلية الموت
ت(483هـ/1090م)

صمت المصادر الغزنوية المعاصرة اظهر (أثبت) اننا يجب علينا ان نتجاهل او نهمل دارا (Dara) الغامض.كما رائينا (فوق ،ص358)، يقول البيهقي انه لم يبقى ذكر(رجل) زياري بعد التسمم المزعوم لانوشروان[1].

علماء الأنساب للزياريين المتأخرون، مع محاولة التوضيحات ألمقدمه في هذا المقال هي واضحة في اللوح(المخطط).[2]

[1]- ينظر نص البيهقي(وصل الخبر بنعي انوشروان بن منوجهر في جرجان ، وقيل ان موته كان بسبب المؤامرة التي كانت بين خاله ابي كاليجار وبين كبير حجاب منو جهر لقتله بالسم ولم يكن هذا الطفل قد بلغ الحلم ليستطيع منازعة باكاليجار الملك ، ، كما ان الرسائل التي جاءت الى غزنه تشير الى انه لم يبقى من سلالة مرداويج وال وشمكير ابناء ذكور يمكن اسناد الملك لهم) البيهقي ، التاريخ البيهقي ، ص359(المترجم)

[2]- منذ ان كتبت هذا المقال انا تمكنت من رؤية مقالة مفاز الله كبير 0 تاريخ الزياريون في طبرستان وجرجان (927-8 1090-91) المنشور في مجلة الجمعية الآسيوية ، باكستان ، (journal of the Astatic Society of Pakistan)مجلد، 1960، 1-20، يتداخل كليا مع دراسة هيوارث السابقة ، ويعتمد نفس المصادر ، ويتعامل مع أحفاد قابوس بشكل مختصر (صص 15-16) والمؤلف لم يعطي اشاره الى المشاكل المتعلقه بحوليات الحكام المتأخرين

مخاطبات وموافقات بشان الترجمة

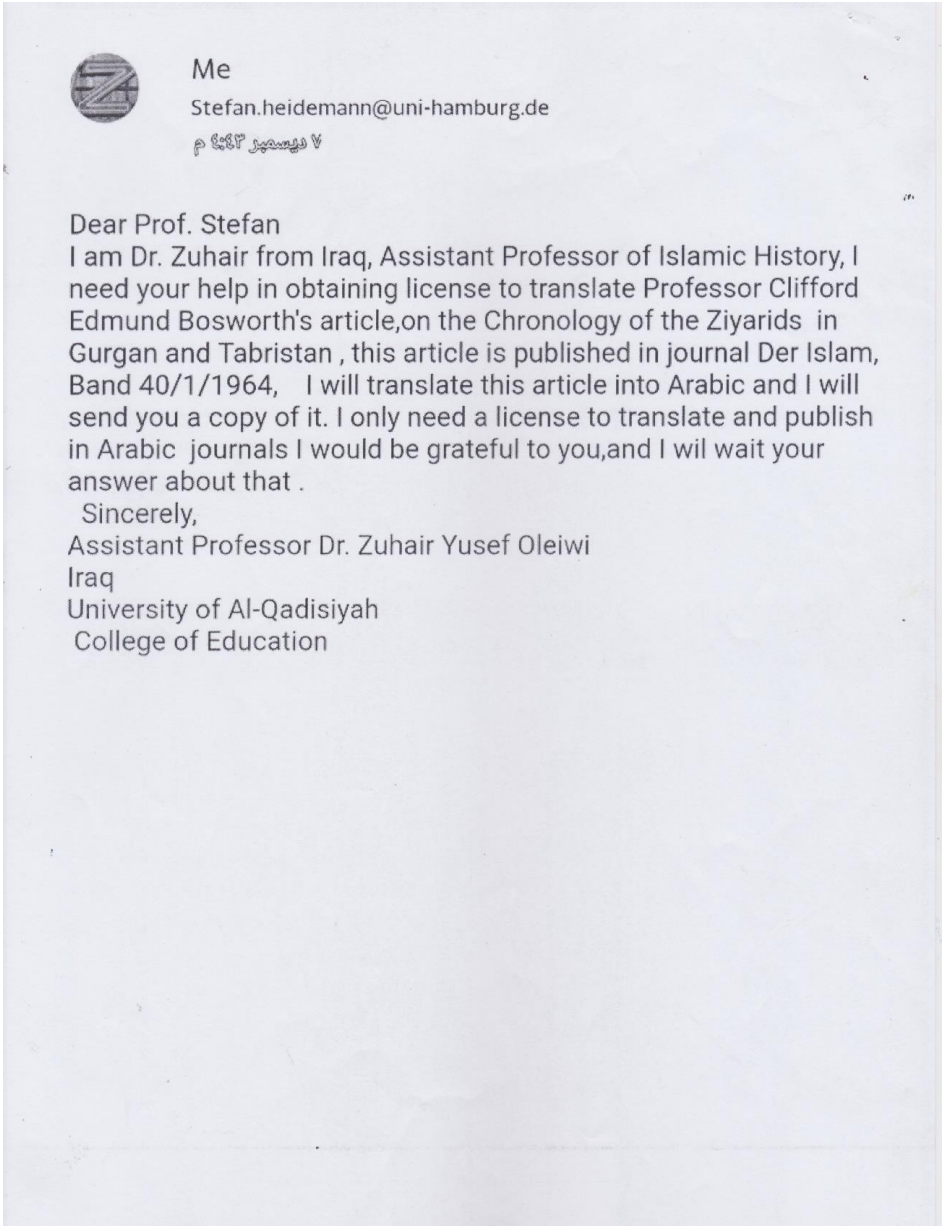

Me
Stefan.heidemann@uni-hamburg.de
٧ ديسمبر ٢٠٢٠ م

Dear Prof. Stefan
I am Dr. Zuhair from Iraq, Assistant Professor of Islamic History, I need your help in obtaining license to translate Professor Clifford Edmund Bosworth's article,on the Chronology of the Ziyarids in Gurgan and Tabristan , this article is published in journal Der Islam, Band 40/1/1964, I will translate this article into Arabic and I will send you a copy of it. I only need a license to translate and publish in Arabic journals I would be grateful to you,and I wil wait your answer about that .
Sincerely,
Assistant Professor Dr. Zuhair Yusef Oleiwi
Iraq
University of Al-Qadisiyah
College of Education

طلب المترجم الإذن والرخصة بترجمة ونشر المقال من البرفسور ستيفان رئيس تحرير مجلة الإسلام الألمانية (Der Islam)

license

Heidemann, Prof. Dr. Stephan
Me
٨ ديسمبر ١:٣٠ ص

Dear Dr. Oleiwi,

I will speak with the publisher, and coming back to you.

In which journal would it be published?

Best as always

Stefan

Stefan Heidemann
Professor of Islamic Studies

Universität Hamburg, Asien Afrika Institut
Edmund-Siemers-Allee 1, Ost
20146 Hamburg, Germany
T +49 (40) 42838 3181 or 3178, 3180 (administrative office)
T +1 (347) 537 2535
E stefan.heidemann@uni-hamburg.de
W www.aai.uni-hamburg.de/Heidemann

The **RomanIslam** Center for Comparative Empire and Transcultural Studies
W www.RomanIslam.uni-hamburg.de

جواب البرفسور ستيفان بالانتظار لحين اخذ موافقة الأعضاء الآخرين في المجلة

License to translate and publish an article

Heidemann, Prof. Dr. Stephan
Me & Wagenhofer, Sophie
٩ ديسمبر ٢٠٢٨ م

Dear Colleague,

I just communicated with the publisher. You are free to translate and publish it, with the reference to its source.

Kind regards

Stefan

Stefan Heidemann
Professor of Islamic Studies

Universität Hamburg, Asien Afrika Institut
Edmund-Siemers-Allee 1, Ost
20146 Hamburg, Germany
T +49 (40) 42838 3181 or 3178, 3180 (administrative office)
T +1 (347) 537 2535
E stefan.heidemann@uni-hamburg.de
W www.aai.uni-hamburg.de/Heidemann

The **RomanIslam** Center for Comparative Empire and Transcultural

جواب البروفسور ستيفان بأنه اتصل ببقية الأعضاء فأجابوه بأنني حر في ترجمة المقال ونشرة بأي دورية او مجله

permission for translation

Wagenhofer, Sophie
Me
١٩ ديسمبر ٢٠٢١ م

Dear Professor Oleiwi,

herewith we grant you permission to translate Clifford Edmund Bosworth's article on the Chronology of the Ziyarids in Gurgan and Tabristan into Arabic and to publish it in Arabic journals.

Kind regards,

Sophie Wagenhofer

Dr. Sophie Wagenhofer
Senior Acquisitions Editor Islamic Studies

DE GRUYTER

Genthiner Str. 13

10785 Berlin, Germany

T +49 (0)30.260 05-268

F +49 (0)30.260 05-330

sophie.wagenhofer@degruyter.com

www.degruyter.com

Walter de Gruyter GmbH. Genthiner Str. 13. 10785 Berlin.

Trash Archive Move Reply More

رسالة ألسيده صوفي وينجنهوفر بترخيص الترجمة والنشر(عزيزي الدكتور زهير بموجب طلبك نمنحك بترجمة مقالة البرفسور كليفورد ادموند بوزورث ، في حوليات الزياريين بجرجان وطبرستان ونشرها في المجلات العربية)

ISSN:2707-8183 المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد 16 مايس ايار لسنة 2021

Réinventer l'Europe :

Regards croisés des voyageurs arabes au XIX^{e} siècle

Neffeti Adel:

docteur et chercheur en histoire culturelle Maghrébine et méditerranéenne à la faculté des Sciences humaines et sociales de Tunis.

Abstract

Our text should be dealt with in the context of " *re- exploring Europe: the intersections of the Arab explorers vision of the nineteenth century*", which is part of my research interests in a general, intellectual and historical workshop concerned with cultural images that are produced and exchanged between people and cultures. In reality, these images and conceptions occupy a pivotal place in figuring and mapping out the nature of the connections and relations between cultures and political entities in the past and in the present. The Arab and Islamic world in return produced for itself mental images of other people especially those who differ with them in religions and ideological references. In fact, this has been clearly visible since the establishment of the Islamic state in Medina where the concept of the muslimego began to be distinguished from the misbeliever or infidel other. Such Islamic viewpoint exists in the classification of people especially those who contradict them in religion. However, that should not lead us to generalization and absolution as a result of the emergence some local circumstances that directed the Arab – Islamic perspective in volatile periods.

Key words: *Europe – cultures – the occidental towns - religion– Mediterranean*

ملخص

يندرج نصنا الموسوم ب"إعادة استكشاف أوروبا: تقاطعات رؤى الرحّالة العرب للقرن التاسع عشر" ضمن مشغل فكري وتاريخي عام يعنى بالصور الثقافية المنتجة والمتبادلة بين الشعوب والثقافات. وهي صور وإنتاجات قد أثبتت قدرتها الهائلة على الثبات والاستمرارية في الأذهان وتحتل مكانة محورية في رسم طبيعة الصلات والعلاقات بين الثقافات والكيانات السياسية قديما وحديثا. ولقد أنتج العالم العربي والإسلامي بدوره صورا ذهنية عن الشعوب الأخرى وخاصة منها الشعوب التي تتباين معه في المرجعيات الدينية والعقائدية، إذ بدا ذلك بشكل واضح منذ تأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة حيث بدأ مفهوم "الأنا المسلم" يتمايز عن "الآخر الكافر" و"الذمي"، وظلت تلك المعاينة في تصنيف شعوب العالم من وجهة نظر إسلامية قائمة في تصنيف الشعوب وفي رسم تمثلات المسلمين لمن يخالفهم في الدين غير أن ذلك لا يجب أن يورطنا في التعميم والاطلاقية نتيجة ظهور حيثيات ظرفية أو حتى محليّة وجّهت المنظور العربي الإسلامي في فترات متقلبة لآخرهم الأوروبي أو الغربي.

كلمات مفاتيح: أوروبا- ثقافات – الدين – المدينة الغربية - المتوسط

introduction

L'étude de l'Europe dans les perceptions arabes occupe une place centrale dans un domaine de recherche plus vaste, celui des études qui s'intéressent à l'imagologie et aux images culturelles produites et échangées entre cultures et peuples. Il est clair que ces images persistantes dans les mentalités interviennent fortement dans la construction de la texture des rapports et des relations entretenues entre les nations et les cultures du passé, comme au temps présent. Toutefois, il faut signaler que les cultures vivantes – autrement dit les cultures qui sont intéressées par les mondes qui se trouvent au-delà de leurs murailles culturelles-ont élaboré une sorte d'images représentatives de leur autrui. Ces images n'ont pas nécessairement été fondées suivant des données tangibles et réelles,

au contraire, elles sont un ensemble de valeurs, de situations, de préjugés et de sentiments mêlés par une fertile imagination[1].

L'image représentative est impérativement la synthèse d'un héritage de perceptions obtenues durant des siècles dans un récipient culturel bien déterminé, qui s'avère par la suite une référence idéologique et culturelle incontournable. La figure ne coïncide pas avec les réalités politiques et historiques du moment, pas forcément en tout cas, mais elle est toujours en étroite relation avec une situation culturelle historiquement précise[2]. Dans ce sens, on peut ajouter aussi que les images culturelles ne sont pas des tableaux perpétuellement figés, mais sont toujours changeables et émouvantes, selon les contextes et les envies des peuples. Dès lors, le désir des sociétés d'explorer leur Autre, proche ou lointain soit-il, était un souci très ancien; il remonte aux civilisations antiques. C'est dans ce cadre précisément que s'inscrivent les périples maritimes ou terrestres.

Généralement, les périples ont été le premier vecteur de la transmission des informations et des messages et par lesquels on rétablit les images culturelles. En outre, l'héritage littéraire humain, ancien ou moderne, est assez riche en matière de récits de voyage qui portent par la suite le label de la littérature géographique. L'histoire a vécu un nombre important de fondation et refondation des images culturelles entre les nations et les peuples. Ce qui nous amène à étudier l'image de l'occident dans les récits de voyage arabes au temps moderne.

A vrai dire, dès la naissance de leur premier État islamique, les Musulmans ont tissé à Yathrib leurs propres images aux «ouailles» qui ne croient pas à l'islam. Ainsi, le lexique musulman avait instauré

[1] - Pageaux (D-H), « Recherche sur l'imagologie: de l'Histoire culturelle à la Poétique». P135.

https://core.ac.uk/download/pdf/38846694.pdf,consultépour la dernière fois le 18 février 2021.

[2] - Ibid. P 135.

une terminologie spécifique riche et évolutive pour désigner son autre a l'instar de *dār al-kufr* (territoire de l'impiété), *dar elharib* (le monde des ennemis), *ahl-edhima* (les Juifs et les Chrétiens), *erroum* (les Byzantins), *enassara* (les Chrétiens), *alfirnja* (les Francs), *essakaliba* (les Slaves). Ce monde a été désigné dans la plupart du temps comme un monde dont il n'y avait rien à apprendre et pas grand-chose à importer. Ces images restent imprégnées dans l'imaginaire collectif musulman jusqu'au moment du grand bouleversement.

En fait, ce bouleversement méditerranéen et mondial du XIX[e] siècle coïncide avec le mouvement expansionniste européen qui a touché énormément d'espaces lointains, et par la suite un changement est survenu dans la conscience et la mentalité des Arabes, et dans leur regard envers l'autre européen. L'autre chrétien n'est plus le monde pervers, qui se trouve à la lisière du monde civilisé, bien au contraire, il affirme depuis des décennies son épanouissement et sa supériorité militaire, économique, technique voire scientifique, notamment quand on demande son aide afin de changer le misérable destin arabe.

Les Ottomans, l'ancien colonisateur d'une grande portion de l'espace arabe, ont surmonté tous les obstacles psychologiques et culturels, et ont recouru depuis le début du XVIII[e] siècle à l'expérience de l'Occident, puisqu'il était conçu comme un modèle marquant de la prospérité. Du coup, les Arabes ont suivi le chemin des Turcs[1] ; tout au long du XIX[e] siècle, ils ont envoyé des ambassadeurs et des émissaires pour percevoir et essayer d'interpréter la réussite occidentale. Il en résulte un grand trésor inestimable, une littérature viatique très variée qui nous permet de réfléchir aujourd'hui aux principaux traits de l'image de "l'Europe nouvelle" lors de son âge moderne, qui était un temps

[1]- À l'exception des Marocains qui ont tracé leur destin politique spécial indépendamment de l'empire ottoman. Les rapports et les négociations entre les Marocains et les palais européens sont plus anciens, ils remontent au temps de la présence ibérique sur les côtes marocaines.

glorieux pour les occidentaux et le temps de décadence pour les orientaux. Autrement dit, quels sont les traits matériels et immatériels de la culture occidentale aux yeux des Arabes de l'époque ?

I - Une culture matérielle splendide:

D'un point de vue quantitatif, les récits de voyage arabes vers l'Europe étaient énormes, on peut compter une trentaine d'œuvres selon les statistiques de la chercheuse libanaise Nazek Saba Yared, dans son ouvrage "*Les voyageurs arabes et la civilisation de l'Occident lors de la renaissance arabe moderne*[1]", sans qu'elle ait pris en considération les voyages marocains. Ce prodige de la littérature nous permet *a priori* de penser aux nouveaux contextes méditerranéens et arabes et aux motifs de ce récent engouement musulman de se déplacer vers la rive nord. Il est évident que dès le début du XIX[e] siècle, les Arabes ont progressivement pris conscience que l'image classique qu'ils avaient héritée de leurs ancêtres à propos des Européens était très floue dans toutes ses dimensions. En effet, elle était enrichie par des figures et des sentiments clairvoyants de méfiance et de mépris, fondée sur un socle de rejet de l'autre. La nouvelle conjoncture a démontré que les connaissances arabes ont été limitées en matière de sujets sociaux, en l'occurrence le thème de la femme et la famille, la religion et les croyances, les valeurs et le registre moral. L'autre économique était presque absent dans la perception arabe, les données agricoles et artisanales, industrielles et commerciales étaient médiocres. La vie culturelle en rapport avec la vie artistique et les moyens de loisirs ainsi que les modes d'expression et la manière avec laquelle ils ont reparti leurs calendriers journaliers, hebdomadaires, voire annuels, la manière de fêter, étaient totalement occultés dans les rares textes arabes des missionnaires de l'âge d'or musulman.

[1]- Saba Yared(Nazek), *Les voyageurs arabes et la civilisation de l'Occident lors de la renaissance arabe moderne*, (version arabe), édition Nawfel, Beyrouth, 1992. P 411.

En raison d'une nette carence dans les textes classiques, les nouveaux récits de voyage se sont chargés de combler les vides et d'y innover l'image à travers l'étude des différents aspects de la civilisation occidentale, dans sa particularité matérielle et immatérielle. Cette image nouvelle montre un déséquilibre concret entre les deux volets, parce qu'ils n'étaient pas étudiés de la même façon. On note, en effet, un intérêt majeur pour les aspects matériaux plus que les autres, ce qui reflète la perception préliminaire des Arabes concernant le civisme occidental. Il convient ici de préciser que les Arabes présumaient que l'Europe était avant tout le modèle d'une force matérielle, et c'est bien pour cela que nos textes renferment une mine d'informations sur ce sujet. Nous nous restreindrons dans notre succinct essai à étudier les données propres à l'urbanisme, l'industrie et la cuisine occidentale.

1-L'industrie et le commerce extérieur, deux vecteurs de la réussite économique européenne:

La puissance économique européenne au XIX[e] siècle est due selon les voyageurs arabes en premier lieu à une industrie prospère. C'est grâce à elle que les nations européennes sont devenues les contrôleurs de l'économie mondiale. Le paysage industriel occidental change depuis l'invention du moteur à vapeur, qui était nommé par Idrīs al-Ju'aydi as-Salaoui[1] "*l'appareil merveilleux*". Il était évident que cette machine avait été introduite dans de multiples secteurs tels que les travaux agricoles, les usines, les ports et les moyens de transport pour remplacer la force humaine et animale. Ainsi, l'industrie européenne était un sujet capital dans les relations des voyageurs arabes.

L'industrie française au début du XIX[e] siècle n'était pas une vraie concurrente de l'industrie anglaise à la suite des troubles sociaux et politiques qui avaient marqué cette époque-là, ralentissant ainsi l'avancement industriel français. Et malgré cela, l'industrie française a suscité le grand intérêt du premier voyageur arabe vers la France à ce siècle, à savoir Tahtâwî [2](1801-1873). En effet, il a

[1]- Idrīs al-Ju'aydī a été nommé secrétaire de l'ambassade de al-Ḥāj Moḥammed al-Zebdī ar-ribāṭī, dépêché par le sultan Moulay al-Hassan (1873-1894) dans quatre pays européens en 1876.

[2]- Réformateur égyptien (1801 –1873), c'est l'un des membres du mouvement de la Nahda (renaissance arabe du XIX[e] siècle).Disciple du cheikh Hasan al-'Attâr (1776-1834), il fut choisi, après une formation traditionnelle à al-

démontré son admiration pour ce secteur économique prospère en insistant sur certaines filières marquant l'époque comme la métallurgie, le textile et articles ménagers, les ateliers monétaires etc. Il semble ici que ce vif intérêt pou l'industrie découle de la politique industrielle que Mohamed Ali avait menée en Égypte depuis 1816 dans un objectif global de moderniser le pays, période pendant laquelle il a convoqué des techniciens français et anglais. Alors, l'industrie moderne était conçue chez les dirigeants et les intellectuels égyptiens de l'époque comme un bon signe de la modernité[1].

De son côté, son compatriote Ahmed Zaki pacha[2] a visité l'Angleterre à la fin du siècle ; ce voyage lui a permis de mieux approfondir la description de l'industrie anglaise en plein essor à l'époque, en cherchant les vecteurs et les agents de son épanouissement, en ajoutant des données importantes concernant le charbon comme première source énergétique à cette époque-là. D'après l'auteur, cette matière était méconnue des Arabes ; elle est "le principal pilier de l'industrie, la première source de richesse des Anglais, et le socle de la vie de son époque. Cette matière de valeur on peut l'appeler le

---

Azhar au Caire, comme imam de la première mission universitaire envoyée en France par Muhammad 'Ali. Il profite de ce voyage pour étudier la langue française et se spécialiser dans le domaine de la traduction. Son expérience de la société française, après un séjour de cinq ans à Paris (1826-1831), lui a inspiré une réflexion sur l'évolution de la civilisation musulmane et de sa rencontre avec la modernité occidentale. Son œuvre considérable est tout entière animée par une volonté de réforme intellectuelle fondamentale du monde musulman. Son ouvrage le plus connu est. « *Takhlîs al-ibrîz fî talkhîs Bârîz* », « l'Or de Paris ». C'est l'un des livres phares de la période de la Renaissance arabo-islamique.

[1] - Alleaume(**Ghislaine)**, « Les techniciens européens dans l'Égypte de Muhammad 'Ali (1805-1848) », *Cahiers de la Méditerranée*, N 84 | 2012, 185-195. P190.

[2] - Ahmad Zakî (1867-1934) est l'un des intellectuels les plus dynamiques de la *Nahda*. Polyglotte, il travaille comme traducteur et interprète auprès du conseil des ministres. À 25 ans, ses études érudites en philologie lui valent d'être choisi parmi les membres de la délégation égyptienne invitée au Congrès orientaliste de Londres en 1892. Il en profite pour faire un tour d'Europe qui durera six mois. Pour plus de détails vous pouvez consulter Ryad(Umar) «An Oriental Orientalist": Aḥmad Zaki Pacha (1868-1934), Egyptian Statesman and Philologist in the Colonial Age, philological encounters (2018) 129-166.

diamant ou le vrai élixir. C'est du charbon qu'on peut extraire de jolies essences, des matières colorantes, de fabuleux parfums et de multiples variétés des sucres vendues dans les pharmacies et autres biens et vertus[1]."

Pour mieux s'informer de cette matière, Ahmed Zaki a examiné une mine de charbon au pays de Galles, à environ 300 mètres de profondeur. Il a flâné dans ses catacombes à partir desquelles il a décrit le rythme de travail des mineurs dans ses différentes étapes. De son côté, le Marocain As-Salaoui a retracé les usines d'extraction du gaz de charbon et ses utilisations quotidiennes en Belgique à l'occasion du passage de la mission diplomatique marocaine par Seraing comme importante ville industrielle. L'auteur a fait un tour dans l'usine en inscrivant plusieurs détails concernant les travaux et en s'appuyant sur son expérience scientifique, le tout dans un registre linguistique bien choisi afin de mieux rendre compte de ce qu'il voyait d'une manière professionnelle[2].

Les aperçus arabes du développement industriel européen ont touché profondément leur psychologie ; ils ont constaté la fragilité et la constance des leurs. Les métiers et l'industrie naissante arabe n'avaient pas réussi à améliorer le niveau de vie des citoyens et étaient incapables de faire face à l'invasion industrielle occidentale. Les textes arabes révèlent une réalité très douloureuse qui les a poussés à présumer des destins sombres pour leurs pays. Cependant, la construction de leurs discours portait des justifications rassurantes pour alléger la situation. Certains écrivains ont éventuellement recouru à une vision eschatologique du monde, laquelle perçoit l'avancement technique et matériel de l'Europe comme un bonheur éphémère en affirmant que la vraie réussite n'existe que dans l'autre

---

[1]- Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safarilā al-Muʾtamar,* «*Départ au congrès*», (version arabe), dar el-kiteb elmassrya. Égypte.2000.p182.

[2]- Pour plus d'informations sur l'extraction du gaz, on peut consulter l'œuvre d'Idrīs al-Ju'aydi as-Salaoui, *Itḥāf al-akhyār bi gharāʾib al-akhbār, riḥlail ā Faransā, Balgīka, Inglatirra, Iṭāliyyā,* « Invitation aux honnêtes gens à suivre les étranges nouvelles, Voyage en France, Belgique, Angleterre et Italie» (version arabe), éditée et annotée par ʿAzz Al MaghribMaʿninou, Abudhabi -Beirut: dār al-suwaydi li al-nashr wa- tawzīʿ -al-mu'asasat al-ʿarabiyya li-adirāsawa-lnashr, 2004. Pp 222-227.

monde, le monde des cieux, dont seuls les musulmans pieux profiteront après la fin de la vie terrestre selon la promesse des textes sacrés[1].

Le commerce et les échanges européennes étaient aussi une preuve de la suprématie économique occidentale grâce à laquelle les visiteurs arabes ont inventorié des faits et des pratiques nouvelles totalement ignorés de la rive sud de la méditerranée. Par ailleurs, les missionnaires arabes ont témoigné une attention particulière à la publicité, très répandue à l'époque en Europe. En effet, les sociétés commerciales pratiquaient couramment la publicité pour exhorter les gens à consommer davantage. Ahmed Zaki Pacha a été surpris par le déferlement des affiches sur les murs de Londres. Toutes les rues sont couvertes de panneaux publicitaires, et même les omnibus sont presque enveloppés par les affiches[2].

L'auteur n'a pas caché son mécontentement et sa protestation aux ennuis provoqués par les affiches publicitaires. Selon lui, elles obligeaient les gens et les incitaient à acheter encore plus [3]. D'un autre côté, la réalité commerciale dans les villes n'était pas la même dans les campagnes selon le témoignage d'Ahmad Fāris al-Shidyāq. Cet auteur a séjourné dans la campagne anglaise, où il a remarqué une grande différence entre les villes et les zones rurales. La campagne anglaise selon son témoignage a toujours souffert d'une carence aigue au niveau des subventions alimentaires. Voici ce qu'il a dit à ce sujet :"Là-bas, il n'y a comme nourriture que de la viande et du beurre mêlé avec des carottes, du pain, des pommes de terre, du fromage, du lait, des œufs et des choux. Tous sont des produits ignobles par rapport aux autres produits qu'on trouve quotidiennement dans les magasins des villes[4]". Par cette constatation, l'auteur nous a invités donc à relativiser l'image d'une Europe

[1]- al-Nasiri al- as-Salaoui (Abu al-Abbas Ahmad ibn Khalid), *Kitâb al-Istiqsa li-Akhbar Al-Maghrib duwal al-Aqsa*, ou « Livre de d'investigation ...» (version arabe) imprimerie Boulak, Le Caire tome 5, 1997. P162.

[2] - Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safar ilā al-Mu'tamar,* op. Cit. p151.

[3] - Ibid. p152.

[4] - Al-Shidyāq (Aḥmad Fāris), *Kashf al-mukhabba' 'anfunun Urubba,* «Divulgation des arts européens» (version arabe), dar el-kiteb elmassrya, Égypte.2012.p76.

totalement prospère, car les signes de faiblesse et d'inégalité persistent dans quelques foyers du continent.

Il faut avouer aussi que l'intérêt des occidentaux pour les échanges extérieurs était un souci aborigène qui remonte au moins à la fin du XV[e] siècle, aux temps inauguraux des grandes découvertes. Les Européens ont sacrifié cher pour joindre l'Asie, la terre des richesses dont Marco Polo leur avait parlé. À partir de cette période-là, naissait une forte conviction occidentale pour développer le commerce avec les espaces lointains. Ils ont concrétisé cette ambition en concordance avec l'invention du moteur à vapeur et la révolution du transport maritime. Par ailleurs, le réformateur Khair-Eddine Ettounsi était conscient de l'intérêt du commerce lointain et ses profits colossaux. L'auteur a mis l'accent sur ce sujet dans son texte viatique, dans lequel il a eu l'idée de mettre des tableaux statistiques sur le commerce extérieur pour chaque royaume dans tous les chapitres de son ouvrage[1]. Le discours de Khair-Eddine témoigne d'une admiration apparente envers les performances européennes. Néanmoins, il met le doigt sur la corruption des souverains arabes qui voulaient avoir la main mise sur le commerce avec l'extérieur au détriment du budget du pouvoir central ou *Makhzen.* C'était là un facteur déterminant pour étouffer la naissance d'une bourgeoisie capable de développer les capitaux et soutenir les secteurs productifs. Ce raisonnement était approuvé par Ahmed Zaki qui a mis l'accent sur la gloire du commerce extérieur anglais grâce aux entrepreneurs, et aux compagnies commerciales qui avaient réussi à imposer la suprématie commerciale dans le monde, et par conséquent les grands magasins qui abritaient des produits divers provenant des zones lointaines.[2]. En fait, la remarque de l'Égyptien sera approuvée ultérieurement par Fernand Braudel, qui a défendu sa thèse de *l'économie - monde*, laquelle s'articule autour d'une hiérarchie bien distinguée, entre

[1]- L'œuvre *Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik* «*Le plus sûr moyen pour connaître l'état des nations*» de Kheir Eddine Ettounsi contient plusieurs tableaux statistiques sur les ressources naturelles et les biens de chaque royaume européen.

[2]- Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safar ilā al-Mu'tamar,* op. Cit. pp169 -170.

l'Europe, qui occupe une place centrale dans les échanges mondiaux, et les périphéries où on peut classer les autres continents[1].

2- La ville occidentale au regard des orientaux :

Dès leur arrivée dans les villes occidentales, les ambassadeurs arabes ont été fascinés par la concordance des bâtiments, les avenues bien animées, les routes étendues et pavées, croisées de parcours bien repartis pour les piétons et les voitures. Ces routes sont toutes jalonnées par des arbres verts et des poteaux électriques, "en raison de l'attachement des Européens aux travaux de jour comme de nuit" selon l'observation de Idrīs al-Ju'aydi as-Salaoui[2]. En outre, toutes les villes sont garnies de grands et majestueux bâtiments pour répondre aux divers besoins et aux attentes des habitants. Ces écrivains étaient donc admiratifs devant les lieux de théâtre, les cathédrales et les églises, les boutiques et les grands magasins, les parcs et les jardins, les restaurants et les snacks, les écoles et les universités, les hôtels et les résidences, les fontaines et les statues exposées au grand public[3] etc.

La ville occidentale a aussi séduit nos écrivains par sa variété et la densité des moyens de transport, dont quelques moyens étaient connus à l'instar des carrosses, et autres inconnus comme le chemin de fer et les tramways. Ces nouvelles machines prenaient de plus en plus leur place dans le transport public au temps de l'arrivée du Tunisien cheikh Mohamed Ben Ottoman Senoussi en Italie à la fin du siècle. À l'aide de ces moyens, les Arabes ont constaté que les Occidentaux avaient acquis des moyens efficaces pour confronter le temps et l'espace.

---

[1]-Braudel (Fernand), *Civilisation matérielle, économie et capitalisme, XV^e et XVIII^e siècles 1. Les Structures du quotidien - 2. Les Jeux de l'échange - 3. Le Temps du monde*, Paris, Armand Colin, 1979.

[2] - As-Salaoui (Idrīs al-Ju'aydi), *Itḥāf al-akhyār bi gharā'ib al-akhbār, riḥla ilā Faransā, Balgīka, Inglatirra, Iṭāliyyā,* op.cit, p112.

[3] - Les données évoquées dans les sources arabes à propos des villes occidentales n'étaient pas de simples impressions ; elles ont toutes été démontrées par des statistiques et des notes tirées des registres archivistiques officiels.

Puisque le paysage culturel occidental était étrange aux yeux arabes, nos écrivains se sont acharnés à décrire tous les détails en les commentant, en les expliquant et en ajoutant leurs propres attitudes sous la pression d'une l'altérité flagrante. Le paysage architecturel européen les a laissés ébahis devant les édifices occidentaux. Ils ont lorgné longuement les colonnes, les portes, les fenêtres, les terrasses, les boulevards, les ponts, les usines, bref tout types de bâtiments et les matériaux utilisés dans sa construction et sa finition. Tous les auteurs ont exalté la concordance de cités européennes grâce à leurs dispositions et leurs styles bien ornementés.

Il était intelligible pour nos voyageurs de remarquer la similarité des villes occidentales, qui ont préservé dans l'ensemble le modèle architecturel gréco-romain, avec une touche gothique. C'est pour cette raison qu'on ne trouve pas une nette altération dans la description des villes comme Napel, Gènes, Milan, Marseille, Hambourg, Bruxelles, Liverpool, Manchester, Vienne. En effet, à l'intérieur de ses métropoles, les rues et les quartiers sont disposés soit les unes parallèles aux autres, soit perpendiculaires. Les centres sont réservés aux bâtiments civils, religieux, économiques ou culturels. Les périphéries sont consacrées aux grandes usines, notamment les manufactures de textile et de métallurgie et autres activités industrielles. Elles abritaient chaque jour des milliers d'ouvriers. Ainsi, la ville européenne était très dynamique tout au long de la journée, elle est vue comme un vrai miroir sur lequel se reflète une civilisation en plein épanouissement et un écho sensuel, acoustique et visuel d'une culture occidentale impulsive qui a introduit tous les moyens et les méthodes pour exprimer sa splendeur. Les Occidentaux font tout pour embellir leurs villes jusqu'à importer les matériaux, les chefs-d'œuvre, les meubles et les colonnes des colonies lointaines. La ville européenne a réellement escroqué les biens des colonies et des civilisations au-delà de la mer, mais quand même elle n'a pas abandonné ses habitants, et en particulier la couche vulnérable, selon le témoignage d'*Aḥmad Fāris al-Shidyāq*. La ville occidentale n'a jamais oublié les pauvres et les apatrides ; elle les a accueillis dans des endroits spéciaux reconnus par les tables d'hôtes.[1].

[1]-Al-Shidyāq (Aḥmad Fāris), *Kashf al-mukhabba' 'an funun Urubba,* Op.cit.P. 236.

La similarité des villes ne s'arrête pas au niveau des plans et de leurs architectures, elles ont aussi diffusé les mêmes effets sur la psychologie et la mentalité des visiteurs arabes. Les sentiments de fascination étaient omniprésents dans nos corpus. Cependant nos auteurs étaient habitués dans leurs patries à d'autres paysages et d'autres figures monumentales purement orientales comme les mosquées, les palais, les écoles, les mausolées, les petits bazars. Cette différenciation capitale leur a causé un problème majeur dans l'écriture de leurs récits et leurs différentes manières de rendre compte de ce qu'ils avaient vu.

Décrire une ville européenne n'était pas une tâche facile, car le lexique arabe à ce stade-là ne renfermait pas encore les concepts et les vocabulaires utiles pour répondre à cette finalité. À cause d'un tel manquement, nos auteurs ne trouvaient donc aucune solution linguistique et stylistique pour les décrire, sauf que d'interpréter des figures coraniques afin de mieux approcher l'image des interlocuteurs arabes. Ce fut le cas chez Ahmed Zaki Pacha dans sa description de la ville de Paris, lorsqu'il a dit : "même si j'ai fait un grand effort pour la décrire et en parler, mais sincèrement je serais toujours très loin de toucher sa vérité, car je la trouve comme un paradis, mais non, le paradis c'est Paris.[1]".

Dans le même aspect concernant l'urbanisme occidental, des auteurs comme Ahmad Fāris al-Shidyāq, Ahmad Zakî Pacha et Rifâ'a Rafi al-Tahtâwî se sont acharnés à décrire- après une période de coexistence et de contact direct - les spécificités de l'urbanisme occidental notamment pour ce qui est de la hauteur des étages, la répartition et l'utilisation des pièces d'un logement, leur emplacement et leurs caractéristiques ainsi que la nature des matériaux utilisés. Les auteurs n'ont pas omis de prendre des notes sur l'urbanisme européen dans l'espace rural et urbain en rapport avec la révolution industrielle et les grands bouleversements sociaux, voire les balancements des mentalités et des comportements.

Les maisons occidentales, selon le constat d'Ahmad Fāris al-Shidyāq, sont plus hautes que celles des Orientaux et contiennent en général de quatre à sept étages ; le rez-de- chaussée est utilisé pour

[1] - Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safar ilā al-Mu'tamar.* OP. CIT, p82.

entreposer le charbon et les denrées alimentaires nécessaires. Les fenêtres et les terrasses s'ouvrent à l'extérieur au lieu de l'intérieur, à l'opposé de la maison orientale. Nos écrivains ont trouvé que la maison française était plus belle et plus sure que celle des Anglais notamment en période de grands dangers comme les incendies et l'effondrement. Par ailleurs, ils ont remarqué une nette différence dans les matières premières utilisées et l'architecture et les dimensions entre les maisons rurales et celles urbaines. Le grand écart était aussi apparent entre les maisons des notables et les riches, par rapport aux maisons de la couche populaire. En dépit de ce tas des données concernant la description des villes occidentales et leurs quotidiens, on a relevé que ce discours est porté essentiellement sur le côté éclairé de l'image, car il y a eu une vraie carence au niveau de la description des taudis qui abritaient des milliers de déplacés et d'ouvriers qui arrivaient à certains moments à s'installer au milieu des villes.

En fait, les auteurs arabes ont fortement plaidé pour l'image de la ville en particulier, et la réussite occidentale d'une manière générale. Il était évident que l'Occident avait acquis entre ses mains la force de gérer le monde selon ses visions et ses intérêts. Ce fut là une situation propice à la mentalité et la psychologie arabe de convoquer les épisodes concurrentiels des ancêtres entre l'Orient et l'Occident. Et c'est bien cette perspective-là qui les oblige a de ne pas se contenter des aspects florissants de la ville occidentale ; ils ont fait des efforts pour citer ses vices afin que l'image soit plus acceptable et plus indulgente avec la mentalité de l'interlocuteur. Pour ces raisons, les grandes villes, à l'instar de La Valette, Paris ou Londres étaient toutes conçues comme des villes de péchés, car elles abritaient des coins de prostitutions, où les « infâmes » commettaient des orgies et des obscénités. Leurs habitants étaient très radins, loin de la générosité et de la convivialité orientale. Paris apparaissait dans le regard de Tahtâwî comme une ville "*des coûts élevés et de l'incrédulité*" à cause de la renonciation des Parisiens du christianisme et la contestation de l'Église. Quant au Tunisien cheikh Mohamed Senoussi (1851 - 1900), il a perçu "les expositions artistiques qui ont été conçues par des Italiens comme des faits de fierté, mais en réalité elles sont des images et des statues célébrant la nudité et la sodomie.

Cause principale de la provocation de la colère du Dieu qui a inondé les habitants de la ville de Pompéi[1]."

3 -L'altérité culinaire occidentale:

Dans toutes les sociétés, l'alimentation représente une des préoccupations principales de l'Homme. Subvenir aux besoins de la vie quotidienne, conserver des aliments -végétaux et animaux- et constituer des réserves pour les périodes de pénurie est une activité capitale. L'alimentation est elle aussi un signe de la différenciation des modes culturels. Chez les Orientaux, la circoncision des garçons et la manière de saigner les animaux sont deux conditions indispensables pour une identité musulmane originale. En outre, les Musulmans en général avaient des préjugés sur les aliments chrétiens principalement cuits avec de la viande ; ils étaient conçus comme non-conformes aux règles musulmanes relatives à l'abattage des bêtes. Cette question reste litigieuse et demeure irrésolue jusqu'à nos jours.

Le discours de nos auteurs à propos de l'alimentation de l'autre les a obligés de traiter ce sujet sous des angles de vue divergents. Ainsi, en cherchant des données sur la cuisine européenne de l'époque, nous sommes tombés sur des trouvailles fortes précieuses, car tous les auteurs ont parlé d'une manière ou d'autre de cette affaire brûlante. En réalité, on peut repartir les lectures différentes de l'alimentation européenne en trois degrés. Au premier lieu, nous mentionnons l'attitude réticente de toutes les délégations marocaines qui ont annoncé leur refus total à la consommation des repas européens pendant leurs séjours. Les missions sont toujours accompagnées d'un cuisinier qui se charge de préparer tous les besoins et tous les approvisionnements nécessaire juste avant leur départ du royaume. Il parait que les Marocains faisaient preuve d'une certaine discrimination identitaire à

---

[1]**-Senoussi (Mohamed),** ***al-Riḥlahal-Ḥijāzīyah,*** **«*voyage au pèlerinage*», (version arabe) al-Sharikahal-Tūnisīyahlil-Tawzī', Tunis, 1976-1981, p114.**

.

base alimentaire. En deuxième lieu, nous notons une attitude négociable. Ce fut le cas pour les Tunisiens, à titre d'exemple, avec deux positions totalement croisées. Mohamed Senoussi et Soliman al Hrairi, de leurs tours ont mentionné la question de la gastronomie et l'avis de la loi islamique quant à la consommation de la viande en terre chrétienne, sans pour autant trancher sur le sujet, dans un contexte où la communauté musulmane en Europe s'élargissait progressivement. En troisième lieu, nous remarquons une attitude plus tolérante à l'égard de cette affaire. En effet, les auteurs égyptiens et libanais n'ont pas mentionné le problème, néanmoins, ils ont bien décrit les nourritures occidentales et leurs sources et les rituels de manger. Une position très logique, puisqu'ils vivaient dans un bassin culturel plus indulgent avec les Chrétiens et leur héritage religieux, voire culturel.

Cependant, la divergence des positions de nos voyageurs quant à la cuisine de l'autre ne peut pas dissimuler la grande différenciation dans les habitudes culinaires entre l'Orient et l'Occident, en particulier dans le goût et le rituel. Ainsi, autour des habitudes culinaires orientales, et durant leur séjour d'exploration, les voyageurs européens décrivent un peu les manières très différentes du modèle européen. Ils distinguent bien celles du milieu populaire et du milieu aisé. Les paysans et les gens modestes mangent en effet par terre, sur des tables basses, sans serviette ni linge. Ils ne se servent que de leurs mains. Quand ils mangent du couscous ou autre repas, tous s'assoient en cercle par terre et le plat est posé au centre. Tous les convives puisent dans le même plat, chacun enfonce sa main droite jusqu'au poignet (le plat est fort large par le haut et plutôt étroit par le fond). Chacun tire son morceau et on fait comme de petites boulettes de ce couscous avant de l'envoyer dans la bouche. Pour la viande, on ne sert pas de couteau, on coupe avec les dents ce qu'on peut du morceau de viande en tenant le reste à la main. On mange en toute hâte, sans parler pendant le repas et on n'a pas l'habitude de boire avant d'être rassasié[1].

L'altérité alimentaire n'était pas seulement un fait réel entre l'Orient et l'Occident, mais aussi un agent de distinction entre l'espace européen rural et l'espace citadin. La consommation de la viande est un

[1] - Lakhal (Rached), *Nourrir la ville et l'État L'approvisionnement en viande de la capitale, de l'armée et de la cour en Tunisie aux XVIIIe et XIXe siècles*, AL MASSIRA, Tunis 2021, p 240.

bon marqueur de la hiérarchie sociale. Réellement, les gens aisés mangent de la viande régulièrement, celle de qualité supérieure (viande d'agneau et morceaux nobles) alors que les pauvres se contentent, de temps à autre, de la viande sans qualité (assez souvent de la graisse, des abats et des tripes). Pour les plus démunis, la viande est un luxe qu'ils ne peuvent s'offrir que pendant les fêtes religieuses et familiales. Ces moments festifs sont les seules occasions pour le petit peuple pour profiter des banquets et des distributions alimentaires gratuites offertes par les notables et les grandes personnalités de la cour[1].

C'est dans ce sens qu'al-Shidyāq a clamé son mécontentement lors de son séjour dans la campagne anglaise à cause de la carence en matières vivrières. Véritablement, la majorité des paysans orientaient une grande partie de leurs productions aux marchés des villes et n'en préservaient qu'une petite quantité qui répondait à peine à leurs besoins afin de les substituer par d'autres besoins. Cette situation précaire selon al-Shidyāq rendait les paysans incapables de consommer la viande régulièrement, une condition qui l'a profondément gêné. L'auteur a exprimé sa pitié envers ces paysans avec ces mots :" Ces pauvres ne mangent la viande que rarement, leurs repas sont toujours à base de pain et de formage. Le boucher du village n'égorge qu'un mouton ou une vache pendant la semaine. En général, les fermiers élèvent un porc chez eux ; ils l'égorgent pour n'en consommer qu'une petite portion chaque dimanche. Pour le reste, une minorité d'individus capables d'acheter de la viande les samedis."[2]

Contrairement aux villages et aux campagnes, avoir de la nourriture dans les villes n'était pas une affaire très compliquée. Tahtâwî a insisté à ce sujet sur l'omniprésence du pain et de la viande sur les étals des marchés parisiens. Ces deux produits faisaient l'objet d'un contrôle quotidien de la part des contrôleurs municipaux, qui surveillaient essentiellement le poids, les prix et la qualité. Dans le même

[1] - Ibid. P11.

[2]- Al-Shidyāq (Aḥmad Fāris) ,*al-Wāsitah fī ma'rifat ahwāl Māltah.* «*Le livre du voyage, pour servir à la connaissance de l'île de Malte*»,Irtiyād al-āfāq. Abū Ẓaby:Dār al-Suwaydī. 2012, p78.

sillage, l'auteur faisait l'éloge de la bonne organisation des abattoirs français, qu'il trouvait mieux ordonnés et plus propres que ceux en Égypte. Mais ce qui a attiré notre attention c'est que ce juriste musulman n'a pas évoqué la position de la loi islamique *Chariaa* envers la consommation de «la viande chrétienne», malgré sa position scientifique et religieuse qui lui permet d'en parler. Concernant les rituels du dîner, l'auteur a bien profité de sa présence à une réception organisée à l'honneur des étudiants égyptiens lors de leur arrivée à Marseille. Tahtâwî a bien décrit tous les détails, notamment les ustensiles et les couverts, les serviettes, l'ordre des chaises et la manière de avec laquelle ils mangeaient. L'auteur a mis l'accent sur la grande divergence en matière de rituel et de variété des nourritures entre l'Orient et l'Occident. Il a noté aussi le respect français d'un enchainement qui doit être respecté par toutes les personnes assises autour d'une table. Ainsi, on comprend que les Français commencent régulièrement leurs repas par des nourritures liquides et des salades, puis ils passent aux plats de résistance, et ils finissent par le dessert. Chaque type d'aliment doit être placé dans un récipient spécial, le repas généralement se termine par une tasse de thé ou du café. Toutefois, le fait d'apprécier l'alimentation occidentale n'était pas un fait permanent, en témoigne Echdiak qui a exprimé son mécontentement envers la cuisine anglaise. En effet, il a critiqué l'absence des épices orientales, la carence du pain sur la table, ce qu'il trouve très étrange par rapport aux habitudes culinaires arabes. Dans un autre contexte, ce même auteur a remarqué un phénomène bizarre, qui n'était pas très répandu en Orient, à savoir la visite massive d'individus de souche populaire aux restaurants, la grande cuisine française avait dès lors cessé d'être l'apanage d'un petit nombre d'aristocrates, grâce aux restaurants elle devenait accessible à tous[1] ;ce qui nous fait penser au changement du rythme de vie en Occident, en particulier dans les villes à cause de la participation accrue de la femme au travail et ses ambitions à augmenter les revenus de la famille.

II – La culture immatérielle européenne en question:

[1]- Rebecca (Spang), « L'individu au menu : l'invention du restaurant à Paris au XVIII[e] siècle », *Ethnologie française*, 2014/1 (Vol. 44), p. 11-17. DOI : 10.3917/ethn.141.0011. URL : https://www.cairn.info/revue-ethnologie-francaise-2014-1-page-11.htm.

Les données offertes dans nos corpus sur cette question étaient énormes mais d'une façon inégale. Elles sont été éparpillées sur plusieurs pages, abordant énormément de dossiers en rapport avec les affaires religieuses, les fluctuations des régimes de gouvernance, surtout en France, et le rôle accru de la femme occidentale dans la vie économique et sociale.

1-L'Europe, terre d'une altérité religieuse tolérante

Les voyageurs arabes ont accordé un intérêt infime à la réflexion sur la religiosité de l'autre, car ils étaient fortement convaincus par la leur. L'Islam est conçu comme la religion la plus parfaite et la plus achevée, valable en tout temps et en tout lieu, contrairement à la chrétienté ou la religion de l'autre, qui était perçue comme totalement fausse et inachevée. Cette conviction superlative a poussé nos écrivains à se persuader que la discussion autour du thème religieux ou spirituel était sans valeur. N'oublions pas que le focus des ces émissaires était essentiellement d'enregistrer les facteurs et les aspects de la réussite matérielle occidentale.

Le regard arabe méprisant envers la religion de l'autre n'a pas dissimulé leur crainte de "l'apostasie" des missionnaires et des étudiants vers le christianisme. Cette constatation on peut la tirer d'après l'objectif initial pour lequel Tahtâwî a été convoqué pour accompagner le groupe d'étudiants lors de son voyage en France. C'est grâce à son savoir incommensurable en matière de culte qu'il avait été appelé initialement pour une tâche bien précise, celle de contrôler les jeunes étudiants de toute forme de débauche dans "un pays propice à commettre des actes capricieux". En réalité, la crainte musulmane de l'altérité religieuse remonte aux siècles lointains durant lesquels les Musulmans avaient retracé dans l'imaginaire collectif des limites bien gravées de chaque monde. Le monde européen y est présenté, jusqu'à l'aube du XX^{e} siècle, comme l'espace des infidèles et des mécréants.

Les deux auteurs Tahtâwî comme el al-Kardūdī[1] ont préservé ces mêmes perceptions et les ont défendues[2], dans un contexte où l'impérialisme occidental avait atteint son apogée.

Malgré conviction aveugle en matière de croyances, les visiteurs arabes ont dénoncé le rapport des Occidentaux envers leur foi et la nonchalance envers les pratiques religieuses, comme c'était le cas chez les Français. Il n'était pas difficile pour Tahtâwî de démontrer cette constatation, puisqu'il était étudiant puis enseignant chez al-Azhar .L'auteur n'a pas raté l'occasion de décrire la faiblesse de la foi des Français et l'irrespect des pratiques à cause de leur confiance inconditionnelle en la science en général. Cette situation a poussé Tahtâwî a percevoir un autre volet de l'altérité entre les Orientaux et les Occidentaux. Pour les Musulmans, la religion reste impérativement le pilier crucial dans leur culture, c'est celle qui détermine la légitimité de tous les actes. La légitimité du pouvoir et tous les rapports sociaux et économiques s'examinent à travers la loi islamique, et même l'exactitude de la science et les connaissances ne doivent pas être en dehors de la religion .Al-Shidyāq, pour sa part, a critiqué la situation religieuse en France ; il a insisté sur la vocation de la religion dans l'imposition de la discipline dans la société, et en particulier chez les populaces, à l'inverse des Anglais qui témoignaient un respect majeur envers la leur. Or, ce respect n'a pas empêché les Anglais d'être sous-estimés par l'auteur, qui a dénoncé leurs méconnaissances aux règles de leurs croyances, contrairement aux Chrétiens orientaux[3].

Puisque al-Shidyāq a séjourné longtemps en Angleterre, il n'était pas difficile pour lui de saisir le

[1] -Aḥmad al-Kardūdī s'est rendu en Espagne vers la fin du XIX[e] siècle (1885), en tant que secrétaire de l'ambassade envoyée par le sultan Moulay Al-Hassan (1873-1893) et dirigée par Abdessadeq Ben Mohammed ar-Riffi.

[2]- El Oufir (Saloua), «L'Identité à l'épreuve de la mobilité diplomatique des voyageurs marocains en Europe (1691-1919)», *Hespéris-Tamuda* LIII (3) (2018): 91-107. p92.

[3]- Al-Shidyāq (Aḥmad Fāris), *Kashf al-mukhabba' 'a funun Urubba,* Op.cit.P 185.

rapport entre les Anglais et leur confession, et sa disproportion entre les villageois et les citadins. En outre, l'auteur a confirmé le fort attachement des campagnards aux rites religieux, en particulier aux rituels du dimanche[1]. À l'inverse, les citadins se soumettaient de plus en plus à un rythme journalier épineux et très rapide, provoqué par les nouvelles circonstances industrielles. Un nouveau contexte obligeait, par conséquent, les habitants des villes à abandonner les liens sociaux et spirituels et à se concentrer sur l'aspect matériel, avec une tendance vers la laïcité. La tolérance religieuse était aussi un fait notable en Angleterre, al-Shidyāq et Ahmed Zaki ont aisément félicité les Anglais pour la multitude religieuse. Ce dernier a souligné la présence de quatre cents revues religieuses qui défendaient plus de cent quatre-vingts religions[2].

L'auteur a aussi remarqué que la religion musulmane était tolérée en Angleterre et que le prêche pour l'islam et la publication du Coran était reconnue. De son côté, Khair-Eddine a loué la tolérance religieuse européenne, même avec les religions non monothéistes. L'auteur a vécu une vraie conciliation entre les différentes confessions et les sectes. Il a conclu que les Européens avaient dépassé la phase de faire la guerre pour une cause religieuse, mais peut-être pour d'autres motifs[3]. Il s'agit là d'un contexte totalement différent de ce que l'Orient a vécu, puisqu'il était soumis aux luttes belliqueuses, surtout à la moitié du siècle au Liban. Cette conjoncture ait poussé al-Shidyāq à s'enfuir de sa patrie vers l'Europe à travers l'Égypte. À l'inverse des observateurs arabes sur les questions religieuses, les diplomates marocains (la façade officielle) ne craignent pas d'afficher leur attachement

[1] - Ibid., p 184.

[2]- Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safar ilā al-Mu'tamar*. Op.cit. P138.

[3]-Ettounsi (Khair-Eddine),*Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik* «*Le plus sûr moyen pour connaître l'état des nations*», version arabe, Bait al-hikma, Tunis.2013. P296.

à l'Islam, et de le défendre. Loin de leur terre d'origine, les Marocains ont veillé scrupuleusement à pratiquer les rituels islamiques. Ils lisaient des sourates précises avant d'embarquer en mer, ne se nourrissaient que de denrées préparées selon le rite musulman et accomplissaient régulièrement les cinq prières de la journée. En effet, la prière continue de constituer le repère temporel qui rythme la journée du croyant et régule son emploi du temps même en terre étrangère[1].

2-La législation occidentale et les droits personnels :

Le réformateur tunisien Khair-Eddine a consacré de longs chapitres dans son ouvrage "*Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik*" pour décrire les institutions constitutionnelles françaises. Selon lui, ces institutions occupent une place noble dans la vie politique de par leur origine, qui est inhérente à la révolution française et aux idées du siècle des Lumières. À ce propos, Khair-Eddine fait l'exception par rapport aux autres écrivains, car il n'a pas perçu la révolution comme une discorde. C'était le seul penseur arabe de la période qui l'appréciait et qui la considérait comme un vrai détournant dans l'histoire humaine. Cette attitude reflète à bien des égards l'originalité de sa formation culturelle et politique. Il porte aussi le même regard pour la constitution anglaise non-écrite. En effet, l'auteur l'admirait fortement, car elle était très pragmatique et très adéquate à son temps et pour le bien de son peuple. C'est grâce à elle " que la nation anglaise a réalisé un grand succès dans les savoirs, le patriotisme et le civisme. Par conséquent, les îles anglaises sont maintenant les plus beaux lieux du monde.[2]"

[1] - El Oufir (Saloua), «L'Identité à l'épreuve de la mobilité diplomatique, des voyageurs marocains en Europe (1691-1919)», op Cit. p94.

[2] - Ettounsi (Khair-Eddine), *Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik* .Op. Cit .p202.

Dans son étude consacrée aux concepts politiques français et leurs évolutions, Tahtâwî l'a trouvé comme un vrai prétexte pour traiter des notions non familières à la culture politique orientale comme la liberté, le rapport entre le gouvernant et ses sujets, les droits individuels, la citoyenneté et la participation des citoyens dans la prise des décisions, l'égalité devant la loi, la liberté des croyances, d'expression et de la publication[1]. Toutes ces valeurs selon l'auteur sont les vrais facteurs fondateurs d'une Europe nouvelle, forte et expansionniste. Il est vrai que ces aveux auraient pu provoquer de douloureuses conséquences, dues à une mauvaise impression chez le clan conservateur qui reste toujours obsédé par son autrui, et qu'elle sauraient pu finir par des confrontations inattendues. C'est bien pour ces raisons que Tahtâwî et Khair-Eddine ont construit leurs discours en se référant au patrimoine politique musulman, en essayant de réconcilier les valeurs occidentales comme la liberté et l'égalité avec leurs homologues musulmans. D'un autre côté, les réflexions de nos voyageurs sur le sujet politique occidental renvoie à plusieurs dichotomies comme *le droit positif* / La charî'a, les droits de l'individu/ droits de la nation.

**le droit positif ou La charî'a*: Concernant ce premier duel, Tahtâwî et Khair-Eddine ont remarqué que l'origine de la législation européenne n'est pas la même que celle de la charî'a musulmane. La première est la synthèse d'un effort humain durant des époques, ce qui l'a rendu variable et compatible avec les circonstances du temps et de l'espace. À l'opposé, la loi islamique "La charî'a", est le résultat, selon la perception musulmane, d'une source sacrée invariable. Elle représente l'ensemble des normes et des règles doctrinales, sociales, cultuelles et relationnelles édictées essentiellement par la révélation et les paroles du prophète. Dès lors, la loi islamique occupe une place solennelle dans

[1] -Al- Tahtâwî (Rifâ'a Rafi), *Takhlîs al-ibrîz fî talkhîs Bârîz.* « L'Or de Paris», (version arabe). Dar Elarabiia Lil-kiteb, Tunis, 1991.p242.

l'âme musulmane comme montré précédemment. Cependant, la situation arabe et musulmane économique, sociale et culturelle était très délicate, et *La charîʿa* n'a pas réussir à engendrer la prospérité. Situation embarrassante pour l'élite arabe, car les musulmans croient fortement à leur loi. Tahtâwî essaya d'alléger la situation perturbante et de trouver une explication pour ce labyrinthe .L'auteur a distingué que le retard arabe était directement lié à la prépondérance de l'injustice des gouvernants, en annonçant la légitimé d'avoir des régimes politiques et constitutionnels, à condition qu'ils visent la prospérité et le bonheur des individus.

* *les droits individuels ou les droits de la nation*: les sources arabes nous parlent des droits individuels garantis par les constitutions occidentales comme étant une valeur précieuse. Paradoxalement, la place du Musulman vient en second lieu après l'intérêt de la nation. Aussi, l'Européen jouit-il d'une liberté énorme dans différents secteurs ; c'est ainsi que Khair-Eddine en parle:" la liberté politique, la liberté de rassemblement, la liberté d'expression, qui permet aux auteurs d'exprimer toutes leurs idées dans les journaux et les livres sans aucun harcèlement ou arrestation et la liberté personnelle qui autorise aux gens le recours aux tribunaux pour défendre leurs droits[1]." Et afin de rassurer leurs interlocuteurs, Tahtâwî et Khair-Eddine ont insisté sur la ressemblance dans les significations de ces concepts avec ceux chez les Musulmans, malgré la différenciation conceptuelle. Les deux auteurs ont lié les concepts liberté et égalité avec les commandements islamiques de la justice, et par conséquent le concept musulman *choura*, qui était exhorté par les premiers califes, est l'équivalent selon eux de la gouvernance constitutionnelle. Ainsi, la *charîʿa*- étant la référence de tous les califes - peut restituer la gouvernance qui se réfère à une constitution, et l'institution *ahl al- ḥall wa'l-ʿaqd* (un ensemble d'hommes sages ayant la faveur de contrôler le gouvernant) occupe selon Khair-Eddine la même place

[1] - Ettounsi (Khair-Eddine), *Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik*, op. Cit .p399.

et joue le même rôle que celui du parlement en Europe[1].

En fait, ces écrivains ont été profondément convaincus que la nouvelle Europe était le résultat de changements capitaux qui ont touché fortement l'aspect intellectuel et culturel, portés par un nombre de philosophes éclairés. Par conséquent, ces changements ont conduit les Européens vers la prospérité et l'aisance. Les séjours des voyageurs arabes en Europe leur ont ouvert la porte pour enrichir leurs registres politiques par de nouveaux concepts à l'instar de la république, la constitution, les conseils, et les chambres, etc. Ces concepts ont permis de reconsidérer l'Homme dans ses droits et son entité, ses modes de gouvernance, le rapport entre les gouvernants et les gouvernés, ainsi que l'efficacité des lois qui visent le bonheur des hommes et non à l'éternité des intérêts des dirigeants et leurs alliés. Nos écrivains ont été attirés par la vie politique occidentale malgré les réserves des élites arabes qui désormais croient à l'apostasie de l'autre quine doit pas être un modèle à suivre.

3– Vices et vertus de la femme européenne:

Les voyageurs arabes ont brossé une belle image de la femme européenne, grâce à ses aptitudes et son savoir-faire à l'intérieur de la maison ou ailleurs, sans oublier la bonne relation qu'elle entretient avec son époux ni son rôle efficace dans l'éducation des enfants et ses rôles économiques et sociaux primordiaux. Le moment de la rencontre avec la femme européenne fut un moment crucial pour les écrivains arabes. Elle était conçue ultérieurement comme une référence phare dans les essais réformateurs de la situation de la femme orientale. Ce jugement positif et cette satisfaction n'étaient pas durables, car le sujet de la femme dans la mentalité orientale est toujours un sujet tabou et futile en même temps aux dires des uns. Cette position ambivalente était bien exprimée par Ahmed Zaki

[1]-Saba Yared(Nazek),*Les voyageurs arabes et la civilisation de l'Occident lors de la renaissance arabe moderne*،op.Cit. p 413.

pacha dans ces propos:" Je veux parler de la meilleure moitié de l'humanité, mais je crains d'être critiqué ; permettez-moi cette fois d'en parler et je vous promets que je n'y reviendrai jamais. Je suis un homme de parole, je garde mon testament. Je me trouve obligé de parler de la femme parce que c'est le premier acteur dans les changements mondiaux et la vie politique et religieuse, ainsi que toutes les activités de l'humanité»[1].

En cherchant dans le figure externe de la femme européenne d'après les sources arabes, on a remarqué que Tahtâwî était le premier écrivain audacieux dans son siècle qui a décrit le corps de la femme française, quoique son appartenance à une culture interdisant de la regarder. Voici ce qu'il a dit à son sujet : «Un après-midi, en passant par les grandes boutiques de Marseille, on a vu un tas de belles femmes. En général, les femmes de ce pays gardent le visage, les cheveux, le cou, les mains et le dos nus[2].». L'image de la femme européenne prend un aspect plus clair dans les écrits d'al-Shidyāq, car il s'est bien intéressé à ce sujet en établissant de nettes comparaisons entre les femmes françaises et anglaises. C'est grâce à son affranchissement des contraintes religieuses, voire culturelles, qu'il a décrit la femme anglaise de cette manière: «Les Anglaises ont la peau blanche tendant vers le rouge, les yeux marron ou bleus et les cheveux noirs. Les dents sont blanches ; ce sont les meilleures de toutes les autres femmes du monde. Leurs nez sont très mignons, les lèvres sont douces. Elles sont les plus belles femmes d'Europe dans le raffinage et le lissage de la peau, les postérieurs et le cou[3]».

Pour Ahmed Zaki Pacha, les Parisiennes sont connues pour leur vif intérêt pour la mode plus que les autres femmes européennes, de façon qu'il n'arrive pas à dissimuler son étonnement et son admiration envers leur beauté. L'auteur a osé exprimer son éblouissement pour une Française qui

[1]- Zakî Pacha (Ahmad),*al-Safar ilā al-Mu'tamar*.op.citp87.

[2]Al- Tahtâwî (Rifâ'a Rafi), *Takhlîs al-ibrîz fî talkhîs Bârîz.* Op.cit64

[3]- Al-Shidyāq (Aḥmad Fāris)*, Kashf al-mukhabba' 'anfunun Urubba,* op.cit. P 105

l'avait supplié de rédiger un poème en admirant sa mystérieuse beauté[1].Or, en dépit de sa beauté fatale, la femme européenne n'a pas renoncé un seul instant à participer à la vie économique et à travailler côte à côte avec l'homme, malgré la dureté de certains travaux. Les Anglaises, elles, ont prouvé leur passion pour tous les travaux. La participation de la femme à la vie économique était aussi en rapport avec le surgissement d'un nouveau mode de vie favorisant la consommation ostentatoire, ce qui nécessite des revenus familiaux supplémentaires. Une nouvelle conjoncture a permis aux femmes de se rendre dans les salles de cinéma, les théâtres et les places publiques après un bouleversement notable dans les normes sociales.

Comme tous les sujets traités par nos écrivains, la belle image de la femme européenne était relativisée, voire balancée entre le bon et le mauvais. Ils n'arrivaient pas à se libérer des jugements de la morale orientale. On comprend là pourquoi nos auteurs qui avaient jadis apprécié la situation de la femme occidentale, n'ont pas hésité à la dénigrer. Dans quelques passages de nos récits, la femme de la rive nord de la méditerranée était le mauvais exemple qu'il ne fallait surtout pas suivre, car elle jouissait d'une émancipation démesurée qui lui permettait de se révolter contre le pouvoir masculin et les codes habituels, et de commettre les graves péchés comme la prostitution, un péché impardonnable chez les Orientaux. Ces mêmes jugements restent vivants et leurs résonances se poursuivent dans la rive sud jusqu'à nos jours.

Conclusion

Le regard oriental envers l'Occident change totalement dans les textes de voyageurs, des deux époques moderne et contemporaine, où on peut facilement saisir une certaine fascination orientale

[1]- Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safar ilāal-Mu'tamar*. op. Cit, p94.

pour la prospérité occidentale. Le degré de mépris et de refus de l'Occident des ancêtres diminue. Ainsi, les frontières culturelles et les barrières changent-elles .Apparemment, les acteurs des deux rives avaient compris que la méconnaissance empêcherait la naissance d'un dialogue réel entre les deux parties, entre « eux » et « nous », la phase étant caractérisée par un rejet total. En revanche, la conjoncture moderne a ouvert de nouveaux horizons après l'admission du dialogue, une période favorable pour les palais arabes d'envoyer leurs émissaires, les étudiants, les entrepreneurs et même les aventuriers pour découvrir l'autre rive et l'autre monde. Par ailleurs, la réussite européenne à mal touché la psychologie des explorateurs arabes orientant, par conséquent, les textes vers des destinations différentes des finalités des récits de voyage classiques.

Pour soulager une psychologie arabe et la rassurer dans un contexte où tous les suivants ont enregistré l'immensité de l'écart entre les deux mondes, Tahtâwî et Khair-Eddine trouvent que le succès européen du XIX^{e} siècle est directement lié à la réussite musulmane d'antan. Les Occidentaux, après avoir cessé leurs croisades en Orient, ne trouvaient aucun complexe ou honte pour interpréter quelques aspects de la réussite arabe et ont dépassé les rivalités du passé. Ils ont concentré tous leurs efforts à la traduction des savoirs et à l'interprétation de la civilisation orientale, ils ont été très enthousiastes à l'interaction culturelle et ont compris que le partage avec l'Autre était possible. Il est clair que cette position, telle qu'elle était schématisée par nos auteurs, est un appel fort aux Arabes pour les encourager à adopter les motifs du succès occidental. Il s'agit là d'une conviction due à la ressemblance entre les valeurs musulmanes et celles des Occidentaux, d'autant plus que l'islam a encouragé à apprendre la science quelle que soit son origine. Cependant, Al-Shidyāq, qui a ratifié la plupart du temps les idées de Tahtâwî, a relativisé la réussite de l'Occident. Selon lui, l'apogée matérielle de la culture européenne ne doit pas cacher la circulation de quelques valeurs et coutumes nocives, comme l'attachement inconsidéré au matérialisme et la dégradation du sentimental et du spirituel attribuables -selon ses dires-à la révolution industrielle. L'auteur a clairement défendu sa civilisation, car il la trouve riche par sa spiritualité et sa grande moralité. Al-Shidyāq a aussi noté la

mauvaise gestion dans la répartition des biens entre les différentes couches sociales, il a inspecté des paysans anglais dépourvus de tous droits et des immigrés menant une vie très rude.

Grâce aux récits de voyage du XIX[e] siècle, l'image moderne de l'Europe dans la pensée arabe s'avère plus claire et plus rationnelle qu'auparavant ; la géographie physique de l'Europe est devenue reconnue, ses divers secteurs économiques, ses villes, son architecture, ses habits, ses nourritures, ses lois et ses législations, ses coutumes et ses règles, ses expressions, ses arts et ses croyances, tout cela n'est plus étrange ni étranger à leurs yeux.

Cette nouvelle perspective a restreint l'image d'un soi hors du commun comme ce fut le cas dans les textes classiques, contrairement aux nouveaux récits qui affirment que l'Occident a réussi à devenir une véritable référence pour éclairer nos chemins. Néanmoins, l'acceptation de l'Autre n'exempt pas nos écrivains de commettre quelques déviations et quelques omissions. Ces récits ont été rédigés dans un contexte où les clans conservateurs étaient encore capables d'intervenir et d'agir, ce qui obligeait nos écrivains à être plus prudents. Par ailleurs, si l'image de l'autre était somptueuse jusqu'à essayer d'englober le quotidien européen, on n'a pas touché une réelle étude historique du passé européen, ni une étude analytique profonde bien construite. Il résulte de cette défaillance que l'image présentée de l'Autre était impressionniste et superficielle, elle n'a pas creusé dans les fondements et les bases de la culture occidentale d'une part, et d'autre part, elle n'a pas indiqué la manière avec laquelle on peut interpréter sa prospérité. Il reste à préciser ici que les récits de voyage arabes en Europe acquièrent une originalité capitale, car ce sont des textes qui abordent en priorité le quotidien des occidentaux à travers une lucarne proprement orientale. À mon avis, c'était un moment crucial dans l'écriture de l'histoire arabe et européenne, car nous étions habitués à l'idée que les Européens étaient les seuls qui monopolisaient le droit de parler d'une manière arrogante des autres peuples et civilisations, et en particulier les sociétés soumises à leur colonisation. Une autre

constatation majeure que nous pouvons tirer de ces corpus est que l'image de l'Autre n'était pas constante est figée tout au long du XIX[e] siècle, il n'existe pas une image orientale unique et homogène, opposée à celle produite par les occidentaux, mais en réalité une multitude d'images. Bien évidemment, en cela, les maghrébins ont eu une vision différente des orientaux. Les détails historiques locaux et les circonstances émouvantes influencèrent fortement les orientations ainsi que les regards et les perceptions qui en découlent.

Bibliographie:

Sources:

- Ettounsi (Khair-Eddine),*Aqwam al-masalik li ma'rifat ahwal al-mamalik* «Le plus sûr moyen pour connaître l'état des nations» (version arabe),Bait al-hikma, Tunis.2013.
- Nasiri al-Salaoui (Abu al-Abbas Ahmad ibn Khalid), *Kitâb al-Istiqsa li-Akhbar Al-Maghrib duwal al-Aqsa*, (version arabe) « Le livre de la recherche approfondie des événements des dynasties de l'extrême Maghreb » imprimerie Al-Boulak, Le Caire tome 5, 1997.
- Kardūdī (Aḥmad), *Ar-Riḥla as-saniyyailā l-ḥadra l-ḥasaniyya bi-l-mamlaka alişbanyūliyya.* «De la présence hassanienne dans le royaume espagnol» (version arabe), Rabat: Publications de l'Imprimerie royale, 1963.
- Salawi (Idrīs al-Ju'aydi), *Itḥāf al-akhyār bigharā'ib al-akhbār, riḥlai lā Faransā, Balgīka, Inglatirra, Iṭāliyyā,* «Invitation aux honnêtes gens à suivre les étranges nouvelles, Voyage en France, Belgique, Angleterre et Italie» (version arabe), éditée et annotée par ʿAzz Al Maghrib Maʿninou, Abudhabi-Beirut: dār al-suwaydi li al-nashrwa-tawzīʿ-al-mu'asasat al-ʿarabiyya li-adirāsawa-lnashr, 2004.
- Shidyāq (Aḥmad Fāris),*Kashf al-mukhabba' 'an funun Urubba,*«divulgation des arts européens»

(version arabe), dar el-kiteb elmassrya, Egypte.2012.

- -*al-Wāsitah fīma'rifat ahwālMāltah.* «*Le livre du voyage, pour servir à la connaissance de l'île de Malte*»,Irtiyād al-āfāq. Abū Ẓaby:Dār al-Suwaydī. 2012.
- Senoussi(Mohamed), *al-Riḥlahal-Ḥijāzīyah,* «*voyage au pèlerinage*», (version arabe) al-Sharikahal-Tūnisīyah lil-Tawzīʿ, Tunis, 1976-1981.
- Tahtâwî (Rifâ'a Rafi),*Takhlîs al-ibrîz fî talkhîs Bârîz.* « L'Or de Paris», (version arabe). Dar Elarabiia Lil-kiteb, Tunis, 1991,
- Zakî Pacha (Ahmad), *al-Safarilā al-Muʾtamar*,« *Voyage au congrès* », (version arabe), dar el-kitebal-missrya. Egypte.2000.

Ouvrages et articles de recherche :

- Alleaume(Ghislaine), « Les techniciens européens dans l'Égypte de Muhammad 'Alî (1805-1848) », *Cahiers de la Méditerranée*, N° 84, 2012, 185-195.
- Braudel(Fernand), *Civilisation matérielle, économie et capitalisme, XV^e et XVIII^e siècles 1. Les Structures du quotidien - 2. Les Jeux de l'échange - 3. Le Temps du monde*, Paris, Armand Colin, 1979.
- El Oufir (Saloua),«L'Identité à l'épreuve de la mobilité diplomatique, des voyageurs marocains en Europe (1691-1919)», dans *Hespéris-Tamuda* LIII (3) (2018): 91-107.
- Ghouirgate (Abdellatif). «Tanger dans un récit de voyage marocain du XIXème siècle», dans *Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire*, N°31-32, 1996. Tanger au miroir d'elle-même. pp. 154-160.
- Pageaux (D-H), « Recherche sur l'imagologie: de l'Histoire culturelle á la Poétique». https://core.ac.uk/download/pdf/38846694.pdf. consultée pour la dernière fois le 18 Février 2021.

- Lakhal (Rached), *Nourrir la ville et l'État L'approvisionnement en viande de la capitale, de l'armée et de la cour en Tunisie aux XVIIIe et XIXe siècles*, AL MASSIRA, Tunis 2021.
- Saba Yared (Nazek), *Les voyageurs arabes et la civilisation de l'Occident lors de la renaissance arabe moderne*, (version arabe), édition Nawfel, Beyrouth, 1992.
- Spang (Rebecca), « L'individu au menu : l'invention du restaurant à Paris au XVIII[e] siècle », *Ethnologie française*, 2014/1 (Vol. 44), p. 11-17. DOI : 10.3917/ ethn.141.0011. URL : https://www.cairn.info/revue-ethnologie-francaise-2014-1-page-11.htm.consultée pour la dernière fois le 30 Mars 2021.
- Umar (Ryad): «An Oriental Orientalist": Aḥmad Zaki Pasha (1868-1934), Egyptian Statesman and Philologist in the Colonial Age, philological encounters (2018) 129-166.p 11-17. DOI: 10.3917/ ethn.141.0011. URL:https://www.cairn.info/revue-ethnologie-francaise-2014-1-page-11.htm.

طريقة تفكير ومنهج بحث واتجاهات معرفي

الاستاذ الدكتور
ابراهيم سعيد البيضاني

بهدف اضافة تجربتي العلمية وخبرتي الى خبرات وتجارب الاخرين، وتحقيق نشر العلم والمعرفة، اقدم تجربتي المتواضعة في طريقة تفكيري ومنهج بحثي.

تخصصي العام هو التاريخ الحديث، في حين ان تخصصي الدقيق هو تاريخ الولايات المتحدة واوربا، ومنذ التفكير باختيار عنوان اطروحة الدكتوراه كان اهتمامي وتركيزي ان اكون متخصص في تاريخ الولايات المتحدة، وكان ذلك عام 1989في وقت كان الاتحاد السوفياتي فيه انهار او على وشك الانهيار، وتزعمت الولايات المتحدة المشهد العالمي، وبالنظر لاهتماماتي السياسية والتحليل السياسي في ذلك الوقت، اذ كنت محلل وكاتب سياسي في عدد من الصحف المحلية واراقب التطورات السياسية، فقد كنت اقرا المشهد السياسي بان الولايات المتحدة ستكون الدولة الاكثر تاثيرا فيه وتكون قائدة للعالم، وبالتالي فان مساحة البحث العلمي والتحليل ستتركز حولها مستقبلان وستكون مادة دسمة للبحث العلمي. ومنسجمة مع اهتماماتي العلمية والثقافية.

ومن خلال التدريس في المراحل الجامعية الاولى والدراسات العليا وتدريسي لمواد تتعلق بتاريخ اوربا وبالاخص تاريخ اوربا والعلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فقد تولدت لدي اتجاهات بحث اخذت اهتماما بتاريخ اوربا الحديث والمعاصر، وفضلا عن التركيز والاهتمام بالتخصص الدقيق الذي اخذ ما يناسبه من اهتمام وهو تاريخ الولايات المتحدة وسياستها الخارجية، فقد اضفت تاريخ اوربا الحديث، زيادة على ذلك فقد فرضت علي المساهمات العلمية والمشاركات الدولية ثقافة اخرى ومصادر علوم ومعرفة اضافية في موضوعات الاعلام والمجتمع المدني والثقافة الالكترونية والمعرفة والبحث العلمي.

المهم انه من خلال التخصص الدقيق ومتابعة تطورات السياسية الامريكية تجاه سوريا بمراحل مختلفة، الاولى كانت خلال السنوات 1936-1949 وهي اطروحة دكتوراه من جامعة بغداد كلية الآداب عام 1992، ثم متابعة الفترات التاريخية اللاحقة السنوات 1949-1958، فضلا عن كتاب اخر صدر بعنوان السياسة الامريكية تجاه سوريا خلال السنوات 1989-2018، وهذه الاصدارات عبارة عن ابحاث متخصصة في مجال واحد تعالج فترة تاريخية محددة، فضلا عن ذلك اصدرت ثلاث كتب باللغة الانكليزية في الولايات المتحدة، فضلا عن اصدار كتاب عن السياسة الامريكية خلال السنوات 1906-1918 وكتاب عن السياسة الامريكية تجاه المشرق العربي خلال السنوات 1945-1962، وكتاب اخر عن السياسة الامريكية تجاه العراق 2003-2014، وابحاث وموضوعات متفرقة

بهذا الاتجاه تنصب عن موقف الولايات المتحدة او سياستها الخارجية. واضيفت مشروعات جديدة بهذا الاتجاه كالسياسة الامريكية تجاه ليبيا خلال السنوات 1952-1973 دراسة وثائقية.

ومن خلال دراستي وتخصصي الدقيق عن تاريخ الولايات المتحدة وسياستها الخارجية بقى عالق في ذهني بعضا من الافكار والقراءات يمكن ان اشير اليها بالتالي:

- عندما تقف الولايات المتحدة امام أي قضية في العالم ومع أي دولة في العالم، فأنها تضع مصالحها اولا وتحاور الاطراف الاخرى على اساس ذلك، وهذا امرا طبيعي، لكن الامر غير الطبيعي ان يتوقع احد انها تفكر بمصالح وحقوق الاخرين وتضع لها اعتبار.
- دخلت الولايات المتحدة الى معترك العلاقات الدولية منذ وقت مبكر منذ ظهورها كدولة حديثة واخذت تبحث عن موطأ قدم لها في المصالح الدولية.
- البحث عن مصادر الطاقة والبحث عن المواقع الاستراتيجية والنفوذ هي محركات اساسية لسياستها ، وكانت ادواتها في الانتشار اولا البعثات التبشيرية ثم المصالح التجارية وكلاهما مدعومتان بحماية دبلوماسية. ثم اصبحت اسرائيل والمصالح النفطية محركا رئيسيا لسياستها الخارجية في الشرق الاوسط.
- في مطلع القرن العشرين خطت الولايات المتحدة خطوة للاخذ من مساحة نفوذ حلفائها ومشاركتهم في النفوذ والمصالح النفطية، ثم الانفراد تدريجيا بالزعامة وخوض الصراع في الحرب الباردة مع الاتحاد السوفياتي، واعتمدت المساعدات كأحد الخيارات للنفوذ والتأثير، فضلا عن مفهوم العصا والجزرة في التأثير على الدول.
- تعد سوريا ابرز ساحات الصراع والتنافس بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، اذ بقيت عصية على الامريكان الا في حالات محدودة اضطرت فيها سوريا للانخراط تحت المظلة الامريكية.

التحليل السياسي

كان للتحليل السياسي نصيبه الوافر في حياتي العلمية والمهنية والسياسية، فقد اضفى عليه التخصص والدراسة الاكاديمية اهمية ومنحه معايير الوصف العلمي الاكاديمي، لذلك فاني منذ حصولي على الدكتوراه عام 1992 حتى كتابة هذا الوصف تركت ارثا كبير من المقالات في الصحف المحلية والعربية، والقيت العديد من المحاضرات العلمية داخل العراق وخارجه، فضلا عن اللقاءات في الفضائيات كمحلل سياسي، وايضا في الابحاث ذات الصبغة السياسية ، وكنت اميل في النهاية الى اعطاء تصور وقراءة او استنتاج، لذلك فان ما تبقى في ذاكرتي من افكار توصلت لها وبقيت عالقة في ذهني ويمكن للباحثين العودة اليها من مصادرها:

- منذ وقت مبكر وخلال فترة سقوط الاتحاد السوفيتي، فاني كنت اتوقع ان روسيا ستكون البديل على الرغم من وجود تيار قوي آنذاك يستبعد ان تعود روسيا كمنافس رئيسي للولايات المتحدة، وكانت وجهة نظري تعتمد على مسالتين الاولى ان روسيا تمتلك مفاتيح السلاح النووي، والثاني ان روسيا تمتلك التاريخ والارث في كونها دولة رئيسية في صناعة السياسة الدولية وهي المؤسسة للاتحاد السوفياتي، وان ازمة الاتحاد السوفياتي كانت تكمن في الزعامة التي قررت التخلي عن الدور والمسؤولية الدولية، وبالتالي فان ظهور زعيم جديد كفيل بعودة روسيا للتنافس الدولي، وتم ذلك فعلا عند وصول بوتين لزعامة روسيا.
- المراهنة الاخرى التي كنت اتبناها في المقالات الصحفية والتحليل السياسي هو ان افضل مواجهة للزعامة الامريكية للعالم تاتي من خلال ظهور عالم متعدد الاقطاب، اذ انه كفيل بإعادة التوازن الدولي ومنع انفراد أي قوة بزعامة العالم، وكانت المراهنة بشكل اكبر علي قيام تحالف روسي صيني، ثم المراهنة على دور اوربي فاعل في السياسة الدولية.
- في عام 1998 نشرت مقالة في جرية العرب اليوم الاردنية طالبت بقيام تحالف سوري ايراني عراقي روسي، وكنت ارى فيه انه يشكل اعادة جديدة للتوازن الدولي والاقليمي، وكررت هذه الدعوة من جديد عام 2014 عند نشر كتاب جديد عن السياسة الامريكية تجاه سوريا 1989-2014، ولكن هذه المرة كنت ارى ان العراق غير مؤهل لان يكون فاعلا لأنه فاقد لإرادته السياسية المستقلة وتجري على ارضه صراعات اقليمية ودولية، وطرحت خلال ذلك مسالة التعاون الامني بين الدول الاربعة فأثارت قلق وغضب الولايات المتحدة والتحالف الدولي في العراق.

- في المقالات المتعلقة بعلاقة سوريا والعراق وامتدادا لدراستي الاكاديمية بالشأن السوري، فاني كنت ولا زلت مقتنعا برؤيا مفادها ان وحدة سوريا والعراق تشكل منعطفا ايجابيا مهما لقوة العرب وخاصة في المشرق العربي التي تعد ساحة الصراع الاقليمي والدولي، لذلك كنت ارى ان قيام هذه الوحدة بمثابة اعلان حرب عالمية جديدة لما لها من اهمية في تكوين عناصر القوة العربية، وبالفعل فانه في مراحل وظروف عديدة لم تتاح لهما ان يوحدا جهودهما بعمل وموقف مشترك.
- وفي الايام التي سبقت الحرب على العراق عام 2003 كنت مقتنعا تماما ان مجرد انطلاق اول صاروخ على العراق واعلان بدء الحرب، فان الامر لن يكون لصالح العراق.

وفي المرحلة التي اعقبت عام 2003 حيث اتيح المجال واسعا للتحليل السياسي في القضايا المختلفة، لعلي اتذكر اهم الافكار والقراءات المتعلقة بالشأن السياسي العراقي.

- المراهنة على الارادة الوطنية بوصفها هي الحل، اذ لابد من تنمية الاقتصاد الوطني العراقي وتحقيق التنمية، واستكمال عناصر السيادة الوطنية والاستقلال، فضلا عن تجسيد الهوية الوطنية العراقية بعيدا عن التحزب والطائفية والصراعات القومية، وحذرت من مخاطر الفدرالية التي كان مقررا ان يتضمنها الدستور. وكنت اعتقد ان الامن في العراق يبدا من تحقيق الامن في بغداد.
- على الصعيد العربي كنت ادعو الى الاهتمام بالعلاقات العراقية المصرية بوصفها المرتكز لإعادة تنظيم منظومة العمل العربي المشترك.
- بعد مرور السنوات وانكشاف المسارات، اخذت تتكون لدى نظرة تشاؤمية بمستقبل العراق، بعد ادركت ان هذه المنظومة السياسية لا يمكن ان يتمخض عنها رؤيا وخطاب ومنهج سياسي ناضج.
- عند سقوط الموصل عام 2014 بادرت للظهور في الفضائيات وكنت اطالب بايقاف التداعيات والانهيار ومن ثم توجيه ضربة للقاعدة في الفلوجة لاعادة التوازن للمجتمع امام الانهيار المفاجئ الذي حدث.

منهج البحث العلمي

وفي مجال منهج البحث العلمي فقد شغلت الوثيقة التاريخية المساحة الاكبر من مصادر البحث العلمي لدي، اذ ان رسالة الماجستير التي كانت بعنوان التطورات السياسية في سوريا 1954-1958 وقد تمت تغطيتها بشكل كبير من خلال الوثائق العراقية تقارير الدبلوماسيين العراقيين في سوريا وتقارير وزارة الخارجية العراقية بشان سوريا، في حين ان اطروحة الدكتوراه التي حملت عنوان السياسة الامريكية تجاه سوريا 1936-1949 تمت تغطيتها من خلال الوثائق الامريكية.

فالوثيقة بكل اشكالها سواء كانت تقرير اسبوعي او تقرير صحفي او مراسلة رسمية او خلاصة اجتماع او اتصالات دبلوماسية تنقل صورة للحدث وتكشف عن طريقة التفكير وتكشف عن ماهية المصالح والسياسات وبالتأكيد تعبر عن وجهة نظر الدولة المعنية او تكشف عن الية اتخاذ القرار وفقا لهذه المصالح، لذلك تعد امرا مهما ومصدرا اساسيا من مصادر كتابة التاريخ، فضلا عن ان تحليلها ومقارنتها مع بقية مصادر المعلومات يعطيها اهمية اكبر.

والوثائق الامريكية هي عبارة عن افكار ومصالح وقراءات تدور في عقل وفكر الدبلوماسيين الأمريكيين المتواجدين في البلدان الاخرى، ومن خلال المناقشات والحوارات بين القناصل والسفراء والممثليات او اللجان المكلفة وايضا المراسلات مع وزارة الخارجية التي تقوم بدورها بأعلام الرئيس، وبالتالي ترجع كتعليمات وارشادات تجسد سياسات ومواقف وفق ما يراه صانع القرار وبما ينسجم مع مصالح واهداف وسياسات بلده. فالدارس لتاريخ او مواقف الولايات المتحدة يجد في الوثيقة الامريكية خير من يعبر عن وجهة النظر الامريكية واحيانا كثيرة تنقل وجهة النظر الامريكية من خلال الوثيقة او المراسلة وايضا من وجهة نظر الاطراف التي يجري الحوار معها، وايضا تظهر كيف يفكرون وعن ماذا يبحثون وبالتالي تعطي تصورا لصانع القرار لاتخاذ ما يراه مناسب.

من الواضح ان هناك ما تخفيه الدوائر المعنية عند اطلاق السرية عن الوثائق، اذ نرى في بعض الاحيان معلومات يشار اليها بانها لم تحصل الموافقة على اطلاقها، وعلى الرغم من اهمية الوثائق الامريكية في الدراسات التاريخية لكن يبقى هناك ما هو مخفي بنسبة ضئيلة لا تمنع الوصول الى الحقيقة وفهم طبيعة وصف مسار السياسة الامريكية.

دليل شيكاغو

في منهج البحث العلمي كنت كبقية الباحثين نعتمد المنهجية العلمية التقليدية السائدة وهي معتمدة لكل الباحثين من جهة وايضا على مستوى الوطن العربي، ولكن منذ مطلع عام 2013 وعلى اثر نشر كتابي الاول باللغة الانكليزية السياسة الامريكية تجاه سوريا 1936-1949في الولايات المتحدة، فقد طلبت مني مؤسسة النشر ان اعتمد دليل شيكاغو في تنظيم هوامش البحث، ومنذ ذلك الوقت وسعت البحث والقراءة في مناهج البحث في العلوم الانسانية، واخذت بمنهج دليل شيكاغو، ولم اكتفي باعتماده، بل اخذت التثقيف وعقد الندوات والمحاضرات العلمية في عدد من الجامعات العراقية مثل جامعة ذي قار وجامعة ميسان والجامعة المستنصرية، اذ كان لابد للباحث العراقي ان يواكب مناهج البحث العالمية لكي يتمكن من نشر ابحاثه في المجلات العالمية، فضلا عن ان دليل شيكاغو هو الانسب للدراسات والبحوث التاريخية، وهو قريب من مناهج البحث الذي كنا نعتمده في السابق، وعلى العموم فاني قمت بجهود اعلامية وتوعوية للحث على ضرورة متابعة مناهج البحث واعتماد منهج مناسب.

التحليل والقراءات المستقبلية

في منهج البحث الذي اعتمده اعطي مساحة مناسبة للتحليل والاستنتاج والوصف، لذلك يجد الباحث في نهاية أي موضوع او مبحث او فصل وصفا وقراءة، لذلك فان الدعوة لتاسيس مدرسة فكرية تاريخية جعلت من ابرز معالمها التحليل والقراءة والوصف.

ومنذ وقت مبكر من حياتي العلمية والثقافية دعوت الى الاهتمام بالدراسات المستقبلية وقد مارست ذلك فعلا في المقالة والبحث والمحاضرة، فضلا عن اني نشرت مقالة بتاريخ تحت عنوان اهمية التنبؤ والقراءات المستقبلية

الاتحاد الدولي للمؤرخين

يعد تأسيس الاتحاد الدولي للمؤرخين مطلع عام 2016 منعطف مهم في حياتي، اذ ان النجاح في تأسيس منظمة دولية لوحده يعد نجاحا كبير وهو ليس بالأمر الهين، اذ يتطلب ثقة ومصداقية، وبالتالي فانه في الوقت الذي نكتب فيه هذه المقالة وهذا الوصف اصبح عدد اعضاء الاتحاد الدولي للمؤرخين يضم حوالي 800 عضوا يتوزعون على حوالي 35 دولة يشكل الذين يحملون شهادة الدكتوراه ولقب بروفسور حوالي 85% ويضم نخبة علمية متميزة، اذ نجح الاتحاد في جمع نخبة واسعة من المؤرخين والباحثين والعلماء في تواصل مستمر وتعارف اسفر عنه حصيلة علمية كبيرة من النشاطات والافكار.

ومن عناصر نجاح الاتحاد الدولي للمؤرخين حجم ونوع المؤتمرات والندوات الدولية والمحاضرات التي نفذها خلال سنوات عمره الخمسة الاولى 2016-2020، وهذه الانشطة العلمية المتميزة وثقت في اصدارات وكتب ووقائع مؤتمرات، فضلا عن ان هذه الانشطة اعطت للفكر التاريخي مساحة كبيرة ، وقد نفذ الاتحاد مؤتمرات ومحاضرات عن المدارس الفكرية التاريخية وعلاقة التاريخ بالعلوم الاخرى وندوات دولية عن علم التاريخ والمعرفة التاريخية والوثيقة التاريخية.

ولعل ابرز ما ارتبط بتأسيس الاتحاد الدولي للمؤرخين هو اطلاقي ودعوتي لتأسيس مدرسة فكرية تاريخية عراقية، وكانت الدعوة الاولى لهذه المدرسة كانت من خلال محاضرة نفذت عام 2016 في مركز المستنصرية للدراسات والبحوث، وقد واصلت السعي لذلك من خلال محاضرات وندوات في محافل علمية وفي الجامعات، وكنت اعتقد ان الاتحاد بما يمتله من موقع الكتروني سيشكل منصة علمية للباحثين ووسيلة نشر يمكن ان يشكل منصة فكرية للترويج لذلك المشروع الفكري، وفضلا عن المحاضرات والندوات فقد قمت بنشر مقال علمي بذلك يبين مبررات ودوافع واليات هذه الدعوة، فضلا عن انها كانت محورا من محاور مؤتمر دولي عن المدارس الفكرية التاريخية عقد في استنبول في اب عام 2019.

لذلك فان الاتحاد الدولي للمؤرخين حقق الاضافات التالية:

- وسع دائرة البحث والمعرفة من خلال نشاطات واسعة.

- اتسعت مساحة البحث في ميدان الفكر التاريخي.
- تركت اثرا ملموسا في مجال النتاج العلمي المميز.
- تعد المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية الصادرة عن الاتحاد الدولي للمؤرخين اضافة فكرية نوعية.
- ترسيخ وتعميق العلاقات بين الباحثين على امتداد الساحة العالمية.